

سُلَيْمَانُ الْبَارُوْنِي مَاشَا

فِي أَبْطَوَارِ قِيَامِهِ

بِقَلَمِ

أَبِي الْقَطَّازِ الْجَلَّاحِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ

سُلَيْمَانُ الْبَارُوْنِي بِأَسْمَا

فِي أَطْوَارِ حَيَاتِهِ

بقلم

أَبِي الْقَيْظَانِ الْحَاجِّ ابْرَاهِيْمَ

١٩٥٦ - ١٣٧٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على
اشرف الانبياء والمرسلين، سيدنا محمد خاتم النبيين،
وعلى ءاله الابرار، واصحابه الاطهار، وعلى من تبمهم
باحسان الى يوم تشخص فيه الابصار،



سليمان باشا الباروني بلباسه الرسمي وهو ولي وكوماندان طرابلس الغرب

تقديم

أما بعد فان استعراض حياة عظماء الامم وابطال الشعوب في ادوارهم وأطوارهم وسائر أقطابهم في ميادين الحياة لمما يحفز الهممة ، ويوقظ الشموخ وينبه الاحساس ، ويلهب الفطنة ويذكى الفؤاد ، ويوقد الذكاء ، ويشبع النفس وينير البصيرة ، ويسدد الخطا .

كما انه - من جهة اخرى - يرشد الحائر ، ويهدي الضال ، ويرد السارده ، ويسترجع التائه ، وبكبح الجالح ، ويستنزل الطائر ، وبكبت السكوند .

وهل هذه الاشعة من آيات كتاب الله الكريم . وقد فاضت من قصص الانبياء والرسل واحوالهم وأطوارهم مع امهم المؤمنة الخاضعة منها والكافرة العاتية . « وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين »

وقد طالما ألح علي اخواني الاعزاء منذ زمان طويل ان اضع مؤلفا هذا جامعا لما تشمت من حياة المجاهد الكبير فخر العريية والاسلام الشيخ سليمان باشا الباروني رحمه الله .

وطالما تأقت نفسي للقيام بهذه المهمة الخطيرة التي اراها فرضا عينيا علي دون غيري - تقريبا - لما توثق بيني وبينه من جبل المواصلة ، وامتد من اسباب المراسلة من لدن سنة ١٣٢٥ الى سنة ١٣٥٧ هـ فكان لدي بذلك شىء كثير من وثائقه القيمة التي تحف حياته الحافلة الى حد بعيد

ولكن امواج الحوادث تطفو بي تارة وترسب اخرى ، وكلما قربت من شاطئ الهناء والراحة وكنت اغتنم الفرصة للشروع في المشروع تقاذفت بي امواجها كالجبال فتبعدني عن اقتطاف المنال .

وهكذا دأبني ودأبها تغالبني واغالبها ، حتى احسست اليوم لنفسى بالغلبة فيما ارجو . والحمد لله الذي لا قوة لاي احد على طاعته وفعل الخير له الا بعونه وتوفيقه .

اني - هاهنا - لا ادعى الاحاطة بحياة هذا البطل العظيم ، فان لها ميادين فسيحة ، وآفاقا واسعة ، اكبر من ان يحيط بها فرد واحد او قلم واحد ، فضلا عن قلم عاجز كابي اليقظان .

كما اني - لا انكر فضل السكاتبين السابقين لهذا الموضوع الكبير ، ولا سيما الشاب النبیه الفقيده الاستاذ ابو القاسم بن سعيد الباروني الذي اجاد واقاد ، وله فضل سبق مقرونا بالشكر والثناء والاعجاب .

غير اني - ارى نواحي عديدة لحياة المرحوم الباروني باشا لم يطرقها الاستاذ ابو القاسم رغم اعاده طبع كتابه « حياة سليمان باشا الباروني » للمرة الثانية ، واقلنى فيها مجال ورقصات ، تزيد - فيما اظن - لحياة المرحوم الباروني باشا جلاء وروعة وجلالا ، وللآخ القارى ، لذة ومتمعة وجلالا .

فها اناذا اقتحم هذا الموضوع الخطير مستمينا بالله الكريم ان يغفرني بروح منه ، وان يمدني بعونه وتوفيقه وتسديده في الحال والمآل انه سميع مجيب .

القراره ٢١ جادى الثانية سنة ١٣٧٤ - ١٤ فيفري سنة ١٩٥٥

ابو اليقظانه ابراهيم بن عيسى



صورة المؤلف

اجداد البارونى باننا

مقدمة

نما لا يخفى ان للورثة تأثيرا كبيرا فى خلق الانسان وخلقه . فى مميزاته وخصائصه فى صفاته وميوله . وطابعا خاصا فى مواهبه وغرائزه ومزايه : من عقل وفطنة وذكاء وسداد وحذق ونبل وشجاعة وكرم وعفة ونزاهة . وصدق واخلاص وصفاء وحسن سلوك وغير ذلك من السمكالات الانسانية . والمكس بالمكس .

وان الكاتب اذا رام ان يكتب عن شخص من الشخصيات البارزة وان يصوره لقرائه كما هو فاعما يجدر به ان يلم بأبائه واجداده . بما وهبهم الله من الخلال الحميدة والمثائر الجليلة حتى يمكنه ان ينزله من بينهم منزله التى يستحقها منهم بحكم الورثة فيكون قد رفعه لهم الى نصف السلم الذى يصبوا ان يضعه بمفاخره الطريفة الى قفاه .

وعلى هذه الطريقة نسلك نحن فيما يلى ان شاء الله بالنسبة للمرحوم البارونى باشا .

واذا ما خدم العروبة والاسلام بسيفه وقلمه مدة حياته فن الوفاء له ان نخدمه برهة من الزمن بقلمنا على الاقل .

واذا لم يتيسر لنا ان نقوم بهذا الواجب فى حياته فلا اقل من ان نقوم به بعد مماته تخليدا لذكراه ولنفع روحه فى ارواح اجيالنا الحاضرة والمقبلة ان شاء الله .

واننا الآن نقدم بين ايدي قرائنا خلاصة عن تاريخ اجداده العظام الذين تداولوا الامارة والمشيخة العامة الكبرى فى طرابلس ونواحيها جنوبا

وشمالا وشرقا من نواحي سرت وزلة وفزان وغدامس الى جبال دمر بالجنوب
التونسي ، من لدن اواسط القرن الرابع بعد انقراض دولة بني رستم بتاهرت
الى اواخر القرن العاشر للهجرة .

وكانوا في ذلك امثلة عليا في العدل والنزاهة والاستقامة وهم كما قال عنهم
حنفيدهم العظيم الباروني باشا في رسالته الآتي ذكرها ما نصه :
« ان المطالع يرى سيرتهم كمسيرة الصحابة والتابعين لا تعاضم ولا تكبر ،
مع العفة التامة والعلم الغزير والاعتساء بالدين والعدل . كتاب الله حجتهم ،
وسنة رسوله دليلهم ، واثار السلف الصالح منهجهم . ان هم جلسوا للحكم
عدلوا ، وان تصدروا للتعليم اجادوا واحيوا ، وان قاموا للدفاع عن وطنهم
وملكهم ابلوا ونصروا ، وان بسطوا ايديهم للاحسان اغنوا ، وان شملوا
للعباد صاموا النهار وفي الليل تهجدوا الخ

* * *

أمنية ثمينة

ان من دواعي الغبطة والسرور ان تحفنا الباروني باشا في حياته خصيصا
برسالة قيمة من تحريره البليغ في سيرة العائلة البارونية الماجدة لما سألناه مددا
في هذا الصدد عند ما كان هذا المشروع يحول بخواطرنا ويداعب اماننا .
وقد ارسلاها اليما من بغداد مذيبة برسالة خاصة اليانا مؤرخة في ٥ صفر ١٣٥٤ .
ونحن فيما سنكتب عنها انما نصدر عن منبع عذب ومنهل صاف لاخيال
فيه ولا غلو ولا اغراق . غير اننا لا نلتزم نقلها حرفا بحرف وانما قد ننقل
او نلخص او نقتطف طبق مهاجنا في التحرير وطبق اقتراح ورغبة المرحوم
في رسالته الخاصة اليانا ولكن للاخ القاري في ذمتنا محاذاة نصه وتحري
مراده منه بدقة بمون الله .

نصائح الغالية لابنه ابراهيم

كما جاد علينا رحمه الله بتلك الرسالة الثمينة اضاف اليها ما كتبه على ظهرها ناصحا ومرشدا وموجها لابنه ابراهيم الباروني ، وهو اذ ذاك تلميذ بمدرسة راس التين الاميرية بالاسكندرية . وهذا نصها فيما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وواله
الى ابني ابراهيم الباروني التلميذ في مدرسة راس التين الاميرية بالاسكندرية
وفقه الله وفتح عليه آمين

اقرأ يا ابراهيم هذه الرسالة المشتملة على تاريخ اجدادك لتعلم انك من
سلالة رجال علم وحكومة ، واختر لنفسك ان تكون اما عالما جليلا او حاكما
عادلا ، ومع ذلك لا تعتمد على نحر الجدود بدون ان تتحلى بحليتهم وتقتفى
اثرهم ، لان الشاعر يقول :

كن ابن من شئت واكتب ادبا يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من يقول ها ان اذا ليس الفتى من يقول كان ابى

انما اذا اجتمع في الانسان تمجيده باعماله واعمال جدوده مما كان جامعا
لصفات الجمد . فاجهد نفسك ان يكون لك مجد اكتسابى ذاتى . تجمعه الى
مجد جدودك . فتكون كاملا معظما بين اقرانك يفتخر بك ابناؤك من
بعدك ، والله يلهمك الرشاد واحفظ الايات الآتية من نصيحة جدك (والدي)
الى لما كنت تلميذا مثلك في الجامع الاعظم الزيتونى بتونس واعمل بها
ترشد (١) قال :

(١) هي من قصيدة طويلة تشتمل على ١٢٠ بيتا مطلعها: لك الحمد يا منشىء البحار الزواجر
الخ وجهها اليه لتونس سنة ١٣٠٥ يخاطبه بها ناصحا ومرشدا وموجها .

ألا فاعنتمها يا سليمان فرصة
وعمر فراغا قبل شغلـك وابتدر
ترانا نعد السوقت يوما وليلة
اهل حزت علما واستندت فواندا
لعمري لئن ضيعت وقتك باطلا
فأعذر من قد حل تونس طالبا
فعمر الفتى كضيف ليل مسافر
شبابك قبل الحادثات البواتر
وننظر ما يأتي لنا من اخابر
ام انت خلي الكف واهي البواتر
لـسكنت على حد من العمر حائر
وفيها علوم طالحات المغادر... الخ
كتبه والدك سليمان الباروني ١٨ ربيع الانور ١٣٤٠ طرابلس الغرب
ما هو الداعي لتحرير تلك الرسالة ؟

ثم ان الاستاذ المرحوم بين الباعث لتحرير تلك الرسالة فكتب في ديباجتها
ما نصه — بسم الله الرحمن الرحيم ٢٠ جمادى الاولى ١٣٣٩ هجرية
مختصر تاريخ العائلة البارونية

صاحب الدولة المحترم (١)

كتب الي من اثق بكلامه واخبرني ايضا من اراه صادقا بان دولتكم
تبحثون عن تاريخ عائلتنا البارونية وانكم كلتمتم بعض المنتسبين الى العلم ان
يكتبوا لكم شيئا في ذلك ولعلمي بانكم لاتجـدون من يكتب لكم الحقيقة
لعدم الوقوف عليها ، وقلة مواد التاريخ المتعلقة بذلك في هذا الوقت، رأيت
ان اشرف بان اكتب لكم على سبيل الاختصار - لكثرة اشغالي - ما امكن
نقله من كلام المؤرخين الذين يعد كلامهم حجة في هذا الباب . ونقدم لذلك
مقدمة فنقول :

(١) على هامش هذه الديباجة كتب العبارة التالية « كتبت هذه الرسالة الى احد كبار
الاوروبيين عقب الحرب العظمى »

اصل العائلة البارونية

المشهور عندنا ان عائلتنا البارونية الموجودة في جبل نفوسة من طرابلس الغرب والعائلة البروانية الموجودة في مملكة عمان الكائنة في الجانب الشرقى من جزيرة العرب من شجرة واحدة ، ويوجد من العائلة البروانية في مملكة الزنجبار جماعة معتبرة منها الامير مسمود بن سميد البروانى حاكم ولاية بسمرك برج الالمانية في افريقيا الشرقية وكانت المخاضرة جارية يبنى وبينه الى ان انقطعت المواصلات بالحرب العالمية وقد توفى .

اما جدنا الاول المنتقل من المشرق حسب هذه الشجرة فلم نتحقق اسمه وتاريخه الى الآن .

ولذلك غابى اكتفى في هذه الرسالة ببيان اسماء من ذكر التاريخ من رجال عائلتنا البارونية انهم تولوا الحكم او الرئاسة العالمية في جهات طرابلس من اواخر القرن الرابع الهجري تقريبا فنقول :

١ - الامام الاكبر لال بارون

هو الامام ابوهارون موسى بن هارون بن بالول البارونى .

هو الشيخ السمي والعالم التقي ابوهارون التملوشايتى (١) كان صائم الدهر مع علم كثير وورع قوي اخذ العلم عن ابي محمد خصيب بن ابراهيم ثم اسندت اليه المشيخة الكبرى في جبال طرابلس وجنوبها من نواحي سرت وزلة وفزان وغدامس الى جبال دمر في جهة تونس مدة الامير ابي زكريا امير نفوسة من ذرية ابي منصور الياس النفوسى .

(١) التملوشايتى نسبة الى تملوشايت مدينة مشهورة في الجبل بذلك العهد مثل مدينة شروس وجادو ونفرمين وبفرن ولم يبق الآن الا اطلالها واما اثار دار الامام فيها فموجودة مملومة

ثم اسندت اليه الامارة وبسبب ذلك انتقل الى بلدة « ابنان » في جهة
كباو لانه كان يزورها ويستحسنها قبل ان يسند اليه الامر . وهناك بنى
مسجده ومدرسته المشهورتين (١)

ومن ذلك الوقت شهرت البلدة بالبارونيين وما بقى من اثار مسجده يدل
على انه كان في غاية من الاتقان فان المحراب وما حوله الباقى الى اليوم مبني
بالحجارة المنحوتة المنقوش عليها حكم ومواعظ بالخط الكوفي نقشا جميلا .
وقد صار ابو هارون بعد ان تولى الامر كهفا ومأوى لاهل الاسلام وله
امراة صالحة من خيار المسلمين ورعا ودينا ولا ولد له معها فاجتمع اليه اهل
الراي من المشايخ وكثفوه ان يتزوج غيرها رجاء ان يرزق منها ذرية صالحة
تقتفى اثره وتنفع المسلمين فقبل منهم ذلك وفوض اليهم الامر في الخطبة فاختاروا
له بعد البحث ابنة العجوز المشهورة بمجدة المشايخ - تبركانت السدراتية -
وجلبوها اليه فبارك الله له فيها ورزق منها خمسة اولاد (٢)

مقاومته لامراء الفاطميين ملوك مصر

كان الامام ابو هرون في اواخر المائة الرابعة واول المائة الخامسة من الهجرة
مستقلا في حكمه في جبال طرابلس وما يتبعها .
لان من كان قبله من حكام الجبل كانوا مرتبطين بائمة (تيهرت) عاصمة
المغرب الاوسط مقر ملوك بنى رستم المشهور فيما بين تونس ومراكش، وبعد
انقراضهم استقل كل وال في جهته وهذا الامام هو الذي كان يقاوم تيار
العبيديين ملوك مصر الذين طالما حاولوا اخضاع نفوسة ومن على رايهم في جبال
طرابلس وجبال تونس والجزائر وجنوبها ولم يتمكنوا من ذلك لما كان في تلك

(١) انظر سير البدر الشامخى المتوفى ٩٢٨ صفحة ٣٠١

(٢) السير صفحة ٣٠٢ نقلا عن تاريخ نفوسة المؤلف عام ٥٩٩ هـ

الجبل في ذلك الوقت من القوة اذ كانت عساكرهم تعد بمئات الالوف رجالا وفرسانا كما هو مذكور في التواريخ وناهيك ان المعز لدين الله الفاطمي مؤسس مصر القاهرة قال للامام ابو خزر الحامي للمقام عليه في جهة تونس في ايام الامير ابي زكريا النفوسى الذي كان قبل الامام ابي هارون ما نصه :

« تعالوا لنصطليح فيبقى لكم الامر فيما بين تيهرت والجريد والجبل كما كنتم في مدة بنى رستم ملوككم ويبقى لنا - اي الفاطميين - شطر البحر » فلم يقبل ابو خزر ووقعت بينهم محاربات مدهشة مفصلة في التواريخ حتى ان قسما من عسكر المعز هرب منه وقت انتقله الى مصر والتجأ الى جبال نفوسة فلم يقدر على ردهم .

٢ - ابو زكريا البارونى (١)

هو من رجال الدين مات وعمره اربع وعشرون سنة هـ ، اخرته وقد جمع خصال الخير ويؤثر عنه انه يقول « لا ابالي بالموت متى نزل بى » (٢) وذلك لقوة استعداده له ، ويقول « انى ماعامت انى اقترفت اثما قط الا مرة واحدة وجدت دابة فى الظل فاخرجتها الى الشمس وقعدت في موضعها . وكان كثير الوضوء حتى تلف عضو من اعضائه بالبرد فشدد العلماء عليه المسكير في ذلك حتى قيل له ان النار اولى بذلك العضو لانه اهلكه بالجور عليه بالماء البارد فتحير وضاق صدره من ذلك الى ان قال له الشيخ - وافي بن عمار - ان العضو الذي اهلكه في طاعة الله الجنة اولى به فاستراح .

(١) هو الولد الاول من اولاد الامام ابي هارون قال المرحوم للبasha ان بيتنا متسلسل من هذا الشيخ ولعدم وجود الشجرة عندي هنا لا يمكن بيان الجدود الى وقتنا هذا (٢) في تاريخ نفوسة ولى السير صفحة ٣٠٢

٣ - الامير ابو الربيع سليمان البارونى

هو الولد الثانى من اولاد الامام الاكبر ابى هارون . فهو الشيخ الامير ابو الربيع سليمان بن ابى هارون البارونى اسندت اليه المشيخة الكبرى ثم الامارة وهو وحيد العصر وفريد الدهر غلب عليه لفظ الشيخ فصار عاملا عليه ، وكان سخي السكف عالما شديدا فى الامر والنهى اخذ العلم عن ابى يحيى زكرياء بن سفيان اللالوتى وابن سهل البشير بن محمد التندميرتى وابن يوسف وجدليش اليجلازى واخذ عنه بشر كثير وسافر الى الحج (١) ولعله قبل ان يسد اليه الامر .
عدله وسخاؤه ومواساته لاهل العلم

كان رحمه الله صواما قواما ، قيل انه صام ذات مرة فى « جادو » (٢) واجتهد فى العبادة والقراءة ، وقال لابى عمر - لعله حاكم جادو - حجر عليهم ان لا يناموا الليل ومن كسر الحجر فاسجن اولى به . وتصدق فى تلك المرة (على الطلبة) بمائة دينار ، ومرة باربعمائة دينار ، وغير ذلك وقد اصدر ذات مرة حكمه بالتدايب على رجل من بلدة (اكرين) فامر بوضع سلسلة فى عنقه فالتمس منه بعض الوجوه نزعها ، فقال له لو امكن لى ان اترك رباط يوسف ابن عبد الله بمائة دينار لاعطيتها ولكن الحق اولى .

ومما يذكر من كرمه واعتناؤه برجال الدين والتقوى انه اذا قرب شهر رمضان احضر اليه خواص العلماء كالشيخ طاهر بن يوسف (٣) وغيره من العلماء .

(١) عن السير ص ٣٠٤ وتاريخ نفوسه

(٢) جادو هى مدينة مشهورة فى التاريخ وهى فى جبل نفوسه ؛ بها كانت تضرب نقودهم وقد وجد بعض الناس فى وقتنا هذا درهم فضة فى شكل البشايك العثمانى مكتوبا فى احدى جهتيه بخط جميل « لا اله الا الله محمد رسول الله » وفى الجهة الاخرى « ضرب فى مدينة جادو » ومازالت موجودة بقرب جادو الجديدة مركز قضاء فساطو الآن

(٣) هو من اجل علماء جهة قابس ومن اهالى ساحل المهديّة هرب من ظلم المعز ابن

والمعاجز العالمات السالحات مثل ام ماطوس العالمة الشهيرة فيصومون عنده
شهر رمضان يحيون ليلاليه وايامه بالعبادة وقراءة القرآن ودروس العلم (١)
حظ النساء من هذا الفضل

قال المرحوم الباروني باشا : كان في مساجدهم في ذلك الوقت وبعده قسم
مختص بالنساء له باب مخصوص وبينه وبينه بقية المسجد حائط رفيع ذو منافذ ، بحيث
تسمع النساء الدرس وتكبير الامام في الصلاة ، وما زال هذا الحجاب موجودا
في المساجد والجوامع العتيقة كجامع مدينة (شروس) الباقي الى الآن وهي
خربة ، وجامع الامام الاكبر ابي هارون في (اباين) (٢) وجامع الامير
ابي الربيع سليمان هالك ايضا وجامع العلامة الشيخ عامر في يفرن وجامع الوالي
أبي عبيدة عبد الحميد في (جساون) وجامع العلامة ابي زيد في (مزغوره)
الان النساء في هذا الوقت لا يحضرن الى الجوامع ، وهو موجود
في وقتنا هذا في كل جوامع بني ميزاب في قطر الجزائر تاوي اليه النساء لسماع
الوعظ والدرس ولصلاة الجماعة .

انصاف الامير واذعانه للحق

مما يذكر من انصاف الامير واذعانه للحق انه اضاف ذات مرة بعض الرؤساء
فامتنع بعض من كان في معيته من طلبية العلم من الاكل تورعا فغضب عليه
وامر ابا محمد عبد الله ان يطرده ، فلم يوافق على طرده ، وقال له ان لم تاتم انت

باديس امير افريقية في اوائل المائة الخامسة هجرية والتجأ الى جبل نفوسة واستقبل بالاكرام
ورأى من هذا الامير عزا واحتراما كما ذكر وسكن قرية اشفي احدى القرى التي يسكنها
قبائل الرجباني في هذا الوقت وقبره مشهور بزار

فلانيان هو فانصف واذعن وطأطأ راسه حتى كاد يصل قربوس السرج ، وهو
اذ ذاك راكب فرسه (١)

نظام اعماله اليومية

كان رحمه الله من عادته انه اذا صلى العشاء واكمل ورده تصدر للدرس هونا من
الليل ، ثم ينصرف الى داره ومعه محمد بن زكريا البغطوري ومحمد بن يفوت
فيصردان عليه من الكتب ماشاء وكانت اتته كتب كثيرة من فزان وهو
اذ ذاك كبير السن ضعيف البصر ثم ينصرفان فيشتغل هو بالصلاة الى الفجر
فيحضر الصلاة ثم يأخذ في قراءة القرآن الى طلوع الشمس ثم يتصدر للدرس فاذا
اتمه خرج الى مجلس الحكم بين الناس الى وقت الزوال ثم يشتغل بأمر صلاة
الظهر ولذلك قال بعضهم لا ندرى متى ينام .

قدم ذات مرة الى مدينة (جادو) فرأى بعض معاملات لم تعجبه فعاتب
ابا عمر على ذلك فاعتذر اليه (٢)

احدائه امانة الاسواق

لما كثرت الفتن وفي شمال إفريقيا خصوصا خاف اصحاب الراي واهل الشورى
من حاشية الامير من دخول الحرام اقطار الجبل فقرروا احداث وظيفة جديدة
لمراقبة ما يدخل الاسواق من الحيوانات حتى لا يباع فيها ما يمكن ان يكون
مسروقا او مغسوبا من مكان بعيد . وكان احداث هذه الوظيفة في عصر
هذا الامير الجليل ولا تسند هذه الوظيفة الا لارباب الامانة التامة ،
واول من كلف بها في اسواق مدينة جادو الشهيرة في ذلك العهد هو
الرجل الشهير علما وعملا الشيخ ابو يوسف وجدليش استاذ معلم هذا الامير

وكان لا يباع في تلك الاسواق شئ من الحيوانات حتى يأذن فيها الشيخ الامين وباذنه يقع البيع او المذبح وقد اوتي اليه ذات مرة بولد من قرية « اينر » فسأله عن نسبه وعن نسب غنمه فأجابه بأنه ابن فلان وان الغنم مولودة عندهم قديمة الاصل ، ولما تحقق صدقه اذن له . ثم اوتي اليه بولد من قرية « اغل » فسأله مثل الاول فأجابه بأنه ابن فلان وكان والده غير محمود السيرة بمخالطته لاهل الريبة فوبخه وقال له : افنى اسواق جادو تبيع حرام اييك يا ولد ؟ وهم بتأديبه فهرب (١)

محافظته على استقلال بلاده

كان هذا الامير رحمه الله محافظ على استقلال بلاده الحامي لها من تلك الفتن المربعة التي عمت شمال القارة الافريقية في ايام المعز بن باديس وغيره .
أناته في الامور

كان هذا الامير رحمه الله سياسيا حكيما ذا اناة وتبصر في اموره ومما يذكر عنه : ان رجلا من بني زمور يختلف اليه مرة بعد مرة يطلب منه على لسان قبيلة (بني زمور) (٢) ان يعين لهم حاكما منهم حتى الح في ذلك وقال له : الى متى تطلع نساء بني زمور عقبه (نالكيت) لاجل مراجعة حاكم (جادو) او حاكم (تغرميز) (٣) و كان الحاكم فيها يوهب ابا يعقوب التغرميني فيقول له الشيخ الامير ابو الربيع اصبر علي هذه السنة ، الى ان سافر الرجل ومات (٤)

« ١ » عن السير ص ٣٣٤

« ٢ » هي قبيلة مشهورة لهم قصر معروف بهم بقي اطلاله في الجهة التي يسكنها في هذا الوقت قبائل الرجبان

« ٣ » هي مدينة مشهورة كمدنه جادو في ذلك العصر ولم يبق الآن الا اطلالها في البلاد التي يسكنها قبائل الزنناتان — « ٤ » عن السير ص ٣٠٦

عفولا عن مقدرة

اقام رحمه الله ذات يوم الحد الشرعى على رجل من قرية جيطال (١) فحتمد عليه الرجل وعزم على قتله فراصده فى الليل عند باب داره فلما خرج من الباب قصد ضربه فيبست يده على سلاحه وبعد مروره انطلقت ولما رجع قصده ايضا مرة ثانية فيبست يده على سلاحه كسأول مرة وبعد دخوله البيت انطلقت فاتاه بعد ذلك معترفا طالبا العفو فعفا عنه (٢)

٤ - هارون بن الامير البارونى

هو شيخ الاسلام هارون بن الامير ابي الربيع سليمان البارونى كان عالما متفنا ورعا - اسندت اليه المشيخة الكبرى - فكان مرجعا فى النوازل والمشكلات فى جبال نفوسة وكان ابنه سليمان كثيرا ما ينقل عنه (٣)

٥ - ابو الربيع سليمان بن هارون البارونى

هو شيخ الاسلام ابو الربيع سليمان بن هارون البارونى كان عالما مفتيا وشيخا تقيا ، اخذ العلم عن ابي زكريا بن الخير اسندت اليه المشيخة الكبرى فكان شيخ اسلام للامير ابي زكريا البارونى يستفتيه فى مشاكله ونوازله (٤)

«١» احدى القرى التى يسكنها قبيلة الرحيبات وبمض نفوسة

«٢» عن السير ص ٣٠٦

«٣» عن السير ص ٥٣٨

«٤» عن السير ص ٥٤٠

٦ - ابو سليمان داود بن هارون الباروني

هو شيخ الاسلام ابو سليمان داود بن هارون الباروني كان غاية في العلم والحلم والورع . وقد اسندت اليه المشيخة الكبرى فكان شيخ الاسلام للامير ابي منصور الباروني ثم لأخيه الأمير أبي عبد الله الآتي ذكرها (١)

وذكر البغطوري ان بعض المغاربة قال في شأنه : « سرت البلاد شرقا وغربا فلم ار مثل داود بن هارون » وبالجملة انه كان في ايامه تضرب اليه اكباد الابل في ايضاح كل مشكل وتفسير كل غريب وجواب كل سؤال وشهرته في التسقي والورع في بلاد نفوسة بل في جميع المغرب اشهر من ان تخفى . اهـ

٧ - الامير ابو زكرياء يحيى الباروني (٢)

هو الأمير ابو زكرياء يحيى بن ابراهيم الباروني، كان شيخا مذكورا وحاكما منصوراً أظن انه كان معاصرا لأبي زكريا يحيى ابن الخير ، وكان يستفتى ابا الربيع سليمان بن هارون الباروني في النوازل الواقعة في ايامه وما يستشكله من الحكم . ولأبي الربيع اليه اجوبة (٣)

قال المرحوم الباشا - أقول ومن أجوبته اليه قوله :
الى أخى العزيز علي الأبرار به اطل الله بقاءه في نعم مأمونة من الزوال ،
محفوفة بالسكال دائمة الاتصال انه منان وهاب .

أوصيك ونفسي بتقوى الله العظيم وحده في السر والاعلان والتزام أمره الكريم واجتناب نهيه العظيم وعليك بالجد والاجتهاد في امره ، اخرتك فيما رأيته من امر عباد الله من الخالص والعام ومن الضعفاء والارامل والايتم فكن لهم سنداً واصل كل ذي حق حقه وعليك بمحاسبة نفسك والرعاية في دقيق الأمور

(١) عن السبر صفحة ٥٣٧ (٢) قال المرحوم الباشا من اجدادنا (٣) عن السبر صفحة ٥٣٩

وجلبها والأخذ من نفسك بنفسك فبعد الموت يأذك الخبير اليقين الخ. قال المرحوم الباروني باشا : « ولعمري الحق ان مثل هذا الجواب لما يجب ان يكتبه كل شيخ اسلام لأميره لما فيه من الارشاد والتصريح بالنصيحة البالغة بدون مداينة قياما بواجب النصيحة في الدين لقوله عليه السلام « الدين النصيحة »

٨ - الأمير أبو منصور الباروني

هو الأمير أبو منصور ابن أبي زكرياء الباروني كان إماما سالكا على الصراط وحاكما قاضيا بالعدل والاقساط وهو ممن اشتهر في زمانه ، وقدم حاكما في جبل نفوسة ويستغنى في نوازله ومشكلاته داود بن هارون الباروني وجوابه اليه بالتعظيم . ومن اجوبته للشيخ الأمير أبي منصور ما نمه :

« تولاك الله بالحسنى وزينك بالتقوى ويسرك لليسرى وجنبك سبيل الردى أوصيك ونفسي بتقوى الله التي لا وصية ابلغ منها ولا هداية انفع منها . الخ ومثل هذا كثير . ويخاطبه ايضا كما يخاطب ابا عبد الله « يا شيخى » وكانت حكومته بعد ابيه « الأمير أبي زكريا » ولا ادرى قبل اخيه الأمير أبي عبد الله ام بعده والاظهر قبله (١)

٩ - الأمير أبو عبد الله محمد

هو الأمير أبو عبد الله محمد ابن أبي زكرياء الباروني وهو ابنه الثاني وكان شيخا فاضلا وحاكما عادلا وكثيرا ما يكتبه أبو سليمان داود بن هارون الباروني ويخاطبه « يا شيخى » اما تعظيما واما حقيقة . والمشهور عن أبي سليمان داود انه أخذ العلم عن ابي زكرياء بن الخير ، وكان الأمير أبو عبد الله يستغنى فيما يستشكله من النوازل في الاحكام ابا سليمان داود بن هارون الباروني ورأيت له اليه اجوبة كثيرة وكان حاكما على نفوسة بعد ابيه ابي زكرياء (٢)

١٠ - الشيخ أبو يحيى زكرياء بن ابراهيم (١)

هو العلامة الشيخ أبو يحيى زكرياء بن ابراهيم الباروني ، وكان معاصرا لابي سليمان داود بن هارون الباروني ، وهو جد الامام أبي يحيى زكرياء الآتي ذكره وكان شيخا مذكورا ومن يكاتب داود بن هارون المذكور ولعله كان حاكما وداود مفتيه .

١١ - الامام أبو يحيى زكرياء الباروني

هو الامام الكبير أبو يحيى زكرياء بن ابراهيم بن أبي يحيى زكرياء بن ابراهيم ابن ابي زكرياء يحيى بن ابراهيم ابن ابي زكرياء ابن الامام الاكبر أبي هارون موسى الباروني .

وهو الناية القصوى في العلم والعمل والامر والنهي ، جدد المذهب بعد ان أخلق ، أخذ العلم عن أبي ايوب وجدليش الاملي عن ابي سليمان داود بن هارون الباروني وعن ابي محمد بن محمد عن ابي سليمان داود وفي ايامه خضع له كل مخالف لمن كان قبله — في جنوب طرابلس — ودانت له الدنيا واعلمت بسطة في العلم والمال (٢)

كرمه واعتناؤه بنشر العلم

يحكى عن كرمه واعتناؤه بالعلم واهله الشيء الكثير ، من ذلك ما قيل انه زاره - وهو في هرمه - بنو يفرن ، ولما ارادوا وداعه أمر باخراج مقدار من المال واعطاء قبضة منه لكل نفر منهم وتسليم الباقي لرئيس بني يفرن اذ ذاك

(١) قال المرحوم الباشا في هذا : لى عليه تحقیقات وبحث في حياته غير حاضرة الآن تدل على انه كان اميرا . (٢) عن السير صفحة ٥٤٦

« عون بن حريز » فقبلوا كلامهم ما اعطى لهم الا الشيخ عوناً فانه قال : انى لا احب المال وما آتيت الا لنيل البركة ، ونشر ثوبه قدام الامام طالباً فبذل الدعاء فدعا له بخير وضم اطراف ثوبه الى ان بلغ داره ونفضه هناك فبعثت البركة والرئاسة في ذريته الى يومنا هذا (١) (يعني اول المائة العاشرة من الهجرة) ومن كرمه واعتناؤه بالمعارف والعلوم انه كانت له مدرسة فيها نحو ٨٠ تلميذا يقوم بلوازمهم من ماله الى ان كانت سنة قحط شديد وبلاء كبير (٢) فاتفق الطلبة على ان يعودوا الى اوطانهم الى ان تتبدل الاحوال تخفيفاً على الامام فاعلم بانهم ذلك جمعهم على طعام بدون ادام ، وقال لواحد منهم ايتهم بالادام من المخزن الفلاني فاما دخل وجده مملوا مالا فرجع اليه فتمال اخبرهم بما رأيت ، فاني لم أجمعه الا لأنفقه عليكم في المسغبة ولا اذن لاحد منكم في الانصراف فبقوا في المدرسة ، وقد اختلف اهل زمانه في سبب ثروته الواسعة فقيل كانت من التجارة (٣) وقيل كان يستخدم اسم الله الاعظم ! وقيل كان له علم بالسكيمياء وقيل انه عثر على كنز جاهلي عظيم .

ومن ذلك ما يحكى عنه انه وقع قحط شديد في جهة الجبال - نفوسة - في سنة من السنين فتصدق من ماله الخاص لا من بيت مال المسلمين على جميع اهل جبل نفوسة وعلى قبائل بني بمرن وككله وتا كبال وبابل وغيرهم بخمسة دراهم وثمان زيت واكثر على كل بيت (٤)

مقاومته للميورقي

يقول المرحوم الباشا كانت تلك القبائل تعد في ذلك الزمان بمئات الالوف من النفوس لا مثل هذا الوقت . ويكفي لذلك حجة ان هذا الامام كان يقاوم بها

(١) عن السير صفح ٢٥٤٦ (٢) قال المرحوم الباشا لعل ذلك وقت محاربات الميورقي كما يدل عليه ما ياتي (٣) قال المرحوم قبل ان يسند اليه الامر (٤) عن السير ص ٥٤٦

هجمات اسحاق بن يحيى الميورقي الذي ظهر في وقته ، وهو الذي خرب شمال افريقيا وبلغ الى وارجلان في جنوب الجزائر وهدم اسوارها وخرّبها بعد حروب هائلة سنة ٦٢٦ هـ . وهاجم جبال نفوسة عدة مرات بجيوش كالجراد حتى انه احرق بعض القرى التي هي اسفل الجبال مثل « جنان » فانه احرق من بساينها نحو اثني عشر الف شجرة من نوع الزيتون خاصة . وموضعها يسمى الى الآن بالمحاريق . وقصد ذات مرة مركز الامام نفسه وحاصر الجزيرة وهي جبل مشهور بمناعته بالقرب من مدينة « سروس » المشهورة في التاريخ (١) حتى ان صاحب قاموس اللغة ذكرها في كتابه ومكان عسكره معلوم الى اليوم . وقد قال المؤرخون منهم ابن خلدون انهم صالحوه ذات مرة تجنبها لسفك الدماء بالف الف دينار مكررة يعني مليونين من الدنانير وارتحل عنهم . وهذا مما يدل على ما كان لديهم من الثروة الواسعة وكثرة النفوس .

وجبل الجزيرة هذا قريب من مركز الامام وكان له مدخل صعب خصص الامام لحراسته رجلا مشهورا عندهم بالشجاعة وكان يعاينه كل يوم اربعة دراهم (٢)

وبما ورد عن السنة العامة انه لما طالت احدى محاصرات جبل الجزيرة وظن العدو انهم سيسلمون بسبب الجوع اطعموا عجلا قححا وعدسا وقولا وصار الصغار

(١) مدينة « سروس » المذكورة كانت من اشهر بلاد الجبل واكثرها عمرا انا واكبرها اسواقا وكانت محط رحال قوافل التجارة الى السودان ولم يبق الآن الا اطلالها وهي في جنوب جبل الجزيرة المذكور ، وفيما بينهما يوجد الجبل الشاهق المنيع الموجود في قمة اطلال قصر « ولم » الذي ذكر التاريخ — كتاب السير — انه كانت به مكتبة « نفوسا » المشهورة التي كانت فيها ثلاثة وثلاثون الف مجلد من كتب المشاركة خاصة وكن الدماء والطابة بأثر اليها لفظالعة والنسخ من كل فح عدي ، وقد ذهبت كلها ضحية الفتن العمياء والحروب الهجينة السماء والامر لله بفعل في ملكه ما يشاء .

يطاردونه الى ان وقع من الجبل الى جهة العدو فأثوه وشقوا بطنه ولما رأوا ما فيه من القمع وغيره يشسوا من اخضاعهم بالجوع فارتحلوا .

ومما يحكى فى هذا الصدد ايضا انه لما طالت احدى محاصرات جبل الجزيرة حملوا شباك حطب على ابل كثيرة فى ليلة مظلمة قصدوا معسكر العدو وكان حوله خندق كبير فقبضوا على الحارس وادخلوا الابل الى المعسكر واطلقوا النار فى الحطب فحقت الابل وتفرقت فى المعسكر تجري والنار تلهب فى الحطب الذي على ظهورها فظن العدو ان اهل الجبل قد استولوا عليهم فتراموا فى الخندق وصار بعضهم يضرب بعضا وهم لا يشعرون حتى هلك اكثرهم وتشتت الباقون . والظاهر ان الحكاية المذكورة فى بعض التواريخ كانت فى هذه الواقعة .

خلاصة الواقعة

هى ان عدواً حاصر جهة من جهات جبل نفوسة مدة طويلة بجيش قوي ثم هزموه وشتتوا جموعه ، واختلف العلماء فى مخلفاته ثم قرروا اتلافها محافظة لقطرهم من تفرق المال الحرام فيه فجمعوها فكانت كالجبل العظيم واضرموا فيها النار فارتفعت الى عنان السماء حتى شوهدت من البحر وقيل من قابس ، اما الحيوانات فالظاهر انهم ذبحوها .

وهذه حكاية تشبه الحكاية التي ذكرها كل المؤرخين كابن خلدون وابن الاثير عن تغزى ابي منصور اليأس امير نفوسة عن اموال العباس بن طولون الذي تحرك من مصر قاصداً الاستيلاء على طرابلس والمغرب فلاقاه ابو منصور بجنوده وهزمه شر هزيمة وترك جميع ما اتى به من الاموال من خزائن مصر ولم يأذن ابو منصور لعسكره ان يأخذوا منها شيئاً فنزها عن اموال اهل التوحيد ولو كانوا بغاة فتناهبها العربان .

وقد تقدم ذكر ما كانوا يجرونه من المراقبة في الاسواق لمحافظةها من دخول المال المستراب اليها في عصر الامير ابي الربيع سليمان الباروني ففيه كفاية لتأييد هذه الحكاية .

وقد هرب اسحاق بن يحيى الميورقي المذكور الى الصحراء بعد تشتت جموعه وهناك مات وحيداً شريداً في حدود سنة ٦٣١ هـ والميورقي المذكور من جزيرة ميورقة من جزر البحر الابيض المتوسط التابعة الآن لحكومة اسبانيا

وفاة الامام

لما مات الامام ابو يحيى حزن عليه الخاصة والعامة ورثي بقصائد كثيرة من طلبته رأيت منها جملة (١) وصلى عليه يوحين بن نوح من بلدة امسين ، ووعظ الناس ، واليه يشير الشيخ ابو نصر في مرثيته اذ قال « قام الخطيب الخ وسنذكر المراثية ، وقد ساد من طلبته جماعة ، وبالجملة فان الشيخ الامام ذو حزم لآخرته ولدنياه ووصل معروفه القريب والبعيد والمطيع والعاصي وفي مدة حياته اقام منار الحق رحمة الله علينا وعليه اه (٢)

كانت وفاته رحمه الله في اواسط المائة السابعة تقريبا ، ودفن في محفل عظيم حضره العلماء والادباء والشعراء والرؤساء واشتدت في مصابه الجلل المراثى وتليت فيه الخطب ورفعت الاكف بالأدعية ، وقد اختاروا لدفنه ربة عالية امام بلدته في سفح الجبل المعروف بجبل « تيلجام »

ولا يوجد بقرب قبره الا بعض قبور في حديقة لبعض افراد عائلته ، وهو مشهور باجابة الدعاء فيه ويزار الى اليوم .

وقد بقي من مدرسته قسم من مسجدها في ربة عالية فيما بين قرية « تيفزغت » وقرية « إيجرجين » وهي مشهورة بمحكمة أبي يحيى وبمسجد تمليس

(١) من كلام البدر الشماخي رحمه الله (٢) عن السير ص ٤٨٥

مرثية أبي نصر

ها هي هذه مرثية أبي نصر البليغة ، وهو شاعر ذلك العصر الذهبي ، وهو ابن أخت الإمام المرحوم وتلميذه العبقري وهو صاحب الديوان المشهور عند الطلبة « بالدعائم » قال رحمه الله :

أخرى واجدر بالاجفاف والمقل	تفنى بكاء على الاسلام لم تبلى
دعها تسيل اسال الله مقله من	يسطو عليها بسطو العتب والعذل
أبعدا نوسها تهوى الكرى وسنا	لا قر انسان من بالنوم مكتحل
أبعدا ما غاب بدر الدين في جدث	يها الحياة بنو الآداب بالامل
كيف البقاء لطرف زال ناظره	حين اعترته بنان الذل بالسمل (١)
زر ساحة السفع واسفح عندها حزنا	دمعا يزيد على التسكاب بالهطل
قبر بجانبه الغربى أرقني	من اجله بت ارعى النجم في التلل (٢)
سقيا لساكنه رعا لقاطنه	سجت عليه عيون المزن لم تبلى
اغني الولي ابا يحى الذي حييت	صوى العلوم بمحياء ولم يأل
هب الذمعة فوافى الناس مدفنه	كل يفديه بالاباء والنسل
يا موقفا شهدت نفسى حقائقه	عجت عجيجا به الاشهاد من وجل
تزاحم الناس عند الالحد مكرمة	ولا تزاحم باب البيت عن عجل
قام الخطيب يبكي شجوا مفقده	هلا تزاحتم في القول والعمل ؟
مضى الولي فاين اليوم مغزنا	اين الشكاية ما لله من مثل ؟

(١) قال المرحوم بتأمل في معناه قلت : ولله « بنان الهول الخ »

(٢) قال المرحوم كان شيخنا القاطب رحمه الله كثيرا ما يكرر هذا البيت عندما احضر امامه قبل الدرس ؛ وما كنت اعرف هذه النصيدة ولا اعرف ان ابا يحى جدي الا بعد ذلك ؛ وكانه كان يعتقد انى عالم بذلك رحمهما الله .

فشط عما مزارا غير ما ملل (١)
وما بذاك يكافي الود ذو نبيل
حثو التراب على المحبوب في التل
يا وحشة السيرة الغرا عن الاول
قدما جرى في نبي الله والرسول
وفي الذرى لوعول صعبة السبل
ولا اعتصام له بالظيل والاسـل
جوزيت خيرا عن الاسلام بالجـذل
اولا - فلا ولدت عن آخر الطول
ويؤثر أجدد دون الهزل والخلل
مأمون عيب نقي العـرض ذو بذل
تأتى بإيتامها شعثا من الهـزل
أحـال حالته دهر أخـو غـلل
وكنـت غوثا لهم في العل والنـهل
وانزح الميت المحروم بالاجـل
كمذرع البحر لم يوزن ولم يـكل
بل ويهون صغير الرزء والجلـل
مهلا بفيك تراب السهل والجـبل
مات من انهـج الاولاد للسـبل
حتى يئول اصيلـا غـير مـدخل
خلا لك الجو قولا صادق المـذل

كان الحبيب الينا والخي بنـا
احبنا فيه من جاد الرجام به
ومن أذى هذه الدنيا وجمعتها
يا غربة الدين بعد الشيخ مفتقدآ
لا - عن تراض جرى حكم المنون به
قسراً على الاسد في الاغـيال واغـلة
مالامره في الذرى امن ولا ثمة
قد طبـت حيا وطبت ميتا نـخراً
كمثله فلتأند انثى مفاخرة
يستصحب الحق فى احكامه ابدآ
عذب الشماكل محمود خلائقه
فمن لذي البؤس يأتيه وارملة
ومن لمرتعش داني الخطا زمن
لو كنت حيا حياك الله رشتهم
ما اقرب القبر يوماً فى زيارته
ارى الولي وتعداد مناقبه
يستصغر الكرب فى جنب الفجوع به
يا ايها الشامت المبدي شماتته
فى نجله خلف طابت أرومته
يستأسد الشبل نزاعا لمصره
لسنا نقول بوهن لا ولا خور

نعم الولي بعهد الدين ذو ورع بعد المقدس روحا عند ذي الاجل
حييتم وحييتم في سلامتكم بني « الامام » وعثتم طيب النزل
شكراً لأنعم من اهدى السداد لكم حتى سلكتم سبيل الوالد الكمل
صلى الاله على نبينا المصطفى وخصنا بعده بصالح العمل
ثم السلام على الاخوان كلهم ما لاح لابن دكا نور على القل
وقد رثاه العلامة الجليل الشيخ ابو زكريا يحيى بن الخير الجناوني مؤلف
كتاب الوضع بقصيدة بليغة ذكر الشاخي انها عرضت على البلغاء والفصحاء واهل
المعاني من علماء عصره فاستحسنوها ومع الاسف لم نعتز عليها (١)

١٢ - الامير ابو زكرياء الباروني

هو الأمير ابو زكريا يحيى بن الامام الباروني كان في جهة يفرن ومعه
حاشية جماعة من العلماء والتلامذة يحول في البلاد ويذكر الناس وينبهمهم ويعظمهم
واظنه كان حاكماً بحبل نفوسة (٢)

١٣ - الامير الشيخ بن ابراهيم الباروني

هو الامير المعروف بالشيخ ابن ابراهيم ابن الامام الكبير ابي يحيى الباروني
ولي اميراً على الجبل فاعطى الامارة حقها ، وكان حاكماً عدلاً ، وقاماً للجورة
باسلاً . اخذ العلم عن شيخ الاسلام عيسى الطرميسى ، وكان شديد الشكيمة في
الحق لا يخاف في الله لومة لائم متعففا الى درجة خارقة للعادة (٣)
عدله وتعففه

مما يحكى عنه في هذا الباب ان بعض الرؤساء وهو عبد العزيز بن فدرحون

(١) قال المرحوم الباشا ارجو يا ابا اليعقوبان البحث عن هذه القصيدة في خزائن ميزاب

(٢) عن السير صفحة ٥٥٣ (٣) عن السير صفحة ٥٥٤

دعاه الى طعام فى بلدة « جناون » وكان أتاها زائراً وبعد ان اكلوا ذكر له انه اتفق هو وخصمه على ان يتحاكما عنده بعد صلاة الظهر ، فغضب الأمير وسأل رفيقاً له عن ثمن الطعام فوضع مثليه فوق الطبق وخرج بدون ان يدعو الدعاء المعروف فى ذلك المهد بعد الطعام (١)

وفاة الامير

توفي الامير وشيخه المذكور فى يوم واحد عام اثنين وعشرين وسبعمائة (٢) وقد رثاه الشيخ طاهر بقصيدة بليغة مظلما :
يموت الصالحون وانت حي ، الخ ولم تحضر عندي وقت تحرير هذه الرسالة (٣)

١٤ - شيخ الاسلام ابو عزيز البارونى

هو اخو الامير الشيخ ابن ابراهيم ، ابو عزيز ابن ابراهيم بن الامام الكبير أبى يحيى البارونى ، كان بحراً فى العلم شديد الورع أخذ العلم من معدنه شيخ الاسلام عيسى الطرميسى ، وبعد وفاته اسندت اليه المشيخة الكبرى وتوفى عام ٧٤٦ هـ (٤)

١٥ - ابو عبد الله محمد بن الشيخ البارونى

هو العلامة الجليل الشيخ ابو عبد الله محمد بن الشيخ بن ابراهيم بن أبى يحيى البارونى ، أخذ العلم عن عمه أبى عزيز ، فكان شيخاً فاضلاً .
وهو الذى ألف الكتاب الذى نقل مسائله عن عمه أبى عزيز وهو مشهور — يعرف فى هذا الوقت بلغظ أبى عزيز — وقد ذيله بمواعظ ووصايا وحكم

(٢-١) عن السير ص ٥٥٥ - ٣ قال المرحوم البارونى « ارجو يا ابا اليقظان ان تبحث عن هذه القصيدة . » (٤) عن السير ص ٥٥٤

وكان سخني النفس وبقي ذلك في ذريته . وكان يحبي ليلة الجمعة في مسجد وشيشال خارج البلد المعلوم بالبركة واجابة الدعاء . وقد تزوج في قبيلة كككه وتوفي رحمه الله في عام نيف وتسعين وثلاثمائة — لعله وسبعائة — حسبا علمنا من وفاة شيخه ابي عزيز في عام ٧٤٦ هـ (١)

١٦ - الشيخ ابن ابي عبد الله الباروني

هو العلامة المعروف بالشيخ ابن ابي عبد الله محمد بن الشيخ الباروني . كان مشهوراً بالخير وباسط اليد ، أخذ العلم عن العلامة الشيخ ابي ساكن عامر بن علي الشاخي صاحب التأليف المشهور بالايضاح ، وله مسجد بناه داخل داره يجلس فيه ويفشاه فيه الزائرون . وله اخبار مشهورة مذكورة في الجود والكرم .

من ذلك انه اتخذ جفنة ملاءها بالبسيس — وهو نوع من الطعام معروف في طرابلس مثل السويق — فاذا نقد ملاءها ثانيا وهكذا دأبه . فكل من دخل عليه أمره ان يأكل فكثير ومقل وصائم . واشتهر عنه ذلك فكان الأعراب يغشونه ، وقد مات في عام ٨٣٣ هـ . وعادى بنوه على ذلك فهدى الى يومنا هذا كذلك حتى اشتهرت عائلته بابناء أبي بسيسه ، وكذلك يكتبون في حججهم (٢) وهم العائلة الموجودة الآن في القلعة في جبل يفرن . وقد سمعت وانا في السلمون في ابتداء الحرب الممومية عام ١٣٣٣ هـ بأن في قبيلة اولاد علي بحجة المطروح التابعة لمصر عائلة قديمة كبيرة تعرف باولاد ابي بسيسه ، ولم يتيسر لي تصحيح نسبهم اذ ذاك ولعلمهم فرع من العائلة .

والتواتر ان جدة اولاد أبي سيف اهل الشهامة والنجدة من هذه العائلة ، بل يؤكد بعضهم انها ابنة الشيخ ابي حفص عمر الآتي ذكره .

قلت : وتوجد في القرارة من قرى ميزاب عائلة كبيرة تدعى بآل بسيس ولعلها تحدثت من هذه العائلة الماجدة ، كما تدل على ذلك ارومتهم المكرمة التي من بينها الاستاذ الشيخ قاسم بن الحاج سعيد مدير مدرسة « الحياة » الحالي بالقرارة .

١٧-١٨ - الاخوان ابو الربيع وابو محمد الباروني

هما العالمان الجليلان ابو الربيع سليمان وابو محمد عبد الله ابنا، الشيخ ابن ابي عبد الله محمد الباروني ، اخذا العلم عن الشيخ ابي حازم نوح بن حازم . ومات ابو محمد عبد الله بن الشيخ في عام ٨٢٩ هـ في مدينة طرابلس وهو مسافر الى الحج ، وخلف ابنا اسمه ابو حفص عمر مشهور بالورع والصلاح . وهو اليوم التافئ بامور الدار والاطعام وغير ذلك (١)

اما ابو الربيع سليمان فانه مات في عام ٨٦١ هـ في تاسع رمضان . دخل عليه شيخنا — يعني ابا غنيم صالح بن نوح بن زكريا — وهو — يعني ابا الربيع سليمان — شيخ كبير وأخذ يسأله عن ادراك من المشايخ ، وكيف كانت سيرتهم ؟ فاتاه من يدعوه إلى الطعام ، فثأر الثأدة ولم يرد ان يقطع السؤال . فقال له ابو الربيع سليمان قم مع الداعي يا ابا غنيم اني ادرت اتباع المشايخ لو ادركوني واني لم يصلوا خلفنا لشدتهم في دينهم وقوة ورعهم (٢)

١٩ - الشيخ محمد بن زكرياء الباروني

هو العلامة الجليل الشيخ محمد بن زكرياء بن موسى الباروني ، وهو مؤلف رسالة نسبة الدين التي ذكر فيها الثقة المأخوذ عنهم الدين جيلا بعد جيل من

نفوسة وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومن ذكره فيها من الثقات
 الشيخ ابو زكريا ابن عيسى الباروني والشيخ ابو عزيز الباروني والامام ابو
 يحيى الباروني والشيخ ابو سليمان داود الباروني والشيخ ابو الربيع سليمان بن
 هارون الباروني ، وقد الف هذه الرسالة عام ٩٦٩ هـ تقريرا رحمه الله وايام اجمعين
 قلت : ان هذا الشيخ الجليل هو صاحب الشيخ ابي مهدي عيسى بن
 اسماعيل الميكي الميزابي الذي كان مالكيا ومن اولاد نائل فرج الى المذهب
 وكان من اهل الورع والاستقامة والرسوخ في العلم . وله ديوان شعر رائع
 ورسالة بليغة في الرد عن بعض الطاعنين ، يدافع فيها عن زميله الشيخ ابي
 عبدالله بن محمد المرزوقي اذ طعن فيه البعض اثر رجوعه للمذهب الاباضي عام ٩٢٩ هـ
 وقد ذكر في كتاب « موانع العامة » لاتفاقات وادي ميزاب في شأن
 اتصال هذين الشيخين الجليلين : الشيخ محمد بن زكريا والشيخ ابي مهدي عيسى
 ما نصه :

« ومما سبق ان ثلاث مسائل اتفق عليها عزابة خمسة قصور في روضة ابي
 مهدي عيسى بن اسماعيل الميكي في زمان الشيخ محمد بن زكريا النفوسي الباروني
 وقد كان قعد في ميزاب الى ان مات ابو مهدي الشيخ عيسى بن اسماعيل
 فانتقل الى جبل نفوسة ... الخ

اما وفاة ابي مهدي الشيخ عيسى فقد كانت بمليكة في ليلة ١١ ذي القعدة
 عام ٩٧١ هـ اي بعد تأليف الشيخ محمد ابن زكريا لرسالته « نسبة الدين »
 بنحو عامين .

ويبحث هل اتصال الشيخين احدهما بالآخر اتصال صداقة واخوة ؟ ام
 اتصال تلميذ بالاستاذ ؟ وايهما اخذ عن الآخر ؟

على ان الوثيقة الموى اليها تشير الى ان الشيخ محمدا هو الذي كان يأخذ عن

الشيخ ابي مهدي فلما توفي انتقل الشيخ محمد الى جبل نفوسة رحما الله ولعلنا
نقف فيما بعد على حقيقة الامر بحول الله .

ولا منافاة بين وقوع الاتفاق في روضة ابي مهدي في زمان الشيخ محمد
وبين قعوده الى ان مات الشيخ ابو مهدي ، اذ يمكن ان يمدد الاتفاق في
روضة الشيخ مهدي وفي زمان الشيخ محمد اثر موت الاول وقبل انتقال الثاني
الى جبل نفوسة ، فتأمله .

يا ما اغرب الصدف !

بعدما حررت ما تقدم ورجعت فيه ما رجعت راجعت رسالة « نسبة
الدين » للشيخ محمد المذكور ، وهي مطبوعة في « سير الشاخي » فوجدته
يقول ما نصه : (١)

« وقدمت ايضا عام احد وستين وتسماة الى جبل بنى مصعب ولازمت الشيخ
ابا مهدي عيسى بن اسماعيل غفر الله له ورضى عنه واخذت عنه فوائد جمة في
التوحيد وغيره .

وقراءته هو على الشيخ سعيد بن علي الخيري الجربي عن الشيخ ابي النجاة
يونس بن سعيد المذكور ، انفا عن الشيخ ابي عنيف صالح بن نوح النفوسي .
الح والحمد لله على هذا الاتفاق .

خاتمة

قال المرحوم الباشا ما نصه :

احرر هذا وانا انظر الى احد جدران المسجد العتيق لأبي يحيى زكرياء
الجنائني معتبراً بما ارله مكتوبا فيه بالمداد مما يدل على تقلبات الدهر واحواله

وكانت كتابته في عصر الشيخ محمد الباروني صاحب الرسالة المذكورة . قال
المكاتب ما نصه بحروفه :

فى سنة احدى وثلاثين بعد تسعمائة ابتاعت الدجاجة بحجرة زيت وابتاع رأس
الثور باريق جرات زيت وابتاع الزيت فى السنة المذكورة وبية شعير بقميز
زيت والدينار بسبعة اقفة زيت والحمد لله على الرخاء والشكر على نعمائه . اه
ثم قال المرحوم الباشا :

أقول : الجرة المذكورة عبارة عن وعاء بـكال به الزيت معمول من النخار
معروف من منذ الف سنة تقريبا ، اعني من مدة عمران مدينة « جادو » الى
هذا الوقت يساوي ٨ ليترات الاشيتا قليلا ، والقميز يساوي جرتين اعني ١٦
ليتر الاشيتا قليلا وكانوا في زمن نفوسة يصنعون للقميز وعاء مثل الجرة ايضا
وقد عثر بعضهم في زماننا هذا على واحد منه مدفون في انقاض بناء عتيق في
جهة فساطو وتلف في ايام هذه المحاربات التي أدهشت العالم وبدلت الارض غير
الارض ، كما تلف محتاج مدينة زواغة « صبره » عاصمة الجبل على البحر في اعصر
مضت ، فانها كانت عند عائلة في فساطو من قبيلة اولاد سلطان كان جدتهم
حارس باب المدينة وكان هو آخر من انتقل من زواغة الى الجبل على ما يقال ،
وهي من حديد جميلة الشكل والصنع . والامر لله .

هذا ما امكن الوقوف عليه من تاريخ العائلة البارونية من اواسط المائة
الرابعة الى اخر المائة العاشرة من الهجرة ، وقد نبغ منها بعد المائة العاشرة
رجال لهم من الجاه والعلم والشهرة ما يستحق ان يدون ولعدم تدقيق تواريخهم
بصورة موثوقة نكتفي بمن تقدم ذكرهم (١)

فان المطالع يرى سيرتهم كسيرة الصحابة والتابعين لا تعظم ولا تسكبر مع

العنة التامة والعلم الغزير والاعتناء بالدين والعدل ، كتاب الله حجتهم وسنة
رسوله دليلهم ، وه آثار السلف الصالح منهمجهم ، ان جلسوا للحكم عدلوا وان
تصدروا للتعليم اجادوا وأحيوا ، وان قاموا للدفاع عن وطنهم وملئكم ابلوا
ونصروا ، وان بسطوا ايديهم للاحسان اغنوا ، وان شمروا للعبادة صاموا
النهار وفي الليل تهجدوا ، فهم كما قال الشاعر العربي :

الخليل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
او كما قال معاصرنا سلالة المجد صاحب جريدة المرشد الشيخ سليمان
الجادوي الاديب في حقهم من قصيدة له - يعني رحمه الله نفسه وه اباه :
اجدادك الغر في العصر القديم علوا فانخر باصل شهر المجد في الكتب
منهم امير ، ومنهم عالم ، وبهم اسد وذو المال منهم حاتم العرب
وكيف لا نرى التاريخ مجدهم في كل عصر وهل للبدر من حجب
او كما قال الشيخ عربي النقيب وزملائه من علماء زوارة الادباء في حقهم
من قصيدة خاطبوني بها قديما :

قد سدت جيلك مثاما سادت به اجيالها ، اباؤك النجباء
جمعوا من الدارين كل فضيلة فهم الاماجد منهم الامراء
وهم الذين سمت معارفهم على نهر المجرة منهم الكرماء
فانخر بسلسلة تواتر ذكرها بالمجد ولتتمخر بها حواء
هذا وهم - مع ذلك - في سائر احوالهم الخصوصية كآحاد الامة بدون فرق «
حرره في العشرين من شهر جمادى الاولى سنة ١٣٣٩ هـ بقربة جناون من
قري جبل نفوسة .
والي وقومندان طرابلس الغرب وملحقها

مدة الحرب العمومية واحد اعضاء مجلس الاعيان العثماني

سليمان الباروني

والد الباروني باشا

هو العلامة الجليل الشيخ عبدالله بن يحيى بن احمد الباروني ، وقد وصفه قطب الائمة الشيخ طغيش في بعض رسائله بقوله : والشيخ عبدالله بن يحيى هو عالم ووارع نفوسة ، قال : « واظنه تربي »

اخذ العلوم الدينية عن العلامة السكبير الامام الشيخ ابي عثمان سعيد بن عيسى الباروني نزيل جربة الذي وافته بها منيته في عام ١٢٨٢ هـ

ثم انتقل الى مصر للاغتراف من مزايل الازهر الشريف ، ولاسيما العلوم العقلية منها . فكان مثالا للجد والكد والتحصيل والعفة والنزاهة والخلق الكريم ، فاكتسب بهذه الصفات مكرما ممتازا بين علماء وادباء مصر في ذلك العصر عامة وبين رفقاءه من النفوسيين خاصة ، من بينهم ذلك السري الماجد العلامة الشيخ سعيد بن قاسم الشماخي الشهير الذي كان وكيلاً للدولة التونسية في مصر سابقا الى ان توفي فيها .

وكان من اصدقائه الكبار العلامة الجليل الفقيه الشيخ ابو زكريا يحيى بن ايوب الباروني الذي هو من بلدة « كباو »

مؤثره

بعد ان أخذ حظه من العلوم العربية بمصر رجع الى وطنه جبل نفوسة فاستقر بغساطو وهو على جانب كبير من العلم والورع والاستقامة ، وكان له نثر رائق ، وشعر فائق ، واسلوب جذاب أمتلك بها مجامع الفلوب من العلماء والادباء ورؤساء الدولة العثمانية وولاتها اذ ذاك بطرابلس الغرب . فكان له بهذه الصفات الحميدة حظ موفور من الواجهة والقدر والاحترام ، ظهرت فيما بعد نتائج الكبيرة من جلب نفع ودفع ضرر للاسلام ولابناء وطنه طرابلس ولاسيما

ازاء محنة ابنه العزيز سليمان على ما يأتي بيانه . وقد تصدى لنشر العلم والوعظ والارشاد ومكافحة الجهل والامية بين ابناء وطنه .
تلامذته

من اجل ذلك الجد والنصح والدأب المتواصل تخرج عنه تلاميذ نبهاء من بينهم شبلة العظيم الشيخ سليمان باشا الباروني ، ومنهم العالم الجليل شيخ الصحافة التونسية مدير جريدة مرشد الامة الشيخ سليمان الجادوي ، ومنهم الاديب اللامع الشيخ عمر بن عيسى التذميرتي صاحب الديوان الشهير « الغلائد الدرية » الذي سكب فيه دموعا سخينة على الاسلام واهله .

ومذهب النقيب الشيخ ابو زكرياء يحيى بن اخيه الشيخ عيسى وهو - فيما بعد - ابو زكرياء مفتي لالوت وتوفي في عام ١٣٢٤ هـ ، ومنهم ولداه الذكيان الشيخان يحيى واحمد وغيرهم .

مؤلفاته

كما أخذ حظه من تاليف الرجال ، فانه أخذ حظه كذلك من تأليف الكتب ، وقد رأينا من تأليفه رسالة قيمة في التاريخ « سلم العامة والمبتدئين » وهي كاسمها - حقاً - سلم للعامة والمبتدئين للعروج بهم الى شواهد الرجال الكبار . ومنها ديوانه الشهير (بديوان الشيخ عبد الله الباروني) وهو لعمرى مرعاة انعكست فيها أشعة علمه وأدبه وثقافته وخلقه الكريم في سائر اطوار حياته . وعظ فيه وارشد ، ونصح وذكر وأنعم به روح الدين والفضيلة ، سكب فيه دموعه السخينة وأجج فيه عواطفه الملتهبة نحو اخوانه في الدين .
أمتدح فيه الرسول الكريم ، ونوه بالعلماء والصالحاء وأشاد باولي العدالة والعفة والنزاهة من القضاة والامراء والرؤساء .

ورثنا بدموعه الحارة اولئك الراحلين من اهل العلم والصلاح والاصلاح (١)
مختارات من ثرله ونظمه

لأجل ان يقف الاخ القاري على كنهه ما يتحلى به من الفضائل التي أشرنا
 اليها ، نورد فيما يلي بعض نماذج مما دبحه براءه الرفيع من ثر ونظم في مختلف
 المواضع .

اما ثرله فاليك مقتطفات منه فيما يأتي :

١ - (وصية الى الاخوان)

« واعلموا ايها الاخوان - ان متقي الله مرحوم مؤيد ، معصوم مسدد ،
 ترى في مطالبه الذجاح وفي غدوه ورواحه الصلاح ، واياكم والتحاسد والتدابير ،
 والتباغض والتشاجر ، وعليكم بالاجتماع على فعل الخيرات واكتساب الطاعات ،
 والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا
 تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب . وقال صلى الله عليه
 وسلم (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا او كما قال
 وايضا (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وتوبوا الى الله جميعا
 ايها المؤمنون لعلكم تفلحون . ثم قال :

فانه لا ينفع العبد الا ما قدمت يده ، وليس كل من انتسب الى مذهب من
 المذاهب بطمع بمجرد ذلك الانتساب بالنجاة والنور بالجنات ، هيئات ان يكون
 ذلك نافعا بدون فعل المأمورات واجتناب المنهيات في جميع الاوقات . قال تعالى
 (ان أكرمكم عند الله اتقاكم) وقال في بعض كتبه المنزلة على بعض انبيائه :

(١) وقد كنت ارسل اليه من ميزاب رسالة وقصيدة مطلعا :

ما بال بالي لم يبال بحالي انفاه في امر لصعب الحال

ولست ادري هل اتصلت به ام لا ؟

(خلقت الجنة لمن اطاعني ولو كان عبداً حبشياً و خلقت النار لمن عصاني ولو كان ملكاً هاشمياً .

فالمدار كله والاعتماد على التقوى فانها شاملة لسائر اعمال البر ، وحصر الله تعالى قبول الاعمال فيها حيث قال (انما يتقبل الله من المتقين) جعلنا الله واياكم من الموفقين لطاعته السالكين سبيل مرضاته بحاجه محمد وءاله .

٢ - لما أتم قطب الائمة الشيخ طفيض رحمه الله شرحه لشرح العدل والانصاف لبدر الدين الشماخي رحمه الله كتب في شأنه المرحوم الشيخ عبدالله تقریظاً ثراً ونظماً ابدع فيهما واجاد ، وفيما يلي قطعة النثر منهما ، قال :

« سبحان من نجز ينابيع محاسن الفضائل والحكم ، من غوامض عيون خواصه فسألوا بمجوامع السلام ، نحمدك اللهم حمداً يملأ حسابانه الكون ، وتمنحنا به جوائز الهداية والتوفيق والعون ، ونصلي ونسلم على من اكتسى بحل النبوة والرسالة ، الماحي بشوارق انواره ، اثار الغيايب والضلالة سيدنا محمد المتوج بمحاسن الارشاد والدلالة وعلى ءاله واصحابه ذوي الفصاحة والبلاغة والمقالة .

اما بعد — فقد وقف العبد الفقير على هذا الشرح ، المشيدة مبانيه كالصرح الذي كشف قناع الخفاء والسدل عن شرح مختصر العدل ، فسرحت النظر في بساطينه واجلت جواد الفكر في ميادينه ، فاذا به روض باكره الغمام ، او زهر ربيع مفتوح الاكام ، هب في ظلاله نسيم الصبا فترنحت به معاطف الربا فمال اليه قارب كل اديب وصبا ، كيف لا وهو جنة الذميم ، فيها نعيم مقیم ، بل جنة المأوى ، فيها ما تشتهي الانفس وتهوى ، فأبوابه كالحائل وفصوله كالجداول ، شرح اوى مؤلفه بحجاده الشوارد واروى بشيم زلاله الهائم الوارد ، ومنح المستوجبين له جوائز الفوائد ، وقلد جيودهم بنفيس الفرائد وغرب المعوائد ،

فهو كنز مليء اغنى رائده ، وبحر قلنس اروي وارده . فبانيه زاهرة ومعانيه
ظاهرة ، اعجب برقة سبكه افكار الافهام وارق بروض ازهاره ذوى الاحلام ،
فهم من كثوس رحيقه يرتشفون ومن ثمار حدائقه يقتطفون . قد شفى في
وضعه وكفى ، فرق طبعه وصفا . شرح تكل اللسن عن وصف محاسنه
الرائقة وتلد الاعمى بعراض ابكاره الفائقة . ان قلت مزاجه زنجبيل عاملك الله
بلطفه الجليل ، او قلت مزاجه كافور عاملك الله بمزيد الاجور .

قد اظنبت فيه وهذب واوجز فاغرب . فهو في الصفو كزلال الماء وفي السمو
كالهجرة في عنان السماء .

فلعمري ان من اراد الفوز والوصول والترقي الى قنن شناخب الاصول -
فعليه بهذا الشرح الجليل المهذب الجليل العذب السلسبيل الشافي الغليل لكل جهنذ
نبيل . فليتمهل في رياضه ، وليرتشف من زلال حياضه وليمتط متون جياذه ،
يفز ببغيته ومراحده . فاقد صدر عن ذهن ثاقب وفهم صائب ونفس صادقة
وروية فائقة وبديهة ملأت بتثايلنها المشارق والمغرب ، وقريحة اذا شمت وميض
برقها تذكرت مدين المثارب .

فكان مطلعه في فلك الاصول كالشمس وضحاها حيث لم يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها .

فانه تعالى يديم مؤلفه خالداً في جنان الامان منوها بذكره في كل مكان
ملحوظاً ومخوفاً بعناية الملك الديان من كل خب وحاسد وشيطان . آمين
يا رب العالمين .

وقد تكلف هذا التقريظ من النثر والقريض من سحبت عليه المعائب اذيالها
وتحمل اعباء الذنوب انقالها ، الراجي من لطف خالقه ومولاه زوالها المتخلق
لهذا العلامة بالموددة والصفا والتمسك معه باسباب الصداقة والوفاء فقير ربه

واسير ذنبه عبد الله بن يحيى بن احمد البارونى النفوسى . كتب الله له ولهذا العلامة الجنة ، ولمن صلح من المسلمين اجمعين . واهل دعوانا ان الحمد لله رب العالمين . حرر في ثمانى عشر شهر رمضان سنة ١٢٩٩ . اللهم اختم بخير اامين
واما نظمه فاليكم زهرات منه فيما يأتى :

لما نفي قطب الائمة الشيخ طفيش بعض حساده من بلده يزقن في جملة من
نفوا الى بنورة من المشائخ والعلماء كتب اليه الشيخ عبد الله وهو صديقه الحميم
قصيدة بليغة يسليه فيها تقتطف منها الايات الرائعة للمبرة والذكرى .

قال رحمه الله ورضي عنه :

أحيا لنا السيرة الغراء حين غفت	رسومها واعترى ابوابها السدد
أعيت محاسنه من رام غايةها	فكيف وهو امام الوقت والعمد
لو كان فى قومنا كانوا له تبعا	وامتثلوا أمره فى الكل واعتمدوا
لكن برابرنا سود ضمائرهم	ان منحوا فاضلا عابوه وانتقدوا
وهكذا دأبهم فى كل ناحية	فقد تحلوا بهذا الوصف وانفردوا
يا سيداً حاز نخرأ لا تفاد له	انت الهمام وانت الضيفم الاسد
قد جاءنا خبر انك منفرد	من اجل قومك قد غاروا وماسعدوا
قد حسدوك وما ظنوا بانهم	قد حسدوا فاضلا يا ليت ما حسدوا
لأنت يوسف والحساد اخوته	والكل قدرغبوا فى الفضل واجتهدوا
لكنه لم يؤاخذهم بما صنعوا	حتى علا قدره ثم له سجدوا
فاعمل بسيرته كيما ترى علما	فوق الاولى حسدوا واستكبروا وعدوا
فاغمر لهم واعف عنهم دائما ابداً	وكن حليما اذا ما القوم قد حردوا
دام لك المجد والاقبال والعمد	لك المعالي فانت السيد السند
فالت قدوتنا ونور مذهبنا	وقطب نحللتنا لك الدوا عقدوا

لأنت بالغرب والاخبار سائرة تبدي الثناء عليك ما لها فند
الى اخر القصيدة

٢ — لما ارتحل ابنه الشيخ سليمان اواف شبابه الى تونس سنة ١٣٠٥
للاغتراف من مناهل جامع الزيتونة المعمور كتب اليه قصيدة رائعة كلها تحريض
ونصائح وتوجيهات نفتطف منها الايات الآتية :

بني تنبه واستمع لمقالي	وكن واعيا لها بقلب مباشر
تعلم بني العلم والزمه دائما	قرينا مع التقوى وفعل الاوامر
تعلم بني العلم فالعلم زينة	وذخر وفخر لا تمتى في المحاضر
تعلم فان العلم تاج وهيدة	لحامله بين الرجال الاكابر
تعلم فان العلم لا شيء مثله	اذا صين بالتقوى وترك الجراير
وبالعلم يكسى المرء ثوب سعادة	وبالعلم يعلو المرء فوق المنابر
فما العلم الا كالحياة لأهله	فذكرهم يبق ولو في المقابر
أرى حامليه كالمصاييح في الدجا	بهم يستنار في التباس الدياجر
فهم خلفاء الله بعد انبيائه	على خلقه من كل ناه وءامر
عليك به ما دمت حيا فانه	حياة ونور هادي للبصائر
هو الصارم الهندي اما شهرته	تقد به جيد الابي المناظر
فواظب عليه واجتهد في طلابه	لعلك تعطاه بقسمة قادر
ودع عنك ما يلهيك عنه ولا تكن	اخا غفلة عن فضله المتواتر
وزينه بالأعمال لله واجتنب	مكائد ابليس اللعين المكابر
فعلم بلا تقوى ضلال وخيبة	وتقوى بلا علم كمتجر خاسر
تزود بخير الزاد تقوى إلهذا	بها تبلغ المأمول يوم المغافر
فما خاب عبد عامل الله بالتقى	وسارع للخيرات سرعان طائر

وجاهد هديت النفس واحذر خطوبها
ثم يقول :

وكرر كتاب الله لا تنس ذكره
فإن كتاب الله أسنى ذخيرة
الافاغتنمها يا سليمان فرصة
فعمر فراغا قبل شغلك وابتدر
ترانا نعد الوقت يوما وليلة
اهل حزت علما واستغدت فواءدا
لعمري لئن ضيعت وقتك باطلا
فما عذر من قد حل تونس طالبا

وحافظ عليه في المسا والاباكر
لقارئه يوم اللقا والمصادر
فعمر الفقى كضيف ليل مسافر
شبابك قبل الحادثات البوائر
وتنظر ما يأتى لنا من اخبار
ام انت خلى الكف واهى البوادر
لكت على حد من العمر حائر
وفيها علوم طافحات المغادر

الى آخر القصيدة (١)

ءأثاره

١ — كان من ءأثاره رحمه الله ان ألف الى جادة الاستقامة النفوس الجامحة
وجمع بين القلوب المتنافرة وحاز بين كواهل الاسود العثمانيين مكانة عليا ، لما
اوتي من الحكمة والالطف والادب وحسن الخلق والعلم الغزير .

٢ — كان المضد الايمن لابنه العزيز سليمان في تاسيس المدرسة البارونية
في بلد « يفرن » عام ١٣٢٢ هـ عكس ما عليه كثير من اضرايه في معاكسة
الوسائل الجديدة للتعليم ، ولو لم تخرج عن دائرة الدين الحنيف .

أسرته

كان ذا حاشية واسعة وحشم كثير ، وله من الابناء المرحوم الشيخ سليمان

المرجم له والشيخ يحيى والشيخ أحمد ، وسيأتي الكلام عن هذين الاخوين ضمن الكلام عن اخيهما العظيم .

وله من الاخوة الشيخ عيسى بن يحيى الباروني والشيخ الحاج احمد الباروني اما الشيخ عيسى فهو الذي عناه بقصيدته الرائعة التي ارسلها اليه من مصر يتشوق اليه ومطامها : (١)

ايها الخل ان قلبي اهتوا لك فطال اشتياقه لحلاكا
ثم يقول :

يا اخي عيسى قد بمثت كتابا ظنت النفس انه انت ذا كا
قد ازلت صداه قلب عليل كاد بالشوق ان يحل السما كا
وحذفت حروف علة جسمي حين ارسلت جازما من هنا كا
ونصبت سما لنا كان مخنو ظا بشوق وزدت رفعا لذا كا
أنت خلي وانت منية قلبي واعتمادي اذا ذكرت علا كا
وعليك السلام ما فاح روض وسلام كالمسك يبدو لنا كا

ثم بكاه بعد موته بقصيدته الرائعة التي يقول فيها (٢)
وتندب شهما ضم اعظمه الثرى وقد كان فيكم كالهزير الحلاحل
خليلي عيسى كان لله طائما وللرشد داعيا عديم المائل
فعاش زمانا ثم صار لربه حميدا وقد قفنا سبيل الاوائل
الى اواخر القصيدة

واما الشيخ الحاج احمد فهو كذلك عالم اديب له شعر رقيق ، وقد شاهدناه لما زار قطب الائمة الشيخ طغيش في وادي ميزاب عام ١٣٢٦ هـ اول ما زرناه نحن في التلمذة وشاهدنا فيه اللطف ودماثة الاخلاق .

وهو والد الشاعر الاديب الشيخ الحاج سميد الباروني صاحب الديوان الشهير
قاضي بلد يفرن اولاً ثم قاضي جادو ثانياً ، والاديب الالمعي الشيخ احمد الباروني
وفاته

توفي رحمه الله في عام ١٣٣١ هـ ونجده العظيم مشتبك في حروبه مع ايطاليا
الغاصية

وقد رثيته اذ ذاك ، وانا في شرح الشباب بقصيدة مطلعها :
ايها الهائم في وادي الامل وليك قصره وكن ممن عقل (١)

علاقات آل بارون ببني ميزاب

قبل ان نختم هذا الفصل من اجداد واهباء المرحوم الباشا الباروني يجب ان
نلم بما كان من علاقات وروابط بين نفوسة وعموما و آل بارون خصوصا وبين بني
ميزاب حتى يتسنى لنا فيما بعد ان نزل المرحوم الباشا المنزلة اللائقة بمقامه
السامي بين شغاف قلوب اخوانه في نفوسة وميزاب .

مما لا يخفى على من له إلمام بتاريخ الاباضية في شمال افريقية تلك العلاقات
المتينة والروابط المستحكمة بين نفوسة ووادي ميزاب وعموما منذ القديم من
لحمة في النسب واوشاج في القرابة واخوة في الدين وتعاون في العلم ومبادلة
في سائر وسائله وتمازج في العواطف والشعور بما اقتضى بين هؤلاء وهؤلاء
من زيارات ومراسلات ومهادات ومشاركات في السراء والضراء .

ونحن اذا دققنا النظر قليلا في هذا الموضوع نجد ان نشؤ وادى ميزاب نفسه
في اوائل القرن الخامس الهجري انما يرجع الفضل فيه الى الامام الكبير ابي
عبد الله محمد بن أبي بكر النفوسي ، وان نظامه الاساسي الحسكيم للعزابة انما

يرجع الى حكمة هذا الامام ، وان الكتب المعتمدة فيه انما هي من انتاج عقول النفوسيين غالبا : فكتاب ابن مسألة في فقه العبادات والمعاملات لهذا الامام نفسه وكتاب اصول الارضين وسيرة الدماء وكتاب تبیین افعال العباد في علم النفس انما هي لابنه العلامة الشيخ ابي العباس احمد ، وكتاب الذكاح انما هو للشيخ ابي زكريا النفوسي ، وكتاب الوضع في فقه العبادات انما هو للشيخ ابي زكريا يحيى بن الخير الجناوني النفوسي . وكتاب الديوان في فقه العبادات والمعاملات في ٢٥ جزءا انما جل مؤلفه في « غار الجمال » بجزءة هم من نفوسة وكتاب الايضاح في فقه العبادات والمعاملات انما هو للعلامة الجليل الشيخ ابي ساكن عامر بن علي الشماخي النفوسي . وكتاب القناطر في التوحيد والفقه وعلم النفس وكتاب القواعد في فقه العبادات وكتاب الفرائض في المواريث والحساب وقصاص الجروح انما هي لحكيم الاسلام الشيخ اسماعيل الجيطي الى النفوسي . وكتاب الدعائم نظم التوحيد وفقه العبادات والمعاملات انما هو للشيخ ابي نصر فتح بن نوح اللوشائي النفوسي . وكتاب نوازل نفوسة انما هو من تدوين العلامة الشيخ (فلان) النفوسي . ولقط أبي عزيز في الفقه انما كان من تأليف الشيخ أبي عبد الله محمد بن الشيخ الباروني النفوسي . ومتن مختصر العدل والانصاف وشرحه في اصول الفقه وكتاب سير المشائخ انما هذه للبدر الشيخ احمد الشماخي النفوسي الى غير ذلك .

وهكذا كانت الكتب المعتمدة المتداولة بين اهل العلم في وادي ميزاب دراسة وثقافة وفتوى واحكاما انما كان جالها لعلماء نفوسة الكبار ، وكان من هذا القبيل في الصميم العلائق والروابط بين آل بارون ووادي ميزاب بالوجه الاخص .

وفيما يلي نورد بعض نماذج من ذلك :

١ - ما كان بين الشيخ محمد بن زكرياء الباروني وبين العلامة الشيخ أبي مهدي عيسى بن اسماعيل المليكي في حوالي ٩٦٠ - ٩٧٠ هـ كما علمت تفصيله مما ذكرناه سابقا .

٢ - ما كان بين والد المرحوم وبين بني ميزاب عموما ، وما كان بينه وبين قطب الائمة الشيخ طفيش خصوصا ، ومن الصنف الاول قصيدته العشاء التي دمجها في عام ١٣٠٥ ، ومطلعهما

راكب الوجناء يطوي كل شق هاجه الشوق واضناه الارق
ثم يقول :

يا بني مصعب ما لي سلوة	عنكم حتى اراكم بالحدق
انا كصالب ويلي ذكركم	كيف يسلمون لها يوما عشق
انتم روحي وروحي انتم	كيف لا والروح فيكم قد علق
بدركم لاح بصدرى مشرقا	وسواكم في فؤاي ما شرق
قد سكتنتم بسويدا مهجتي	فلذا قلبي اذكراكم يرق
وتوجهت بكلى نحوكم	والى قبلتكم وجهى طلق
انا ان كذت بعيداً عنكم	فنفؤادى نحو مغناكم خفق
كلما هب نسيم منكم	دائما حرك وجدى بالقلق
كل وصف في هواكم سائغ	كل صعب في رضاكم مرثق
فعداني فيكم مستعذب	وودادى لكم لا يذمحق
قد سبا روحي هواكم ثم لم	احظ منكم اى لحظ ورمق
واه لو يسمح دهر باللقا	وارى نجمي محضراكم برق
أقطف الازهار من روضكم	وأدير الكأس في تلك الحلق
وأداوي القلب من داء الضنا	واجاريكم بمضمار السبق

ثم يقول :

يا بني مصعب أوصي جمعكم بالتغنى واستنقذوا من قد غرق
وانصروا الحق وكونوا عضدا واحدا يخشاكم من هو عاق
والزموا السيرة واحبوا ذكراها واحتذوها طبقا بعد طبق
واحذروا شق عصاكم واجهروا من سمى فيكم بخب ورهق
وتوقوا من عداكم وادفعوا من رمى فيكم بسهم ورشق
واشكروا الله تعالى اذ غدا صيتكم في الناس يبدو كالغداق

الى آخر القصيدة (١)

٣ — ما كان من التزاور بين آل بارون وبني ميزاب كما كان من زيارة قطب الائمة الشيخ طفيش لنفوسة ولاسيما آل بارون ، وهم اذ ذاك في الذروة والسمام من نفوسة وزيارة الشيخ الحاج قاسم بن الشيخ بالحاج لهم ، وما كان من زيارة الشيخ الحاج احمد الباروني وغيره لوادي ميزاب .

٤ — ما قام به العالم العامل الجليل الشيخ محمد بن يوسف الباروني من طبع كتب الشيخ طفيش وغيره في مطبعته بمصر مثل شرح النيل ووفاء الضمانة وجامع الشمل في الحديث و تحفة الحب في اصل الطب وغير ذلك .

٥ — ما كان بين المرحوم الباشا وبين قطب الائمة الشيخ طفيش رحمهما الله وما كان بينه وبين شخصيات بارزة في وادي ميزاب ، مما سنمرد له فصلا خلاصا في محله ان شاء الله .

* * * *

ولادة الباروني باشا ونشأته

الآن — بعد ان استعرضنا صحائف ذهبية من اجداد المرحوم الباشا وءابائه
الافذاذ — يدرك الاخ الباحث اين ينزل المرحوم بين اولئك العظام وقد نشأ
من دوحتهم العظيمة وبين احضانهم .

وعا نحن اولاء نبين فيما يلي تلك المزية السامية بينهم فذقول :

اما ولادته فاننا — رغم البحث عنها — لم نقف عليها بالضبط ، الا ان بعض
المسفين الثغاة من حاشيته ذكر-وا لما انه كانت ولادته عام ١٢٨٧ هـ في مدينة
« جادو » من جبل نفوسة .

واما نشأته فكانت بين حجر والديه ، وبعد ان تعلم القراءة والكتابة
واخذ مبادئ العلوم عن والده ايام كان مستقراً بجبل نفوسة لتدريس العلوم
ونشر المعارف اثر مقدمه من مصر ، ارتحل المرحوم الى تونس اول سنة ١٣٠٥
لتلقي العلوم العربية من جامع الزيتونة ، وفي اثناء ذلك وجه اليه والده قصيدته
الرائعة التي رأى الاخ الباحث مقتطعات منها فيما سلف . فكانت له كما اراده
منه والده رحمه الله توجيهات ودستوراً لحياته العلمية والعملية لذيابه واخراه كما
يراه الاخ الباحث فيما يأتي بحول الله . وعذد عذ يمكنه كلاً وقف على وصف
من اوصافه او خلق من اخلاقه ان يستشهد له ببيت او ابيات من تلك القصيدة
فيجده مطابقاً لها تمام المطابقة ، كأنما هو نجم يدور حول قطبها ، وبينهما من
الجابذية ما بين القطب والنجم قريباً كان مداره منه او بعيداً .

وكان من بين اساتذته العلامة الشهير الشيخ عثمان المسكي شيخ مشايخ الجامع
الزيتوني المعمور . ومن يذهب العلامة الحبر الشيخ محمد الذخلي استاذنا في التفسير
وقد رناه المرحوم الباروني بقصيدة بليغة حين بلغته وفاته وهو في الشرق ،
وذلك في رجب ١٣٤٢ . وهذا نصها :

سطا الموت وهو الصائل المتفطرس
 كأستاذنا النخلي من فجعت به
 رحلت ابا عبد الاله مكرما
 رحلت من الدنيا الدنية قاصداً
 رحلت ولم ترحل بمدت ولم تزل
 فسلم على الصحب الكرام وقل لهم
 واما الكثير التابعون لنهجهم
 ورض في رياض القبروان مواصلا
 وسوف توافيك البشائر انهم
 لكل زمان قادة وضراغم
 فلا تيأسن من رزح ربك انه
 برونية خذها رثاء ولا تسلم
 فاني لها والدهر يعدل تارة
 فأودى باقطاب سموا وتنافسوا
 مجالس قطر المغربين فمبسوا
 ولم تشهد القوم الذين تحبسوا
 مقام خلود اهلهم لم يدنسوا
 قريبا ولكن الغزاة تأنسوا
 اذا سألوا ان القليل تمجسوا
 فقد مزقوا ثوب الشقا وتقانسوا
 بروحك اعلاما هداة ترأسوا
 على فكرك السامي مدارس اسسوا
 اذا اشتد اعوان البلاء تترسوا
 نصير الهدى ان وسوسوا وتحبسوا
 اذا خمس الاعداء عيني وسدسوا
 ويظلم مرات اذا القوم دلسوا

تدرجه في مدارج العرفان

ان من المحقق ان المرحوم الباشا كانت منذ سنة ١٣٠٥ تلميذا في جامع
 الزيتونة بتونس ، يتلقى منه العلوم والمعارف كما اشرنا اليه .

وان من المحقق ايضا انه رجع من مصر لتونس للتداوي في حمام قربص في
 اوائل سنة ١٣١٣

وان من المحقق ايضا انه - كما عبر بنفسه عن نفسه - مكث في مصر
 مجاوراً للازهر الشريف نحو ثلاث سنين .

فنستنتج من هذا انه ذهب الى مصر للاعتراف من مناهل الازهر في

حوالي سنة ١٣١٠هـ ، غير اننا لا ندرى بالضبط متى رجع من تونس الى وطنه في الرحلة الاولى .

ثم انه بعد التداوي بقربص ارتحل في نفس السنة - ١٣١٣ الى وادي ميزاب لاستكمال علومه من البحر الزاخر قطب الائمة الشيخ طميش في بني يزقن، فمكث عنده نحو ثلاث سنين وهو منه محل عناية واهتمام بشأنه . وكان من بين نفايس الكتب التي قرأها لدى استاذة ككتاب النيل في علم الشريعة .

ولسمو خلقه ولطف أدبه كان ايضا محل اجلال واحترام من اخوانه وعارفي فضله بوادي ميزاب .

وفي اثناء مقامه هذا زار القرارة بمعية استاذة الشيخ طميش سنة ١٣١٤ ، وزار العطف سنة ١٣١٥ .

ومن هذه الرحلة المباركة توطدت علاقته برجال العلم والادب والفضل والمال بوادي ميزاب ، فكان من اثرها فيما بعد ما ستراه بحول الله .

ولما اخذ حظه من قطب الائمة موفورا استأذنه في رحلته لزيارة اطلال « تاهرت » عاصمة بني رستم ، وذلك في سنة ١٣١٦ فكان له منها ما بسطه في الازهار والديوان .

فالخلاصة ان له في ميدان العلم ثلاثة اشواط :

الاول في تونس - بجامع الزيتونة يبتديء من سنة ١٣٠٥هـ

الثاني - في القاهرة بالازهر من سنة ١٣١٠ الى سنة ١٣١٣

الثالث - في وادي ميزاب بمعهد الشيخ طميش بيزقن من سنة ١٣١٣ الى سنة ١٣١٦ .

فانظر من تتقف في هذه المعاهد الثلاثة ، وكان في ذكاه الباروني وفي خلته الكريم وفي توجيهات والده العظيم ، اين يبلغ من الشأو البعيد والمنزلة الرفيعة في العلم والعمل ، وذلك ما سنتبسط فيه بعد بحول الله .

اوصافه الخلقية والخلقية

اما الاولى - فانه كان ربع القامة يميل الى القصير كبير الهامة ، عريض الجبهة مستدير الوجه في حمرة مشوبة ببياض ، واسع العيدين : بياضهما شديد البياض ، سوادها شديد السواد ، كث اللحية ، اسود الشعر ضيق الفم رخيم الصوت ، لا بشامته جاذبية ساحرة ، صغير الكنمين رقيق البنان كأنما برت اقلاما لسحر البيان او سهامها للظمن بالسنان . وهو دائم الصمت ، ولسكنه اذا نطق نطق بعيرة تهر المجاس او بنكتة رقص المشاعر وتحرك اوتار الفلوب .

واما الثانية - فن اخلافة البارزة العنة والنزاهة والحلم والبر والصبر والقناعة وقوة الايمان والثقة بالله والاعتصام بحبله المتين والتجري لدينه في سائر اموره وسلوك سنن الحكمة في جميع تصرفاته ، لا يطير زهواً وغروراً بقوة نفوذ ، ولا يستكين ذلة وخضوعاً لنكبة دهر كنود .

له نظر واسع لسعادة الانسانية عموماً والى عزة الاسلام خصوصاً والى اعلاء كلمة الله بوجه اخص ، له اعتزاز كبير بالقومية الاسلامية ورأي عمومي لمصالح المسلمين وشغف عظيم بالاتحاد الاسلامي الى حد الفناء فيه ، دون اى اعتبار لاي جنس ، وله رأي وسط في النهضة الاسلامية الحديثة يريد بها ويتمناها ويبحث عليها لكن في دائرة الاسلام الحق ، لا جود فيها ولا جود لا افراط فيها ولا تفريط كتوم لاسرارها لا يطلع على غاياته ومراميه الا خواصه ، له ثبات الرواسي على مبدأ الحق المدعم بآية من كتاب الله او حديث من رسول الله او باثر من ائمة السلف الصالح او بقاءة من قواعد العمران . لاتأخذ فيه لومة لائم ، الى اقدام الاسود لا يعرف احكاماً كأنما هو طود شاخ الذرى بين جبال الاطلس تتوالى عليه العواصف والزوابع والامطار والثلوج ورياح السموم وهو هو شاخ الرأس لا يعرف الانحناء امامها .

من اجل ذلك نشأ مرهوب الجانب في فتوته لدى الباب العالي ، خافت به نحن من ١٣١٦ الى ١٣٢٥ . مرعوب الحمى في كهولته فارتاعت منه ايطاليا فاحاطت به النوائب منذ سنة ١٩١١ الى ١٩١٩ . منيع المذال في شيخوخته فتجالت عليه دول الحلفاء وذيولها فأحدثت به المصائب والتعكبات منذ سنة ١٩١٩ الى ١٩٣٩ ، بل الى ان مات شريداً في الهند سنة ١٣٥٩ — ١٩٤٠ وهو شهيد الحق والايان الصحيح ، لم يخن في سائر هذه الاطوار قضية الاسلام والامة والبلاد ولا مد يده لمصاحفة اعدائها ايا كانوا . على ما ستراه مفصلاً بعد بحول الله .

ولاجل ان نوضح جوانب من خلقه الكريم الذي أَلَمَّنَا به موجزا نورد فيما يلي بعض طرف من اخباره الخاصة ، اما مشافهة واما مراسلة مما يلمس منها الاخ القاري . جانباً من جوانبه ويراه رأي العين .

ومن رسائله ما وجهه الينا راساً ومنها ما وجهه الى بعض الخواص من اخوانه واصدقائه بوادي ميزاب كما ستراه في لغائف هذا الكتاب . ونحن في ايراد ذلك لا نقيد بالترتيب التاريخي وانما نراعي في تنضيدها ترتيب مواضعها وجعل بعضها مأخذاً برقاب بعض . فنقول ومنه العون والتوفيق :

١ - عنته وزهده عن حب الظهور :

من ذلك رسالة لطيفة كتبها الينا من باريس مؤرخة في ١ رجب ١٣٤٢ ٧ مارس ١٩٢٤ ونصها حرفياً :

حمداً وصلاة وسلاماً : جناب الاخ الشيخ . . . سلاماً واحتراماً .

اتيت باريس مساء امس وذهبت اليوم الى السفارة المصرية فاستقبلني السفير وهياته باحترام واكرام فوق ما املته وقد وجدته ذا المسام بالمسألة وبتاريخ حياتي كلها

وكلّفتني ان اقدم اليه كتابا في طلب الرخصة الى مصر ليكتب هو الى وزارة الخارجية المصرية بما يلزم واكد الوعد بان الجواب سيأتي بسرعة وحسب مرغوبنا وساقدم اليه غدا ما طلبه من السكّاتبة واعود الى مرسيليا لان بقاءني في باريس يستدعي اقامتي في محل لأئن بتقبول الزائرين واصحاب الجرائد . الامر الذي اتباعه عنه من منذ آتيت الى باريس في السنة الماضية .
 والتسهيل بيد الله . سلم على من تشاء من الاخوان ودم سالما
 من اخيكم : سليمان الباروني

٢ - نزاعته وصبره الجليل

كان ارسل اليها من مرسيليا - ونحن بتونس - رسمة الرسمي الذي عليه شارة الملك في اوائل سنة ١٩٢٤ فشكرناه في جواب على ذلك ، وقد صادف اذ ذاك ان فتاة مصرية نقشت رسم زغول باشا في لفافة حبر فبيعت في النادي السعدي بالمزاد العلني لفائدة حزب زغول باشا بمبلغ سبعين الف جنيه ، حسبما نشرته الجرائد اذ ذاك ، ولأجل هذه المناسبة قلنا له في الجواب : اتد قارنا بين رسم زغول باشا صاحب القلم فقط وبين رسم الباروني باشا صاحب السيف والقلم معا فوجدنا ان رسم الاول بلغ سبعين الف جنيه ، ورسم الثاني لو ينادى عليه في حزبه لا نظن انه يبلغ ١٠ افرايك ، فهزته هذه المقارنة فأجابنا برسالة طويلة في ١٧ جاني ١٩٢٤ نأخذ منها محل الحاجة ، قال :

« الشيء بالشيء يذكر »

« ذكرني قولكم ان رسم زغول قد اشترى بسبعين الف ، ان اذ كر لكم ما يقابل هذه القضية من الوقائع التاريخية ، نعم اشترى حزب زغول رسمة بسبعين الف ، ولكن صاحب الرسم المرسل اليكم اشترى حزبه بهذا المقدار تقريبا وذلك انه صرف من جيبه الخاص مثل هذا المقدار ليدفع عن حزبه نشر ما دبر

من السكيد لمحوه حتى عكست القضية (من حفر حفرة سوء لآخيه المسلم اوقعه الله فيها) فانظروا الفرق في صنع الله وتصرفه في خلقه مع ان ذلك الرسم الغني مالا ورجالا لم يحزن من الاوصاف العالية والالقب الرسمية ما حازه ذلك الرسم المحروم من كل قوة غير قوة الضمير والحزم والمخاطرة بالنفس والاعتماد على الله اذ كان ينسب الى اضعف عنصر في العالم واصغر مذهب من حيث العدد وأقفر بلاد في الارض

وها كم بعض الاوصاف التي نشرتها صحف العالم مسلمة وغيرها :

العالم الجليل . الشاعر الكبير . صاحب جريدة « الاسد » . المندوب في البرلمان العثماني (مرتين) قائد المجاهدين . رب السيوف والقلم . امير طرابلس . صلاح الدين الافريقي . عضو مجلس الاعيان العثماني . بطل طرابلس . بطل الدستور الطرابلسي . والي وقومندان طرابلس وشمال افريقيا . عضو الجمهورية الطرابلسية . بك . باشا . صاحب العطوفة الخ الذي قطع البحر الابيض في الشتاء مرتين ماراً في جوفه على عمق خمسين ميترأ وقطع فيافي مصر في اخرج الاوقات متكرراً (في سبيل دينه ووطنه) كل ذلك بعد ان رمى بالخيانة الى وراء وحوصر في محله وقيد في الحديد وحمل مكبلًا والحبل في يديه المربوطتين على جل الى اعرق السجن وبقي فيه سنين ثم حكم عليه بالاعدام في زمن عبد الحميد (ولكن ابى الله ان ينفذ ذلك الحكم ليكون مظهراً فيما بعد لتلك الاوصاف العالية الماحية للاوصاف المصطنعة البالية) على ان صاحب الرسم يهون عليه بل يتلذذ اذا عاش فقيراً ذليلاً وحزبه غني عزيز ، ها هو الحزب قد عاد الى اقوى مما كان عليه مالا ورجالا (ولا اقصد بالحزب عنصراً او مذهباً خاصاً) وصاحب الرسم على ما تعلمونه وبناته التي لبسن انحر الثياب واكلن الذ الطمام وسكن اعظم قصر في اجمل موقع في الارض يأكلن الشمير ويلبسن الصوف

(ويغزلنه بالاجرة لمن كان يتلقى احسانهن صباحا ومساء) وهو حال لا تدوم
 باذن الله ، ويسكن دوريات بين كثنان رمل زوارة . ولو مد صاحب الرسم
 يده او ألان جانبه لكان اغنى من قارون ! ومع ذلك كله لم يتأثر حزنا ولم
 يسهر (اسى وأسفا) بل هو هو لن ييأس ولم يزل يقول :

يودون موتي ولكسفتي على رغم انهم لا اموت
 اعمر دهرنا ولي امل تخر اذا ما تجلى ليوت
 ابدد تسمين عاما ولا يخامرني اليأس حال السكوت
 وان حقق الله لي مائة هناك يحق الرضى والقنوت

ويقول :

هي النوائب لي فلا ارضى بها للخاملين
 العاكفين على اللذا نذ في رضاء المشركين
 لهم الطنافس والذنا فس بالغوأي والبنين
 ولهم معاقره الخمو ر ونقض غزل المسلمين
 ولهم بلا حد من الا عدا ما للخائنين
 ولي التغرب في البحر ر وفي البراري بالسنين
 ولي الجيوب الخاويا ت مع الكدوف الطاهرين
 ولي التباهى بالوقا ع في كفاح الغاصبين
 ولي السيوف المرهفا ت الماحيات لكل شين
 ولي الجياد الصافنا ت الصائلات على الدفين
 العاديات الموريا ت الغائرات على السكين
 الجاذبات الشاطحا ت لدى اقتفاء الهارين
 هذا الفخار ولا نفا ر بغيره في كل دين

فلينهض الاحرار ان راموا نجاة المؤمنين

فحمد نحر المـوا لم يستعين ولا معين

كتبت اليكم هذا عقب رجوعي من نيس ومونتكارلو تسليّة وتحريكا
للمسكر والقلم . من اخيكم : سليمان الباروني

ومن ذلك ما ورد في رسالته القيمة جوابا عن اسئلة مديري الصحف له ،
ولا سيما ما خاطب به الهادي كهبار الغرياني ، وما كانت بينه وبين السكونت
سمفوززه العظيم الايطالي الشهير وشهادته بنزاهته وعفته لما رءاه منه ايام كان
اسيرا عنده واثرا لاطلاقه من الاسر (١)

٣ — نعمته بالله واعتصامه بربه

يبدو من المرحوم الباشا ان هذا الخلق الكريم : ثقته بالله واعتصامه بربه ،
ازاء اعماله وتصرفاته واحواله واطواره وسائر تقلباته بمثابة القطب من كواكب
السماء فهي كلها تدور عليه . في حال الرخاء والشدّة والذميم والبؤس والاقبال
والادبار والعز والذل والقوة والضعف والغنى والفقر والصحة والمرض ، تبعا لقوله
تعالى « لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم » ولا حاجة بنا الى
ايراد شواهد منه في هذا الباب — وما اكثرها — وانما نلّمت نظر الاخ
الباحث الى ما مضى والى ما ياتي من افلام احواله في عرض اخباره ورسائله
بحول الله .

وغاية ما نقوله هنا انه مصداق الحديث الكريم القائل « اشد الناس بلاء
الانبياء والرسل والاولياء ثم الامثل فالامثل » او كما قال ، فهو على قدر قوة
ايمانه وثقته بالله واعتصامه بربه كان البلاء ينصب عليه ويحيط به منذ فتوته ،
وامواج المحن تتلاطم عليه اين كان وانى سار كما عبر عنها بذنمه بقوله :

هي النوايب لي فلا ارضى بها للخاملين

وعلى قدرها خطراً وشدة يواجهها بصدر رحب وقلب منشرح ونفس مطمئنة وثغر باهم ، شأن المؤمن الصابر .

فهو لا يزال يتسامى بهذا الخلق الى افاق بعيدة فوق مستوى الناس في دنياهم هذه الى ان يكاد يقرب من درجة ايوب ويحيى وعيسى واخراهم ، وعند عرض ذلك الخبير اليقين ان شاء الله .

٤ — تورعه وتحريره لدينه :

(١) لما زار تونس في حوالي سبتمبر ١٩٢٣ ، اختارنا معه فرصة نعهدها من انفس وامتع ساعات العمر ، وبينما نحن جلوس معه في نزل « توليزي بلاص » قبل صدور امر السلطة الفرنسية بالحيلولة بينه وبين اصحابه ، وبمبادرة تونس لأول باخرة تبحر الى مرسيليا ، كنا نتجاذب معه اطراف الحديث فخرتسا شجونه الى كيفية معيشته في فرانسا ، فقص علينا قصة طريفة منها يدرك الاخ الملاحظ مبلغ تورعه وتحريره لدينه في اي وسط كان ، قال ما حاصله :

تذاكرنا — ذات يوم — انا وسفير الافغان بباريس في اقامة مساوئد للدوات العالية من كبار الدول فقلت له :

كيف تسلك سبيلك الى الاحم الحلال والذبح هنا غير ملائم لقواعد الشريعة المطهرة ؟

فاجاب السفير قائلاً : انا بصفتي سفيراً مسئولاً مضطراً الى اقامة مواعيد لرؤساء الدول فلا أرى من سبيل الا اخذ اللحم الموجود لدى جزارة باريس كيما اتفق . ثم سألتني قائلاً : وانت كيف تتخذ سبيلك لذلك ؟ فقلت له : اني كلما مست الضرورة الى اللحم أوعزت الى بعض شبابي الطرابلسيين الموجودين في باريس ان يذهب الى المجزرة مع الجزار — وقد اتفقت معه من قبل على ذلك —

فيختار من بين شياحه شاة فيذبجها هو على مقتضى شربة الاسلام ، وبعد
سلخها يطبخها بطابعي الخاص ، فاذا اوردها الجزار الى دكانه أخذت منها ما
يكفيني وهكذا .

فقال السفير الافغاني : انا والله لم تخطر لي هذه الحيلة ببال ابدا .
وهكذا حال من يؤمن بالله حقا ، يتقي الله حيثما كان عملا بتمول رسوله
عليه السلام « اتق الله حيثما كنت »

(٢) في اواخر سنة ١٣٣٥ — ١٩٠٧ نزلنا نحن واياه ضيوفا عند قطب الائمة
الشيخ طفيش ، هو للمزارة ونحن اطلب العلم ، فكنا معه في سائر الاجتماعات
والضيافات ومجالس العلم والادب حيث كانت في قرى مزارب مدة نحو شهر فكان
لنا من الانس به شيء كبير . ولما كان وداعه طلبت منه ان يثبذ لي بيتين او
ثلاثا من نظمه الخاص ، انس بها حال غربتي وبعد فراقه فاعتذر بتشوش باله
من ألم الفراق وقال : غير اني اسوق اليك هذه العبرة : حكي ان تلميذا شكى الى
شيخه سوء حفظه وقلة فهمه فنظر شيخه الى قوله تعالى « واذا نوا الله وبعلمكم
الله » فشرحها له شرحا وافيا ، فسبكها الشاعر بقوله :

شكوت الى وكيع سوء حفظي فألهمني الى ترك المعاصي
واعلمني بان العلم نور ونور الله لا يعطى لعاص
(٣) كان الاخ المرحوم السيد الحاج عمر العنق اهدى اليه صندوق تمر وهو
برسيليا فاجابه عنه بالرسالة القيمة الآتية ، ومن خواها يدرك الاخ الفارسي مبلغ
تجريبه الصديق . وهذا نصها :

حمدا وصلا وسلاما

الاخ المحترم الكامل حفظه الله . السلام عليك ورحمة وعلى من تشاء . من
الاخوان . وصلتني تذكرك مع صندوق التمر (والله توارد الخواطر)

لي اصدقاء في باريس - فرانسوا ومسلمان - خدموني كثيراً ولا زالوا
يوصلونني بالمكاتبة فكبرت ان ارسل اليهم شيئاً تذكاراً فلم ار غير التمر .
وبما انه موجود للبيع في باريس لم اجد وسيلة الى ارساله الا انه جاءني هدية
من صديق لي . وهذا فيه ما فيه من قولي غير الحقيقة ا فكلنت جزائريا تاجرا
في التمر ان يشتري لي نصيبا من احسنه فقال اني اقدم لك ما تطلبه هدية مني
فلم اقبل ، اذ كان التعارف بيننا سطحيا ، ولا يدري عن امرى شيئاً الا انني
مسلم من الشرق ولم اعرفه باسمي وعنواني رغما عن طلبه مرارا ثم رضي ان
يشتري لي وعلى ذلك افترقنا .

وفي المساء وصل صندوقكم فحمدت الله الذي خلصني من ذكر غير الحقيقة
اذ قد عزمت على ان اخلط جانباً منه مع كل صندوق ارسله الى الاصدقاء
الثلاثة فيكون قولي انه جاءني من صديق لي صحيحا ، وسأرسل لاحد الثلاثة
في صندوقكم بيمينه مع الكاغد المنقوف هو فيه على ما فيه من علامات البوستة
حتى يصدق ذلك . فسبحان مدبر الكون جاعل الارواح متعارفة مرتبطة وان
بعمدت الديار .

سلامي الى من تشاء من الاخوان خصوصا رفيقكم المحترم . . .

ودم سالما لأخيك : سليمان الباروني

(٤) ومن اراد ان يقف — حقا — على مقياس حرارته الدينية وعلى تقواه
لربه فليأمل في قصيدته الرائعة التي مطلعها (١)

قم يا محمدا ختام المرسلين وانظر بعينك كيف حال المؤمنين

٥ -- همته وشهامته

كان المرحوم الباشا على جانب عظيم من علو الهمة والشهامة والكرامة وعزة

الذئس ، ويلبس الاخ الباحث ذلك منه من غضون كتاباته ومخاطباته لقواد
الجيوش الايطالية وغيرهم اثناء الحرب الطرابلسية وقبلها وبعدها ، ويلاحظ
الملاحظ اثناء استعراضه لشيء من ذلك ان المرحوم الباشا كأنما يسبح احيانا
في بحر من الخيال ، واليك نماذج من ذلك فيما يلي :

(١) منها قصيدته الرائعة التي قالها عندما اخذت شرارات الطمع الايطالي
نحو طرابلس تقطير في صحفه وهو يرد عليها . ومطلعها (١)

لها في الجبال الشاخات معاقل أسود الوغى تقري السباع الجمجا
نفوس ترى حمل السلاح فريضة ترى الرمي حتما قبل ان يتناقما

(٢) ومنها قصيدته الخالدة التالية الاولى في هذا المعنى ومطلعها (٢)

نصول اذا حان الدفاع ولا ترى جزاء من المولى سوى جنة الخلد
نحب الاتما لا نبغض الطعن ان يكن فضالا عن الاوطان والدين والمجد

(٣) ومنها جوابه المسكت للجنرال الايطالي سالساتوماترو ويكيل الوالي
الايطالي في طرابلس .

ذلك - ان الجنرال كتب الى الباشا رسالة طويلة الذيل في ١٧ جاني ١٩١٢
يغريه فيها بالاتفاق معهم والتسليم بالامر الواقع فأجابه الباشا بهذا الجواب المسكت
قائلا « . . . انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تملاوا علي وآتوني
مسامين » خاضعين للعلم العثماني المقدس . في غرة ربيع الاول ١٣٣٠ (٣)

(٤) ومنها جوابه لقائد جيش ووالي الدولة الايطالية بطرابلس (٤)
ونحن نقطف منه الجمل الآتية :

« . . . انا لا اكره ان أرى الاروبي وعلى الاخص الايطالي جارنا الجديد

يسير بجانب الطرابلسي متحابين متعاونين على الكسب والاستفادة مما اودعه الله من الخيرات في بطون اودية بلادنا ورءوس جبالها .

انا لا اكره ان ارى الجاهل مذهما يتعلم من العالم مذهما ما لم يعلمه ولا اكره كذلك ان ارى العالم منهما يغيب من نور معلوماته على الجاهل مذهما .

ولكنني اكره ان ارى الوطني عبدا مملوكا لغيره ، بحيث لا يملك شيئا من دينه وعرضه ، فان الموت اسهل والذ طعما من ذلكم عندي

اذ لم تكن الا الاسنة مركبا فلا يسمع المضطر الا ركوبها . ادركت بالتجربة والسياحة في بلاد الله قيمة الانسان الحر ! ولذة حياته الهنيئة ، وتحققت مرارة الاستعباد والرقية الخالصة من ذلك ايضا ، ومن تربية السودانيون في بلادنا بل في بيتنا كذلك !

تربت في الدلال بحجر والدي وعشت مرفها في حياتي فعرفت ما هي المدنية سكنت القصور وجلست على موائد الملوك ووقعت على اغلب الملاذ الحيوية ، ومع ذلك فانا استسهل في جنب حرية النفس كل صعب .

قاسيت لأجل ذلك ألم النفي والسجن سابقا (في عهد السلطان عبد الحميد) وها انا ذا الآن اكل من الطعام اخشنه واشرب الماء المالح تارة والمر اخرى ، وانا على الارض متوسدا سرج جوادى واسير في الليل المظلم المطر وفي هاجرة النهار ولا يضربني ذلك ولا اراه الا الذ واشهى من الشهد في جانب الحرية والاستقلال ، ولا يزيد بدني الا قوة ولا جأشي الا نباتا ، النفس ميالة بالطبع الى حب الشهوات والرياسة فاشتاق اليها ولكن علي حفظ الكرامة وهكذا كل من هو على رأي . الخ

٦ — حسن سياسته ولطف حيلته

أوتي المرحوم الباشا من الكياسة وحسن السياسة ولطف الحيلة ما هو

جدير به لرئاسة الجمهورية الطرابلسية لو أوتي حظا من الرجال والأموال مثل ما أوتي غيره من رؤساء الدول .

وللبرهان على ذلك نورد بعض نماذج من ذلك فيما يأتي :

(١) عندما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية وإيطاليا بطرابلس كان السكونت سفورزا ورفاقه في بعثة علمية بجهة فزان ، فلما قامت الحرب أخذوا اسارى في جلة من اخذوا ، وكانوا مسجونين في قصر نمرن وعندما تسلم المرحوم الباشا قيادة الحرب اطلق سبيلهم وعاملهم معاملة حسنة وأوصى السكونت الى دولته بوصايا عالية فأرسلهم مخفوريين بثلاثين فارسا من الجندرمة الى ان ابلغوهم مأمنهم وذلك لأنهم اسارى الحرب التركية ولأنهم ليسوا بمحاربين ، وليس ذلك لاي مقابل ولو لافرائك واحد ! فكانت لهذه المعاملة العالية اثارها في نفوس رؤساء الدولة الايطالية خصوصا السكونت سفورزا وزير خارجيتها ونائب دولته في المفاوضات مع الباشا في تونس سنة ١٣١٣ (١)

فلولا حسن سياسته لما ربح صديقا مثل السكونت سفورزا اوان الشدة .
نعم — لكن كان السكونت ايطاليا قبل كل شيء وخادما لبلاده قبل كل اعتبار ، وحاول مساومة الباروني باشا بمبلغ خمسة ملايين ليرة ايطالية ظنا منه ان يجد من الباروني بدا مثل يد الصدر الأعظم ابراهيم حقي التي تقبلت مثابا منهم متقابل التخلي عن طرابلس .

لكن السكونت وجد نفسه أمام ذلك العنيف الذريه الذي عرفه من قبل والذي أقام له الدليل مرة أخرى برفض تلك الملايين باباء وشمم قائلا وقد جذب ورقة ذات خمسين فرانك فرنسيا من جيبه — ان الباروني — الذي لا يملك من الدنيا الا هذه الورقة وحصانين حذوه ليس ممن تشتري ذمته (٢) فرأى

السكرت منه اوان محنته وشدة من العفة عين ما رآه منه اوان رغبته وعزته .
 (٢) كانت بين سلطان مسقط وامام عمان علاقات فائرة وغير ودية منذ ان
 انفصلت عمان الداخلية عن عمان الساحلية من سنة ١٣٣١ فلما ذهب اليها المرحوم
 الباشا في سنة ١٣٤٢ أخذ يسمى جهده في إلحاح القلوب ولم الشتات وعقد الجمع
 بما أوتى من سياسة وحسن كياسة ففرب مسافات وذلل مصاعب وازاح عقبات
 كاداء ، ولولا ان القدر عاقه عن بلوغ مرامه بتوالي الاستقام والالام عليه وعلى
 افراد عائلته — كما يأتي بيانه — لجعل من بلاد عمان الساحلية والبدائية دولة
 متحدة عظمى من اعظم دول الاسلام في الشرق كما كانت في القرن الحادي عشر
 الهجري في عهد امامة اليعاربة ناصر بن مرشد وسلطان بن سيف في سنة ١٠٣٤ .
 ١٠٩٠ .

ولو ساعدت ايامه بحر عزمه لنال الثريا طالبا للامجاد
 (٣) في اثناء مقامه كأسير في مرسيليا استحصل جواز سفر الى تونس من
 بعض المراجع بمرسيليا فجاء خفية الى تونس في سبتمبر ١٩٢٣ وحينما تسامع
 احبابه بوجوده بتونس هرعوا اليه للتسليم عليه والتشرف بالاجتماع به في لزل
 « تونيزي بالاص » ولم يكسد يستقر به المقام حتى كلف بعض اصدقائه ان يخبر
 السيد الكوميسير الذي بقسمه بوجود « الباروني » بتونس فأبى صديقه ان
 يقوم بمأمورية كهذه فألح عليه في ذلك - وذلك منه جسا للنبض عسى ان
 يجد في تونس مستقراً له ولعائلته ، وتلك امنية طالما حن اليها -
 فلما ذهب صديقه واخبر الكوميسير به تساءل مندهشا : أأباروني هنا ؟
 فقال نعم ، جئت اطلب له الأذن لاقامته عندي كضيف كريم حيث انه كان
 صديقا لوالدي وضييفا له في القديم .

فاجابه الكوميسير بما مؤداه : ان كنت تريد ان تبقى حبيبا لنا كما كان

ابوك فانزع يدك من الباروني . الخ
وهناك كانت مخابرات تيليغرافية بين الكوميسير والسفارة العامة فكانت
الأوامر وكان اعوان الامن مطوقين للنزل فكانت الحيلولة بين الباشا واجاباه
وكان امره بمبارحة تونس لأول باخرة تبجر الى مرسيليا وكان تفتيشه الدقيق
ونحن في اثناء هذا كما نعد عدتنا لافامة حفلة تكريم له وقد هيأت قصيدة
لاقائها في الحفلة مظلماها :

هلان هلا بالرحاب والقا . وقد نشرناها في الديوان صفحة ٢٦
رجع الباشا مخفورا الى مرسيليا وقد جس نبض الاستعمار وسبر غوره وكفى
(٤) لما وصل الباشا الى باب بنى يزقن في زيارته لتعزية آل طعيش سنة ١٩١٤
اقبل اليه اصداؤه القدماء للتسليم عليه وهم في صفين ، فهالك أبى من النزول
اليهم الا اذا اتوه صفا واحدا والا رجع ادراجه فتقاهموا فيمسا بينهم بالعيون
وتلاحموا فأتوه صفا واحدا ! وسيأتى له نظير في مصراطه
وهكذا سياسته دائما في الجمع لا في التفريق وفي التكتيل لا فى التبديد
وفى التأليف لا فى التشريد وفى التبشير لا فى التدبير وفى التيسير لا فى
التعسير ، مهما وجد لذلك سبيلا .

وسترى ذلك واضحا جليا من غضون رسائله الآتية بحول الله .

٧ — حلمه وسمة صدره

ان للمرحوم الباروني صدراً رحباً وحاماً واسماً ، يتجلى ذلك منه ازاء
معارضيه الذين يثيرون صدر الحليم ، ولايضاح ذلك نورد بعض الامثلة له
فيما يلي :

(١) امتحنت حركة المجاهدين بطرابلس بمطية من مطايا الاستعمار الايطالي
دابه كشف اسرار مواطنيه والطنن فى المجاهدين ، الا وهو الهادي كعبار ،

ومن بين طعنه في المجاهدين قوله فيهم انهم لصوص ومحاربون لأجل الدقيق فرد عليه المرحوم الباشا وقتئذ رداً مشبعاً بالحلم والحكمة مدعماً بالحجة وقوة البرهان مما جاء فيه قوله :

« يا هادي - ان الذي لقبك بهذا اللقب لم يكن ليتصور انه سيأتي عليه زمان كهذا يدل فيه على نقیض معناه . ولو خطر بباله ذلك ولو بعد وضعه الجردك منه ، ما لقبك بالهادي لتهدي الا جانب الى عورات وطئك العزيز وتدلهم على طرق المسالك لا بناء جنسك ودينك (لأ والله ما كان القصد هذا) ولكن لتهدي قومك الى طرق النجاة من الاسر وتدلهم على المقاومة على شرف دينهم وعرضهم ووطنيتهم الحقة وتحضهم على الاستماتة في سبيل الدفاع عن مجد اجدادهم الذي حفظه التاريخ لنا لتعظم به ولتعلم منه ، وما نالوا ذلك الا باحتقارهم الحياة ونبذ الرأهية وبعلو الهمة وعزة النفس ، ثم يقول :

قرأت - مع الاسف - رسائلك بتوقيعك الى رؤساء المجاهدين تهديدهم فيها واثمتهم بمحاربي الدقيق والاصوص وغير ذلك وما كنت اظن انك تبلغ هذه الدرجة من النسيان وقد كذت تتلقى الدقيق مثلام وتخاصم عليه ! ترضى اذا كثر وتغضب اذا نقص عنك مرارا في اليوم الواحد (في مدة الحرب التركية)

أنسيت يا هادي ايام كذت معنا في زوارة وفي سراني ابن مادم تاخذ الدقيق فكذت الآن على رأي من قال (لبسنا السكتان ونسينا ما كان) ان الذين خاطبتهم انما وطروا انفسهم على اكل الدقيق منذ عرفوا الخير والشر عملاً بقول معلم الاستقلال ومنحك قيود الاسر والأغلال ناشر الحرية سيد البشر « اخشوشنوا فان الحضرية لا تدوم » وقول الحكيم :

خلقنا رجالاً للتجملد والاسى وتلك الايامى للبسكا والسآتم

كل ذلك استعدادا منهم لمثل هذه الايام التى سدت عليهم فيها ايطاليا ابواب البحر وفرا نسا ابواب البر ، لكن مالك رقاب العالم من بيده منافع الرزق فتح لهم ابواب السماء « وفى السماء رزقكم وما توعدون »

اما انت يا هادي فقد تنقلت من حاكمية الترك الشرعية للعلاقة الدينية الى عبودية قوم ليس بينك وبينهم سوى العلاقة البشرية ولا اظنهم يعترفون لك بها لانك في نظرهم بائع وهم مشترون ، بل مملوك وهم مالكون .
فتدبر فيما بين المنزلتين تدرك مقامك وتيقظ لمستقبلك ان شئت وما مضى فات .

ان المجاهدين الذين وصفتهم بما عن لك من الاوصاف الذميمة هم بدون شك في نظر ايطاليا نفسها والعالم اجمع اشرف مقاما من الذين رموا بأنفسهم فى احضان الاجنبي عنهم بدون سبب سوى الطمع الممقوت . واسأل احرار ايطاليا يفهموك الحقيقة .

ان التاريخ سيحفظ لهؤلاء المجاهدين عنوان « حماة الدين ورجال الوطن وابطال الوغى » ولا يحفظ لاولئك الا انهم خدمة الاجنبي عنهم واعوان المعتدي عليهم وعلى شرفهم واعز شيء عندهم .

ان العلة التى جعلتها سببا للتسليم يوم اجتماع « العزيزية » هى عدم القدرة على الحرب وطلب راحة الاهالي والتجاشي من سنك الدماء . فما بالك الآن تهدد المجاهدين بالحو والهلاك وتسليط اهالي « غريان » عليهم واهالي غريان مسلمون وطيون يبرأون من رأيك هذا على ما حققناه .

فأين تلك العلة ؟ وحيث انك قادر على الحرب فاظهر قوتك وخلص بلادك من الايطاليين . وان كنت عاجزا كما قلت فالزم بيتك واعتذر للايطاليين بذلك تسلم من السنة الخلق فى الدنيا ويتولى الله امرك فى الآخرة فانه غفار لمن تاب

أليست محاربتك مواجها البحر جهة عدوك اولى لك من تلقي الرصاص
مواجها اخوانك في الدين والنسب والوطن اعانة لمن جاء ليبيدك ويبيدكم ويعجو
ذكر الجميع من خريطة الانسانية .

ان رجال ايطاليا عتلاء متزورون يعرفون قيم الرجال بأعمالهم ولا خيانة
عندهم اعظم من تسليم الاوطان (بالمال) فهم يعاملون فأعل ذلك معاملة الخائن
ولو بعد زمان وانهم لمصليون في ذلك .

تفكر بالله مليا في نصيحتي هذه التي لم اقصد بها الا احياءك . واعتقد ان
الموت مرة واحدة عند جميع الناس ولا بد منه طال العمر او قصر وهو محدود
لا ينقصه اقدام ولا يزيده احجام وما بين الخالتين الاشرف خالد او اهانة
لا منتهى لها . والسلام على من اتبع الهدى .

٧ ربيع الثاني ١٣٣١ سليمان الباروني (١)

٢- بعد اعلان الجمهورية الطرابلسية وامضاء قانونها الاساسي في سنة ١٩١٩

أثارت الدسائس الاستعمارية فتنا داخلية بطرابلس فنشر بعض المشاغبين
بجريدة الدواء الطرابلسية مقالا لكتابه علي القيزاني وصف فيه اليد البارونية
بالد الاثيمة وان الباروني يدعو الناس الى هذه الفتنة الخ ، فرد عليه سعادة
الباشا ردا حكيما محكما نشرته جريدة « الرقيب » الطرابلسية ، ومما جاء فيه قوله
« . . . » اما وصف اليد البارونية بالاثيمة فلا اظن ان صاحب الدواء يحدد
من يصوب رأيه فيها من المصنفين ، فانها ذرت على طرابلس خيرات لا تحصى ،
ودرأت عنها مصائب لا تستقصى ، فما اجدها بان توصف بالكريمة الحليمة
فان اليد البارونية هي التي ساحت في الآفاق وسبحت على ظهور البحار وغاصت
تحت الامواج وتوسدت الحجارة وكان التراب فراشها والسماء غطاءها وتغذت

بالاعشاب والماء المالح والمر شرابها وغسلت بالطين وسارت بالهاجرة وسرت في الليالي المظلمة الزمهريرية وتفرقت فوقها القنايل وصب عليها الرصاص كالمطر الوابل سنين عديدة ، وكل ذلك لأجل اعلاء شأن طرابلس وبنديها ، في السوق الذي كان فيه صاحب اللواء يركب العربّة للنزهة في بساتين طرابلس ويشرب التمر الهندي والسكرور بالثلج ، ويأكل انواع الحلوى ويتوسد وسائد القطيفة ، ويتلذذ بفغات الموسيقى في التياتروات الايطالية وبغسل في الحمام بالصابون المسك ويصبح في محل تجارته ويمسي في بيته بين اولاده وهم يلعبون بين يديه والدار تتلألأ بانوار السكراب ولا يدري من الحرب والدفاع الوطني الا ما يسمعه او يقرؤه في جريدة « ايطاليا الجديدة » وامثالها .

اليد البارونية هي التي منطقت الطرابلسيين بفضل الدولة العثمانية بالسيف والمذبة وزينت صدورهم بالنياشين اللامعة والساعات المرصعة وكسّتهم الخلع « الرتب » المزركشة وملأت ايديهم بالهدايا الملوكية الثمينة ونمّعت لهم فرمانات الترفيع من رتبة شيخ الى افندي الى بك !

اليد البارونية هي التي أمنت بفضل الله وكرم دولة الاسلام الطرابلسيين من خوف في ايام شدتهم واطعمتهم من جوع في سني القحط الحارقة والقت يديهم بعد ان كانوا شتى يطحن بعضهم بعضا !!

اليد البارونية هي التي كانت سببا في صب الاموال كالانهار في طرابلس حتى اصبحت صناديق رجالها طافحة بالمسكوكات على كثرة اشكالها والسكرارات على اختلاف انواعها وصاروا يعدون في صف الأغنياء .

ولو انصف الشيخ القيزاني وراجع دوائر تجارته لعلم مقدار ما ربحه من الأموال بفضل اليد البارونية ولتحقق لديه ان ما اكتسبه من تبديل الأوراق البارونية العثمانية فقط هو مبلغ وافر ما كان يحلم بالحصول عليه حتى في المنام .

اليد البارونية هي التي اعتقت رقاب كثيرين من رجال طرابلس من الاعداد
ولو غضت الطرف لذهبوا ضحية الاستبداد ، ولا قصد لليد البارونية من ذلك
الا صون الشرف الطرابلسي من العبث به وتدنيسه .

اليد البارونية هي التي عبأت الكثير من ظهور الطرابلسيين بالسلاح وملاّت
عنابرهم بالجوخانة (الذخيرة) والمدافع والميترايوزات وهي التي يحارب بعضهم بها
الباروني الآن تصديقا لقول الشاعر :

اعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمائي
وكم علمته علم القوافي فلما قال قافية هجائي

وليس هذا بغريب فان امثاله في التاريخ كثير فبلا يكسر الباروني حصوله
اليد البارونية هي التي كانت من اكبر الاسباب في الحصول على القانون
الأساسي الذي لم يسبق مثله لغير طرابلس في افريقيا الشمالية حتى مجدها العالم
بأسره واصبح اسم الطرابلس في الدنيا كمنار على علم وأمسى صاحب اللواء
حرا يتكلم ويكتب في الباروني وغيره . فياليته لم يكن مدفوعا في ذلك
بموامل استعمارية محضة حيث تحركه يد المستعمر الغاصب !

ان المستعمر الايطالي نفسه يعلم جيدا ان اليد البارونية هي التي بقيت بيضاء
نقية لم ترتش من اموال ايطاليا صانتيما واحداً ، وقد عملت لخير طرابلس بقطع
النظر عن بعض بذيها الحاضرين وستعمل الى النهاية بقدر الامكان !

وما يقال من ان الباروني ما خرج من زوارة الى الجبل الا باتفاق مع
الوالي « ماركاتلي » وبمدد منه لخدمة مخصوصة فكذب محض ، لأن الباروني
لا يزال عثمانيا — كما تعرف ايطاليا والوالي — وهو ما جاء الى طرابلس الجبل
الا تخلصا من الخطر الذي كان محدقا به وبامثاله في القسطنطينية . ولم يأخذ من
ايطاليا شيئا لا باسم معاش ولا غيره ما دام غير تابع لها .

ان الباروني سيسمى بكل ما في وسعه لاسعاف المصابين من يفرن وغيرهم ولو لم يتمكن من خزان الذهب التي نوه بها وأشار اليها الاواء (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها)

فاذا كانت مثل هذه اليد تعد أئمة فالمرجو من الشيخ القيزاني ان يربنا كيف تكون اليد الكريمة واننا نلتبس له عذرا بأنه لم يشاهد شيئا مما ذكرناه لانه لم يرقط خط الدفاع منذ تأسست الحرب الى ان انتهت . وما نحن أوضحنا بعض الحقائق ولذترك الحكم للعقلاء البريين من الاغراض والله الهادي .

١٣ ذي القعدة ١٣٣٩ سليمان الباروني (١)

٨ — بره بوالده واساتذته

من غضون كتاباته نثرا ونظما ومن سياحاته يدرك الاخ الباحث مبلغ بره وتعلقه بوالده واساتذته ، كما يدركه من حبههم له وعطفهم عليه وحزينهم اليه اينما كان وحيثما كان .

فان المرحوم الباشا رغم محنه واقتحامه غمرات الاخطار ومعامع الحروب لم ينس والده ولا اساتذته اينما كان بالملاطفة والمراسلة والزيارة رغم بمسد الشقة ومتاعب الاسفار .

كما انهم — كذلك — لم ينسوه ابدأ رغم ما كان بينهم وبينه من بعد الدار وشط المزار .

اما ما كان من بره بهم فقيما يلي امثلة لذلك :

(١) فما يحكى في لطف بره بوالده انه لما وقع انتخابه نائبا عن الجبل الغربي في طرابلس الغرب بمجلس المبعوثان العثماني اثر الانقلاب التركي ونيل الدستور سنة ١٩٠٨ ، بقي امر انتخابه معلقا لاذن والده حيث ابدى احترازه من ذلك

— فيما قيل — فتفتق رأي الباشا عن حيلة لطيفة هي : انه اطلع لكسرى انوشروان على قصة فيها وصاية لابنه خلاصتها « اننا عشنا في زماننا بما يلائمه فعليكم انتم ان تعيشوا بما يلائم زمانكم » او ما بمعنى هذا ، فقدم الكتاب الى والده مشيراً فيه الى مكان القصة ، فلما بلغه وقرأ القصة فهم المغزى فأذن له عن رضى فانطلق نحو ارادة الامة ورغبة البلاد .

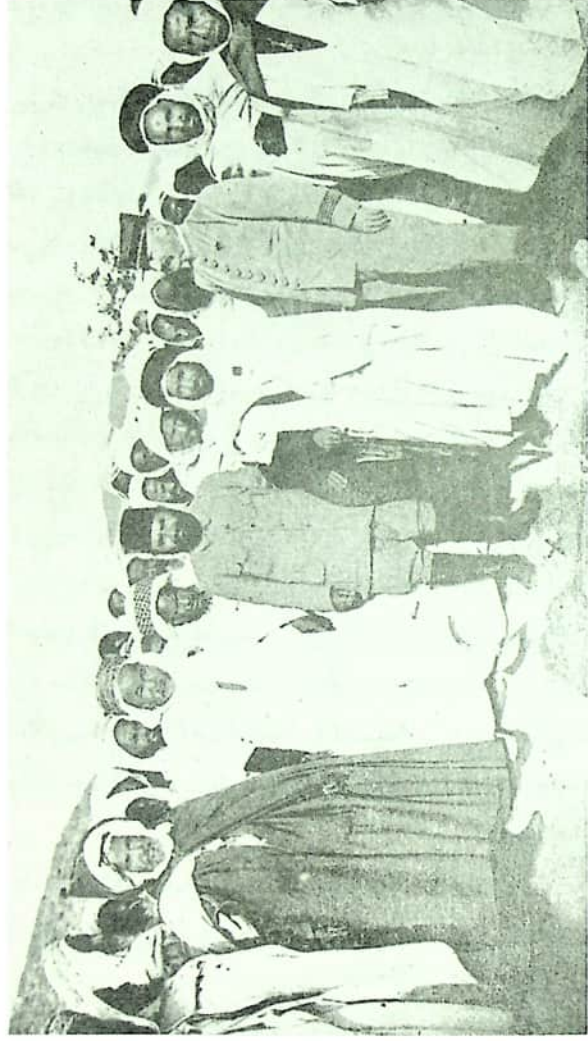
(٢) ومن ذلك انه لما رغب في زيارة « تاهرت » فلم يرتحل اليها حتى استأذن استاذ قطب الائمة مراراً فاطله قصد استكمال معلوماته منه فكتب رغبته الملحة ، فلما اذن له زم حينئذ حقيقته نجف لزيارتهم سنة ١٣١٦ - ١٨٩٨ كما بسطه في الازهار .

(٣) ومن ذلك زيارته لهذا الاستاذ الجليل في حياته سنة ١٩٠٧ وبعد مائة في سنة ١٩١٤ رغم بعد المسافة ورغم شواغله الكبيرة قبل الحرب وبمدها .

(٤) ومن ذلك قصائده الرائعة الثلاث التي تلاها على مسامعه ليلة وداعه عند باب يزقن ونحن حاضرون هناك في حوالي ذي القعدة ١٣٢٥ تقامبر ١٩٠٧

(٥) ومن ذلك انه لما توفي قطب الائمة في ربيع الثاني ١٣٣٢ وفي مارس ١٩١٤ — ونحن معاً بنونس — ذهبنا ليعزيته وهو في مكتب السري السيد الخطيبي الحاج علي بن عمر شيخ بني ميزاب اذ ذاك بتونس . وعندما عزيناه دمعت عيناه ثم قال ما خلاصته : « اصبحت في اعزاء حاشيتي واحبائي وقواد جيشي وخيرة جنودي في حرب طرابلس فقابلت كل ذلك بمجد ولم تدمع عيناى قط في عمري الا مرتين عند موت والدي وعند موت استاذي الشيخ طيفش هذا رضوان الله عليهما .

ثم قال : عندما ودعني في زيارتي السالفة سنة ١٩٠٧ اثر تلاوتي قصائدني الثلاث ربت على كتفي فقال : ستكون اميراً ، واذا زرتني مرة اخرى فانك



صورة وهو بين وجهاء واعيان وادي ميزاب عند قدومه لتعزية المرحوم قطب الائمة الشيخ طفيش سنة ١٩١٣

تزورني وانا تحت التراب ا قلت فكان الامر كذلك . لو نحن في هذا المشهد
الرائع من الحاضرين .

٦) ومن ذلك قصيدته في رثاء استاذنا الشيخ محمد النخعي بتونس فلم ينس
حقه وهو على متون الاغتراب في الشرق ومر نصها في صفحة ٤٨

واما ما كان من عطفهم ورحمتهم به فاليك فيما يلي نماذج من ذلك :

١) بالاطلاع والتأمل وامعان النظر في القصيدة العامرة التي ضمنها والده
المرحوم وصاياه الغالية له لما كان تلميذاً بتونس سنة ١٣٠٥ تدرك مبلغ حبه
الجم وعطفه الابوي نحو عزيزه سليمان ، كما رأيت مختارات منها اول هذا الكتاب
٢) ومن ذلك ما قصه علينا المرحوم الباشا نفسه من انه كلما ضاقت به
السبل واشرف على ربوة الفرج الا رأى في منامه والده او استاذ طفيش حاضراً
بين يديه يحذثه ويبشره ، حتى انه اتخذ رؤياه لأحدهما بشارة لبزوغ الفرج له
وقد جرب هذا فصحت تجربته وقد سرد لنا امثلة عديدة من ذلك محامها
النسيان من صفحة القلب الآن .

٣) ومن ذلك ما رأى لنا عياناً من حب الشيخ طفيش له وعطفه الشديد عليه
حينما زاره سنة ١٣٢٥ — ١٩٠٧ ، فقد حضرنا هناك مجالسه معه ومباحثاته
له في مواضيع شتى لاسيما في قضية كروية الارض وهو واياه كتلميذين
متحابين يتباحثان في مسألة دقيقة في مستوى واحد تواضعا وانصافا وصدقاً
واخلاصاً .

وما رأيناه كذلك من احتفائه به واكرامه واحترامه له ومن جميع
اصدقاء قطب الائمة والامذته ومريديه في قرى ميزاب مدة شهر كامل . كما
اشرنا اليه سابقاً .

٤) ومن حذب الشيخ طفيش وعطفه عليه وعلى اعماله الجليلة ، انه كان اثناء

حرب طرابلس سنة ١١ - ١٢ - ١٣ شغوفاً بالدعاء له بالنصر والغلب .

وكثيراً ما نكون اثناء الدرس وقت الهجيرة وهو منكم في البحث والتدقيق ، فإذا به يوقف الدرس ويتنفس الصعداء فيقول : ان الشيخ سليمان الباروني وابطاله الآن في حال الجهاد في هذا الحر الشديد والعطش والماء الكدر الحار والجوع والاكل الخشن بين كثران الرمال ومقابلة الرصاص بصدورهم من بنادق ومدافع العدو ، ونحن في ظل ظليل في الماء البارد والاكل الشهي الهنيء . والراحة التامة بالقيولة في الدهايلز الباردة ، أولاً نعينهم ولو بالدعاء ؟

فهللوا بنا ندعو الله لهم بالحفظ والعز والنصر والعون والتأييد ، فيرفع أ كفه ويبتهل الى الله مع الخاف شديد في الدعاء ونحن نؤمن لدعائه ، ثم يستأنف الدرس وهكذا .

فلولا ما كان له من الخلق الكريم والبر العظيم لما كانت له هذه المزية الرفيعة في قلب والده واستاذة العظيمين ولما كانت له منذ صغره هذه الخطوة في قلوب العظماء والعلماء والاعيان . حتى اتخذ رجال نفوسة عادة الاحتفاء العظيم به عند كل مقدمه من سفر كما يكون للملوك والامراء بل حتى صار بعض رؤساء نفوسة يتنافسون في مصاهرته عند مقدمه تلميذاً من قطب الائمة ، فبينما كان يخطب فتاة واحدة اذ اصبحت في بيته اثنتان فأقر ذلك واغتبط به ، كما يأتي بيان ذلك في آخر الكتاب بحول الله ، ولا يؤتى مثل ذلك الا ذو حظ عظيم .

٩ — دعابته ولطف نكته

لم يكن المرحوم الباشا عبوساً متزمتاً كما يظنه بادي الرأي لأول وهلة عندما يراه .

ولكنه رغم اضطلاع باعباء واتقال المسئوليات كان شديد الميل الى

النكتة اللطيفة والدعابة البريئة التي تشع المرح في النفوس ، شأن الشاعر المطبوع المرحف الحس الحلي الشعور المتوقد الذكاء الملتهم القريحة .
وفيما يلي نورد نماذج من ذلك :

(١) في مجلسنا معه في نزل « تونيزي بلاص » في تونس حوالي سبتمبر ١٩٢٣ — كما اشرنا اليه — كنا نحول في قضية تعلمنا نحن وشبابنا بتونس وما اثر من اجلها ضدنا من الحملات وما قننا نحن بالدفاع عنها ورد الصاع بمثله الى اخره ، فقلنا يا استاذ ان كل ما انجز عنها من ذلك انما تتحملون مسؤوليته انتم ! فقال ولماذا ؟

فقلنا : لانكم انتم السبب في ذلك بما الهتم في نفوسنا في القديم من جذوة الشوق الى تونس لما نشرتم في الاسد الاسلامي ، فقصصت له قصة ذلك من اولها الى اخرها ، فقال طيب ! أتحمّل ذلك كله واسكن بشرط ان يكون لي منها ايضا كل ما ينجر عنها من الفخر والشرف !!
فقلنا له : نعم ولكم ذلك .

ومن بعد ذلك ارسل الينا من مرسيليا تحفته وقصيدته في شأن تعلمنا بتونس كما سترأ بعد بحول الله .

(٢) بعدما رجع الى مرسيليا وكاتبنا ونحن غائبون عن تونس بميزاب فطال عليه امد رجوع الكتاب كتب الينا هذه الرسالة بعد وصول الكتاب ونصها

حمدا وصلاة مرسيليا ٢١ رمضان ١٣٤٢

اخوان الصفا حامم الله . سلاما واحتراما .

وصلتي جوابكم المؤرخ في ٢ رمضان بعد طول انتظار واسكم المذرفانكم في زيارة بين اقارب واصدقاء واخوان ، وحيث تتناولون في الافطار تمر الدقلة وشربة الفريك والكسكس . . . (وانا اكله هنا ايضا) وترغمون بالقصائد

وتسمعون دروس الوعظ وتحضرون مجالس القراءان طول الليل وتحبسون تلك السيرة الحميدة التي لا وجود لها في غير ميزاب فهنيئاً لكم . الخ

(٣) في ذلك المجلس نفسه تناولنا مسألة التصوير التي ينبغي علينا القوم من اجلها فقص علينا قصة له مع الشيخ طغيش في شأنها ايام كانت الحرب قائمة بين الدولة العثمانية واليونان عام ١٣١٥ ، وكان قائد الجيوش العثمانية اذ ذاك أدهم باشا ، قال : وكنت اوضح للشيخ طغيش الوقائع الحربية و اشرح له من المجلة المصورة مناظر الجيوش العثمانية المهاجمة والجيوش اليونانية الهاربة المنهزمة وأريه ابطال ال عثمان على خيولهم لاحقين وجنود اليونان صرعى هنا وهناك ففرح بذلك فرحاً شديداً وقال : (ان كان التصوير هكذا فحسن اذاً !)

ومن شدة تأثره من تلك المناظر قال هلموا بنا نرفع أ كفننا الى الله فندعو للدولة الاسلامية العثمانية بالضر والنصر والغلب فرفع أ كفه للدعاء بذلك فدعا ودعونا معه ما شاء الله .

ثم قال احد المتذممين في المجلس كيف ندعوا يا شيخ بالعز والنصر لقومنا فما كاد يتم كلامه حتى زجره الشيخ وعذبه فطرده من مجلسه ولم يمش المجلس نحو اربعة اشهر !

(٤) كان كتب قصيدة مطلعها : (١)

لامني بعض رجال العلم من ال ميزاب
يعاتب فيها صاحباً له من اولئك المتذممين على خلق شاذ ، ويرده بلطف الى جادة الصواب .

واشار فيها الى بعض مقاصد قال : انه لا يفهمها الا المخاطب بها ، وحينما اجتمعت به في مأدبة أقامها لنا في محل اقامته برادس من ضواحي تونس لما

رجع من حرب طرابلس ، آخر سنة ١٩٢٣ ، قلت له من تعنى يا استاذ بهـذه القصيدة ؟ فقال : عك . . . جاء يعاتبني : لماذا لم تزرني الى داري ؟ فقلت له يا رسول الله ، انا قطعت المسافات الطويلة في البر والبحر الى بلادك وانت لم تستطع ان تقطع حتى المسافة التي بيني وبين دارك !

٥) حينما عاد من ميزاب لتعزية الـال طـيـش في قطب الائمة رحمه الله في ابريل ١٩١٤ وفي رفقته من الجزائر الاخوان الناضلان المرحوم السيد العنق الحاج عمر والسيد الزواي الحاج ووجهته من الجزائر الى تونس رأسا لان سفره كان بالشكليات الرسمية .

ولكن كرم اخوانه بقالة وخذقهم ولطف حيلتهم حمائم على ان يحملوه هو ورفاقه امام أمر مقضي بأن ينزلوا ضيوفا عندهم في قالة .
وبماذا يتصيدون هذه الفرصة العزيرة المنال لهم وهي امنع من عقاب الجو ؟
نعم - دبروا لذلك تدبيرهم الحكم الذي يشهد ببراءتهم وعلى كرمهم وهمتهم في آن واحد .

ذلك انهم اعدوا عدة نزولهم ثم ذهب وفد منهم في سيارة خاصة الى حمام المسخوطين « وعند اوان القطار تواطئوا مع مدير المحطة ان يأذن للقطار بالسفر بدون صفيح . وحينما وقف القطار بالمحطة اشاروا الى الباشا بالنزول ليساموا عليه فنزل يسلم عليهم ويسلمون عليه ، وبينما هم يتبادلون التحية بتوأدة اذا بالقطار يأخذ طريقه الى قالة في صمت نخدق الاستاذ الباشا بعينيه في وجوه الحاضرين ففهم من ابتسامات ثغورهم ولمحات عيونهم ان الامر دبر من قبل ، فقال لهم على الفور :

يا رسول الله : الناس يسرقون الاموال وانتم تسرقون الرجال فذهبوا به الى قالة واصطحب بعض رفاقه امتهمهم الى قالة ، فكان ما كان .

ولما اراد اخوانه ان يعيدوها في محطة سوق أهراس وحاولوا ان ينزل اليهم فيها للسلام أبى من النزول وقال لهم ان المؤمن لا يلدغ من جحر افعى مرتين ! ومد اليهم كفه من داخل العربة وقال لهم السلام « بس » هكذا .

(٦) في اثناء زيارته لميزاب سنة ١٩٠٧ بينما كنا معه في مأدبة في محل بعض اصدقائه اذ قرأ بعض الطلبة على مسامع الحضور قصيدة للشيخ عمر التندميرتي وقد نعى فيها على الاتاي وقال في شأنه

حشيشة يسمونها بالانسا قد عمت البدو واهل القرار

فقال صاحب المأدبة مخاطبا الاستاذ الباروني ، والاتاي حاضر بين ايدينا :

حللوا لنا ما بين ايدينا والا فامثلوا لسكلام الشيخ ، فقال الاستاذ الباروني

مرتبلا على بحره ورويه :

اكن حلال شربها طيب وفي بني يسجن فاشرب جهار

واظب عليها في الليالي وكن للعلم جماعا تكن ذا اقتدار

فالعلم نور والاتا زينه فاشرب وطالع كي تكون منار

(٧) في نفس هذه الزيارة سنة ١٩٠٧ وهو قد اخذ يقتحم لجج المعامع في الشرق وجد رفيقيه في التعلم الشيخ حمو بن باحد والشيخ الحاج اسماعيل زرقون كما تركهما سنة ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م فقال لهما مؤنبا « الى متى تعتكفون تحت الرف وانتم - ابارك فيك - ابارك فيك ؟ فتى تخرجون من تحت الرف فتخوضوا المعامع وتستقلوا بحر كاتكم ؟ » الخ

(٨) قيل - انه لما انتخب نائبا عن الجبل الغربي في مجلس المبعوثان العثماني - كان احيانا يلبس فيه زيه الطرابلسي المعروف فكان زملاؤه يتضاחקون من ذلك ذات يوم . فاجابهم بما معناه ا بما اني امثل بلادي بينكم فن الواجب ان امثلها بزيتها المعتاد .

٩) لما ولدت لابننا ابي اليقظان عيسى بذته الاولى وكاانت المراسلات اذ ذاك بيننا وبين المرحوم متصلة قلت له في غضون رسالة « الآن اصبحت جدا » فأجابني عن هذا « اذا افعل ما فعلته الاجداد » فاستمسرته عن هذا الاجال فاجابني قائلا : « ان من شأن الجدود ان يقتحموا غمرات الموت في سبيل دينهم ووطنهم بكل سهولة ، لأنه لم يبق لهم من العمر ومن القوات الا قليل فلا يصعب عليهم تضحيته كما يصعب على الشباب ! وسترى هذا بنص كلامه في محله ان شاء الله .

١٠) كان الشيخ حمو بن باحمد زارنا لادارة « وادي ميزاب » في الجزائر فالحجنا عليه ان يكتب لنا مقالا ننشره فيه وبعد ممانعة منه وإلحاف منا كتب مقالا بأسلوبه المعروف ، فعملنا فيه ما يعمل الفلاح في تشذيب الشجر وكتبنا له عنوانا ضخما في صدر الجريدة ما نصه : « علامة وادي ميزاب في ادارة وادي ميزاب »

فلما نشر وبلغ المرحوم الباشا ، انفعل فكتب الينا رسالة بليغة في شأنه سترها بعد بحول الله بنصها .

ومما قاله فيها : ان بلغ سلامي للشيخ حمو وقل له « ليس ما يكتب في الصحف مثل ما يقال في المسجد ، فليصحف قراء وللمسجد عباد ، ولشكل ذوقه واسلوبه » الخ

١١) كنا ذات يوم مدعويين الى محله للمأدبة فلما فرغنا اخذنا لتطارح الدعاء كل منا بطرحه لآخر فانتبه وقال « اللهم جاز من أكل طعامنا وشرب ماءنا وفكك مجلسنا وشرف محلنا والحمد لله رب العالمين »

محنته الكبرى

الآن — وقد أتينا على موجز من اوصافه الخلفية والخلفية — كتمهيد للدخول في ادوار حياته العملية — نأخذ في استعراض الاطوار البارزة منه الطائفة بالامر في ميدان العمل .

ان مما يقضي بالدهشة والاستغراب في نفس الاخ الباحث ، ان المرحوم الباشا ما كاد يتخطى ، اخر مراحل العملية حتى فاجأته محنة جلى ، كما فاجأت يوسف عليه السلام قبل ان يكون عزيز مصر .

ولم تكند تنتهى الحلقة الاخيرة من هذه المحنة حتى اسلمته الى الاخرى أكبر منها وهكذا الى نهايته . ولم يبسم له الزمان الا الماما ، شأن الابطال المغامرين ، وهذا ما سنعالجه فيما يأتى من الكتاب ان شاء الله .

١ — بؤادر المحنة :

لا يخفى على كل من له إلمام بالسياسة العثمانية ما شهر به اخيراً عهد السلطان عبد الحميد العثماني من استفحال الجوسسة والتحام شبكة الوشاية في سائر ولايات الدولة العثمانية ، من بينها طرابلس الغرب ، ذلك مما أفضى الى الانقلاب التركي سنة ١٩٠٨ ولا شك ان عيون العيون لا ترمق حركات الدماء ، ولا تلاحظ مواقع اقدام العامة من الناس ، ولكنها تدقق ملاحظاتها وترهف اذانها لأحاسيس البيوتات الكبيرة ، وتحصي انفاس رهوس العائلات الماجدة التي لا تدب عقارب الحسد الا حولها ولا تسعى أفاعى الوشاية والذميمة الا بينها .

وقد عرفت من قبل ما للعائلة البارونية من السمو والمجد في ذروة الجبل فلا غرابة اذاً ان يتسابق اصحاب الحسد والضغينة والحنمد في السعاية والوشاية بهذه العائلة الماجدة لدى الباب العالي .

ذلك ما وقع لها منها في شخص ابنها الفذ المرحوم الباشا .

٢ — الحلقة الاولى

لما رجع المرحوم الباشا مملوء الوطاب علما من وادي ميزاب سنة ١٣١٦ — ١٨٩٨ ، بعد تونس فالقاهرة فتونس ، وعاد الى وطنه طرابلس وهو يطير بجناحي الشوق والامل يتوالب عزما ونشاطا للدخول في ميدان العمل وقد ارسل امامه أمتعته . فبينما هو في طريقه اليه اذ سبقته وشاية الى الباب العالي أهمته فيها بسوء الدية وبأنه يعمل ضد امن الدولة ولئلا يهدد دولة اجنبية ، فأمرت بحجز أمتعته وتمديشها ، ثم بايقافه رهن التحقيق .

ثم ماذا ؟ حجزوا أمتعته ففتشوها فوجدوا فيها بعض اوراق وجوابات فسروا بعض عباراتها بما شاءوا واولوا المذهب منها بما ارادوا .

قيل لنا : ان مما وجدوا بين اوراقه وكان من الاسباب الكبرى في التضييق عليه « طغراء » على شكل طغراء الدولة العثمانية مكتوبا فيها « السلطان سليمان الباروني » ولئن صحت هذه الرواية فلربما كانت مدسوسة عليه من بعض الوشاة بين اوراقه بحيلة حتى يتوسلوا بها للتسكيل به ، حسبما تراه بعد .

لمجرد وصوله اوقفوه في دائرة البوليس ممنوع الاختلاط بالناس وتشكلت لجنة خاصة للبحث واخذ التحقيقات منه ، ولما تسمع الناس خبره هاج الرأي العام وماج واستاء المقلد منه لما علموا من صدقه واخلاصه وبراهته ، وكادت المسألة من الهيجان تؤول الى ما لا تحمد عقباه ، فقررت محكمة الاستئناف براءته مؤقتا اطفاء لاهيب الهيجان وتسكيننا للخواطر المتأججة لكن على شرطين

(١) ان يقدم كفالة معتبرة يضمها والده

(٢) وان يحلف اليمين اللازمة على المصحف . فوقع كل ذلك في مجلس رسمي

خارج برئيا .

ثم استدعاه الوالي هاشم باشا اليه ليفهمه، بسكيفية الحكم ببراءته وليسزوده ببعض نصائح ووصايا غالبية ، لأنه يراه كإبن عزيز لديه ، يعز عليه ان يمسه سوء ، وبإشارته حكمت محكمة الاستئناف بالاغلبية ببراءته (١)

مظهر شعبي عظيم

ما كاد خبر الحكم ببراءته ينتشر حتى تباشر الناس به ومهرع خمسون فارسا لمرافقته من طرابلس الى فساطو واقاموا الولائم الفاخرة وذبحوا الخرفان قرابين لله شكراً له تعالى على براءته .

ومما نسجله هنا بمداد الفخر والاعجاب نقلا عن المرحوم الباشا نفسه « ان اعيان طرابلس اكرموا اولئك الفرسان المحسنين الذين جاءوا لمرافقة الباشا ومن معهم سبعة ايام اكراما لم يسبق له نظير ، ونخص بالذكر يوم القلعة الذي ذبح معهم لغذائهم ما يزيد عن ٦٠ خروفا .

وكان ليوم دخولهم حوز فساطو صدى بعيد اهتز له ما جاوره من البلاد ، واستقبلهم الناس على مسافة بعيدة ، وقد قيل في هذه الايام الغر من الخطب والقصائد ما سجلت لها صفحات ذهبية خالدة (٢)

٣ — الحلقة الثانية

ثم انه بعد عامين من صدور الحكم ببراءته في ١٣١٨ — ١٩٠٠ صدر الامر من المرجع العالي بنقض البراءة وعزل اعضاء مجلس الاستئناف العشرة واعادة القضية من جديد الى المحكمة فاحضر المرحوم الباروني بين صفوف العساكر المسلحة تحت رئاسة قائمقام فساطو محمد بك الاشير الشامي ، وهذاك ابلغوا اليه الحكم بالابعاد خمس سنين .

ولكن بمساعي الوالي « حافظ باشا » في تخفيف ذلك الحكم القاسي اكتفوا من المرحوم الباشا بضمانة من اعيان الجبل وطرابلس معا . غير انه بقي تحت المراقبة داخل القلعة السلطانية (سجن طرابلس) (١) مدة ستة اشهر وهي الفترة التي بين صدور الحكم وبين تقديم الضمان ، ومن اعظم مظاهر الجلد والصبر من المرحوم الباشا موقفه بالاسم ازاء هذه المحنة التي كان من بين ما تداولوا في بعض جلساتها : اما الحكم عليه بالاعدام . واما الحكم عليه بالاشغال الشاقة مدى الحياة !

وهو يغني ويقول : (٢)

الروض باكرها الغمام وهرها	روح النسيم فغزت الاطيار
وتماقت اغصانها وتبسمت	منها الزهور وпахت الانوار
وبدا لألحان الحممام ترنم	باسم الجليل المجتبي المختار
والي الولاية « حافظ باشا » الذي	من حسن سيرته المجالس حاروا
بالحق والعدل المنير علا له	صيت له فوق السالك مذار
وهكذا سار يضرب على هذه النغمة في قصيدة طويلة الى ان ختمها بقوله:	
صلى عليه الله ما قد سبحت	خضراء او ما اورقت اشجار (٣)
او ما سليمان البروني اعتنى	بالشعر في سجن له اسوار

٤ — الحلقة الثالثة

ثم انهم شددوا عليه المراقبة بمذمه من الاختلاط باصدقائه ، وبالاطلاع على ما يرد اليه وما يصدر منه من الرسائل ، وهو اذ ذاك في محل خاص تحت مراقبة البوليس مدة ستة اشهر اخرى .

وبعد مساعي عديدة اطلقوه من ادارة البوليس ولكنه بقي خارجا تحت

(١) ديوانه ص ١٩ ٢٠ ديوانه ص ٢٠ (٣) اي على النبي.

المراقبة ستة اشهر اخرى (١)

وبجهود جبارة من اعيان طرابلس لدى الباب العالي صدر امر العفو عنه
نهايا من الباب العالي .

فكانت لخبر العفو عنه رجة كبرى في طرابلس والجبل ووادي ميزاب
كسابقتها (٢)

٥ — الحلقة الرابعة :

ثم ان الاشاعات تجددت وراجت ضده سنة ١٣٢٥ - ١٩٠٧ بان الباب العالي
اصدر في حقه امراً يقتضى منعه من الرجوع الى وطنه ، وذلك بناء على ما
حصل - فعلاً - من منع « الاسد » من دخول الممالك العثمانية ، ومن رفض
البوسطة قبول جواباته المسجلة .

ولعل هذه الاشاعات كانت هي السبب المباشر في صده عن زيارة وطنه في
جمادى الثانية سنة ١٣٢٥ وصرف عنانه الى الجزائر فيزاب من نفس السنة (٣)

منشأته

في الفترة التي قضاها بين صدور براءته الثانية في حوالي سنة ١٣٢٠ - ١٩٠٢
وبين قيام حرب طرابلس سنة ١٩١١ تقريبا قام المرحوم الباشا بمؤسسات جزيلة
النفع وانشأ مشروعات عظيمة الفائدة على البلاد والعباد ، وهي فيما يلي :

١ — تأسيس المدرسة البارونية :

ففي ١٢ ربيع الانور عام ١٣٢٢ — ١٩٠٤ عقد حفلاً رائعاً لمناسبة فتح
هذه المدرسة التي شيدها يفرن على انتماض مدرسة المصلح الكبير الحاج سالم ابي
الهلول اليفرنى التي انشاها هو يفرن في صدر المائة الثالثة عشر ، واوقف لها

أوقافاً كثيرة في تونس وغيرها ، ثم تداعت بعد وفاته الى الخراب وتلاشت أوقافها بالبيع وغيره سيما بعد دخول فرانس لتونس (١) وكانت هذه المدرسة الجديدة تحت إشراف والده المحترم الشيخ عبدالله الباروني وتدرس فيها ، كما ملح اليه المرحوم في قصيدته (٢) الفنون الآتية : القراءان الكريم - الحديث - أصول الفقه - علم الكلام - الفقه - علوم البلاغة - الصرف المنطق الانشاء - اللغة .

٢ — المكتبة البارونية

في جنب المدرسة المذكورة انشأ مكتبة باسم المكتبة البارونية مشتملة على نفائس الكتب . وقد نوه بها في قصيدة له صفحة ١٢٠ من ديوانه .

٣ — المطبعة البارونية :

اثر ذلك انشأ في سنة ١٣٢٤ - ١٩٠٦ مطبعة سماها بمطبعة الازهار البارونية في القاهرة ، وقد نشر بها في مدة وجيزة نفائس عدة من الكتب في الحديث والتاريخ والادب : مثل الجزئين الثاني والثالث من فاء الضمانة ومثل حاشية الشيخ السالمى على مسند الامام الربيع بن حبيب في الحديث . ومثل الجزء الثاني من الازهار الرياضية في التاريخ ، ومثل ديوان الباروني وديوان السيف النقاد للشيخ الحضرمي ، وديوان القلائد الدرية للشيخ عمر التذميري في الادب .

٤ — الاسد الاسلامي

هي جريدة اسلامية عالية الروح وطنية المبدأ ، انشأها بمصر باسم « الاسد الاسلامي في سنه ١٣٢٤ - ١٩٠٦ ، وكان يطبعها بمطبعته البارونية ، فناها ما ينال الجرائد الوطنية الحرة من الارهاق والتضييق والتعطيل ولم يصدر منها الا ثلاثة اعداد فقط (٣)

٥ — جريدة « الباروني »

بعد ابرام الهدنة سنة ١٩١٨ بين الدولة العثمانية وبين الحلفاء وبعد رجوعه من كفاح طرابلس الى استامبول انشأ جريدة باسم « الباروني » في دار الخلافه ، وقد رأى رحمه الله ، انه وان اضطر لاعتماد السياف ، فقد اصبح من واجبه اشهار القلم ، فأخذ ينشر في جريدته هو وكافة اصدقائه مبادئه القومية الوطنية ، ليكون جهاد القلم في تلك الفترة عوضا عن جهاد السياف .

٦ — المدرسة البارونية بمائل :

عندما اخذ رحمه الله في تنظيم مملكة عمان سنة ١٣٤٨ بتفويض من الامام الخليفي رحمه الله على ما سيأتي بيانه ، انشأ مدرسة كبرى في سمائل من بلاد عمان باسم المدرسة البارونية ، ولكن الامراض لم تتركه يتم برامج الواسعة فيها

مؤلفاته

يضاف الى قسم منشئاته مؤلفاته العلمية الادبية من ذلك ما يأتي :

١ — كتاب الازهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية .

وهو كتاب نفيس في بابه في تاريخ الاسلام ، يشتمل على ٣ اجزاء طبع الجزء الثاني منه في مطبعته ، وموضوعه الخاص كما يدل عليه عنوانه « في أئمة وملوك الاباضية »

ناهيك به نغزاً شهادة الاستاذ الثعالبي في شأنه : اذ قال لنا لما اطالع عليه « انه اوسع علما فوق ما كنا نظن عليه الشيخ سليمان الباروني » ويشتمل هذا الجزء على ٣٠٧ صفحات .

٢ — ديوان الباروني :

وهو كتاب لطيف يحمل بين دفتيه شطراً من شعره الرقيق الذي انشده منذ نشأته الى ان طبع السكتاب في سنة ١٣٢٦ - ١٩٠٨ ، وذلك في مواضع

شتى من مدح وحماسة ووصف وانهاض هم ورتاء وغير ذلك .
وهو لعمرى مرءاة انمكست فيها اشعة فطرته الصافية وذوقه السليم وذكاؤه
اللامع ومطامحه العالية ، وقد طبع في مطبعته سنة ١٣٢٦-١٩٠٨ ويشتمل على
١٢٧ صفحة في الاصل وعلى ٣٢ في الملحق .

٣ - تاريخ الحرب فى طرابلس الغرب
هو كتاب نفيس يعرب عن نفسه بنفسه من عنوانه ، وهو لو فسخ الله له
فى الاجل لبرز امام ما كتبه الكاتبون فى الموضوع كما تبرز الشمس على
كواكب السماء .

ولكن عاجله المنون بقي بيرناجه الواسع ووثائقه التاريخية الرسمية الحربية
مليء نحو ٤ صناديق مادة خام كسنثرات التبر فى معدن الذهب .
ولعل الله يقيض من اولاده واحفاده من يحقق الاسلام هذه الامنية العالية
ويبرزه للوجود فى عالم الطباعة تحفة للناظرين .

٤ - عدا ما ذكر ، له تعليقات على بعض الكتب ورسائل قيعة وقصائد
غراء فى مواضيع مختلفة نشرت فى جرائد ومجلات الشرق والغرب متناثرة هنا
وهناك لو جمعت لتألف منها نحو مجلدين ضخمين مجلد لنثره ومجلد لنظمه، ونحن
نسجل منهما ضمن كتابنا هذا مختارات ونقائس من الصنفين ان شاء الله .

وبعد - فان هذا المجهود العظيم من المنشئات والمؤلفات فى فترة قصيرة بين
مختنين كبيرتين ، محنة السجن ومحنة الحرب من فرد لم يأو الى ركن شديد من
الجماعات والاحزاب الا الى الله وحده ، لدليل قاطع على عظمته وقوة ايمانه بالله .

نبايته في البرلمان العثماني

كان ما تقدم منذ امتحانه بمحنته الكبرى وما عرضناه من منشئاته ولاسيا ما كان بين سنة ١٣٢٤ - ١٣٢٦ كرأس جسر لقاعدة جوية له للطيران الى شواحق السمالات لاسيما والانهقلاب التركي في دور التمهض ، حتى اسفر فيما بعد عن ولادة غلام مبارك سموه الدستور العثماني في ١٧ جمادى الآخرة ١٣٢٦ ٢٤ جويلية ١٩٠٨

ففي هذه الايام الطاغية بأمواج الحوادث برز المرحوم الباشا في ميدان القاهرة كالفارس المجلي ، وحركة الحزب الوطني المصري وعلى رأسها مصطفى كامل باشا على أشدها .

في هذا الميدان الفسيح ظهر الباروني باشا ، وقد صهرته نيران السجوف شاعراً وخطيباً يهز اعواد المنابر ويضرب على اوتار القلوب والمشار ، وييده اليمنى « الاسد الاسلامي » خفاقا يرفرف به على ارواح المسلمين في المشارق والمغرب ويلوح به الى قلوب المؤمنين ان فجر الحرية والاستقلال على وشك البزوغ وان ليل الاستبداد والاستعباد قد ولى الادبار الى حيث لا رجعة .

نعم كانت حوادث هذه الظروف كسلم صعد المرحوم درجاته واحدة فواحدة الى اعلاها .

او كرجح مواتية لربان سفينة خربت عرف كيف يستفيد من هبوبها الى ان بلغ - في فرصها السانحة بسفينته - الى شاطئ الحرية وقمة الدستور .

الباروني في مجلس المبعوثان

فى التاريخ المومى اليه نودى بالدستور العثماني وكانت من بين ولايات الدولة العثمانية طرابلس الغرب ، وكان من بين مقاطعات طرابلس الجبل الغربى وكان من بين الشخصيات البارزة للترشيح الى نيابة الامة فى مجلس المبعوثان سمادة المرحوم الباشا عن الجبل الغربى .

وبرغبة ملحة من الامة رشح نفسه للانتخاب ففاز باغلبية ساحقة فتعين - رسميا - عضوا فى مجلس الامة العثمانى . فمثل امته بين ابطال ال عثمانيين احسن تمثيل .

وقد هزئته إذ ذاك - وانا تلميذ ذو ٢٠ ربيعا - لدى الشيخ طيفيش بقصيدة أجبجل الآن ان اعرضها على الاخ القاريء . وحسبى هذا ان اقتطف بعض ابيات منها ليستدل بها اخي الباحث على الروح السائدة على نفسه يومئذ ، منها ما قلت :

يا حائزا قصب السباق بفرصة	يا نجلى عبد الله ذي الانعام
يا محفة القلب الشجي ويا سلب	هان السليم من شرور لثام
يا بهجة الاسلام يا نور الهدى	أذهبت ما قد كان من ءالام
فاذا تذكرت فعلك المحمود في	طيف المنام هاج بي غراي

وقد اجابني عنها برسالة لطيفة كنت اعدها من اءلاقى الغالية ، ولكن سطا عليها بعض الفضوليين من التلاميذ فقطعها والصقها فى جملة ما الصق من الاوراق ليتخذ منها معا ملنا لسكراريسه !

ومن نوادر هذه الرسالة انها ارسلها الى المرحوم الباشا من الاستانة ضمن رسالة الى استاذنا الشيخ طيفيش . فلما وصلته قال لي : أتاخذني ان اقرأ رسالتك؟ فقلت نعم ! ثم قال لي «ولماذا أرسلت للشيخ سليمان قصيدة ولم تعرضها علي من

قبل ؟ فقلت له إنما كتبها له من القرارة » وأنا حقيقة حررتها في القرارة !
ثم ان المرحوم الباشا مكث كذلك في المجلس الى اوائل ١٩١١ ، اذ نجح
ب وفاة والدته فتأثر والده بمصاها على كبر سنه تأثراً عميقا .
فجاء المرحوم من الاسطانة الى طرابلس لتعزية والده وتسليته . وبينما هو
في هذه الرحلة الخطاطفة اذ فاجأته ايطاليا بحرب طرابلس الى ان كان ما كان مما
ستراه ان شاء الله .

الباروني في مجلس الاعيان العثماني

بعد ان وضعت الحرب اوزارها في طرابلس وانتهت باحتلال ايطاليا والتجاء
المرحوم الباشا الى تونس لبث فيها بقرية سنة ١٩١٣ واوائل سنة ١٩١٤ ثم عاد
بعائلته الى استانبول ، ومكأفاة له على بطولته وجهاده في طرابلس عين — على
الاثر — عضوا في مجلس الاعيان العثماني فلبث فيه كذلك الى الانقلاب التركي
الاخير في عهد مصطفى كمال سنة ١٩١٩ .

وقد ارسلت اليه - اذ ذاك وانا بتونس - رسالة تهنئة على ذلك نشراً ،
فاجابني عنها برسالة لطيفة لكن مع الاسف لم يكن حظها باحسن من سابقتها
اذ تلفت فيما تلف لي من الاوراق .

ولا يفوتني ان اسجل هنا رسالتي الموى اليها فيما يلي :
وهذا نصها بعد الديباجة : « . . . اذ لمقامكم السامي عبارات التهاني
تعقبها الخرائد الغواني ، لائقة بعلو ارتقاءكم على تلك المنصة اللينة وانخراطكم
في سلك تلك الدائرة الشريفة ، لما حصل لكم من جانب الدولة العظمى الجليلة
على ذرى المجد القائمة على هامات الاسد ، من الاجلال وعظيم الاعتناء المفضي
بكم الى ان كنتم معدودين من فحول الرجال الذين يعتر وينتظم بهم سلك
مجلس الاعيان ، ليس ذلك بالخيال وانما هو بالحس والعيان .



صورة المرحوم الباروني باشا وهـ — بـ لابـس الزي
الرسمي لمجلس المبعوثان لبركي ، وذلك بعد انتخابه في
ذلك المجلس سنة ١٩٠٨ م



صورة له فريدة ترمز الي بعض أوسمته :
(١) وسام الاستقلال الحجازي في ذي الحجة ١٣٤٢
(٢) وسام اشرف السعيد في مسقط في رمضان ١٣٤٣

ولا غرو في ذلك ! فان ما نلتهموه من الارتقاء الحسي والمعنوي انما هو قد استحقكم واشتاق الى ان يحلّي بكم ، وناداكم بلسان التأهل لما ابديتهموه من الفضائل والفاضل التي اخذت بمجامع قلوب ادباء الامم على اختلاف طبقاتها وخروا لآياتها خاضعين ، منها لطف خلق . وحسن عواطف وصدق حرية وشدة غيرة دينية ووطنية وخالص عناف .

ففي الحقيقة - ان الاحق بالتهنئة انما هي تلك المنصة المكرمة باستواء حضر تلك العلبا عليها ، استواء نبي الله سليمان على كرسيه الذي تليت عليه آيات المهابة والارهاب . ويجدر بك - اذاً - ان تقول « رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك انت الوهاب »

وان الاحق به ايضا ذلك العتد النفيس الذي نال حضور جلالته لديه ايها الجليس الانيس .

فهنيئاً لذلك السكرسي العظيم وذلك المحمل البهيج الفخيم الذي هو تاج الدولة الظافرة !

فياله من منال اشغل الفكر عظم وقعه ، حتى فاته ان يعرب عن مقدار كنهه ، من كونه ملأ أرجاء قلوبنا فرحاً وسروراً وابتهاجاً ، وزاد لنا من الاعتزاز والافتخار ما نستظل بمجابه مدى توالي الدهور ، ويجعلنا من قبيل الاحياء ، فياله من منصب مطابق مطابقة الوزارة لبطل الحرية « انور باشا » وبإله من سلم لبلوغ اقصى الامال . تمكنتهم به تمكن الشجاع بسلاحه ، فلند انجز الاقبال وعده ووافق الطالع سمعه ، وان الشأن لفيما بعده ، فخبذا السماء اطلعت فرقدا ، وغابة ابرزت اسدا .

تونس : جمادى الاخر ١٣٣٢ — ماي ١٩١٤

ابراهيم بن الحاج عيسى

هذا — ومن دواعي الغبطة والسرور ان وقفنا على رسالة له في هذا الصدد
اجاب بها رفيق في البعثة العلمية الميزابية بتونس المرحوم السيد الحاج عمر العنق
الذي كان رفيقه لميزاب في تمزية ال طميش كما اشرنا اليه من قبل وهذا نصها :
مجلس اعيان حمداً وصلاة وسلاماً

الى السيد الحاج عمر بن الحاج ابراهيم

حضرة الاخ المحترم الرفيق الاكرم حفظه الله
السلام عليكم وعلى الاخوان الكرام الادباء والانجال الذجباء . اننا نحمد
الله ، وصلنا والله الحمد ، ولسكنة الاشغال كما لا يخفىكم (ان لكل قادم دهشة)
قصرنا في مكاتبتكم فارجو قبول عذرنا ، ومن الآن فصاعدا نوالي المكاتبة
ان شاء الله .

سلامنا الى الاخوان في الجزائر وميزاب والمدن التي مررنا بها كافة اذا
كاتبتموه . الشيخ يحيى ، اخوه ، ابراهيم - يهدونكم السلام .
شرفنا جوابكم ضمن جواب اخينا الفقيه سعيد بن عمر النفوسى ، سلامنا
اليه والى الطلبة والجماعة .
اخيكم سليمان الباروني

٨ رجب سنة ١٣٣٢ - جوان ١٩١٤

جهد الباروني باشا

يبدو للاخ الباحث ان انتهاء الباروني باشا في صعوده الى قمة الذيادة بالبرلمان العثماني — كأنه — وهو في قمة طود شامخ ، مقبل على صعود طود شامخ ، اخر صعب المرتقى يبتدي ، سفحه من نهاية قمة الاول على شكل تضاريس جبال الاطلس !

وما هو هذا الطود الثاني الذي يستقبله للصعود يا ترى ؟
ألا وهو الجهاد !

نعم ! نحن لانعني بالجهاد هنا كناية او مجازا او خيالا ، انما نعني به معناه الحقيقي الذي يعنيه المجاهدون بالسيف دفاعا عن دينهم وقومهم ووطنهم .
ذلك هو جهاد الباروني باشا في طرابلس الغرب ضد دولة غاصبة ظالمة هي ايطاليا .

ان الافاضة في جهاد الباروني باشا تستدعي وفرة من الوثائق والمراسيم والمناشير والبلاغات والخرائط وغيرها من المعلومات ، كما تستدعي لشرح ذلك وتفاصيله مجلدات ضخمة ، ولا قبل لنا نحن بهذا .

وانما نكل امر ذلك كله الى كتابه الذي وضع هو برنامج « تاريخ الحرب في طرابلس الغرب » الذي كنا اشرنا اليه في جملة تاليفه .

وحسبنا هنا ان نجلي بقدر الامكان مبلغ بطولته في مواطن الكفاح كبطل من أبطال الحرب وكقائد من قواد الاسلام العظام ، وان نشخص قدر المستطاع — كنه مغامراته ومقدار مخاطراته كأعظم المغامرين المخاطرين لو اوتي مثل ما اوتوا من حظوظ . كما قال هو عن نفسه :

نلت الصدارة في كل المواطن ! كمن لارجال ولا مال يؤيدني

لو كان ما للورى لي لنت به للسهج الحق اعلى مراكز مدنى
نحن لا نستغرب كثيراً مما يبدو من فنون البطولة في ميادين الوغى من
القواد العسكريين الذين تسندهم دولهم العظام بملايين من خيرة الجنود وبملايير
من خزائن الاموال وبأسراب من الاساطيل الجوية والبحرية وبالاطنان المطننة
من الدخائر الحربية وبسائر وسائل الفتك والتدمير .
انما الغرابة كل الغرابة أن يقف فرد أعزل من أي سلاح أمام دولة عظمى
مجهزة بكل سلاح مدة نحو ثمان سنين .

ذلك ما فعله البارونى باشا البطل الاعزل الا من الايمان بالله مع ابطال
طرابلس الابرار ازاء ايطاليا المسلحة إلا من الايمان بالله .
حقاً ! لقد صدق بفعله بجهاده هذا ما كان قاله بشعره عندما اخذت ايطاليا
تتحرش بالدولة العثمانية في شأن طرابلس . وذلك حين يقول (١)

نصول اذا حان الدفاع ولا ترى	جزاء من المولى سوى جنة الخلد
نحب الملقا لا نبغض الطعن ان يكن	فضلاً عن الاوطان والدين والمجد
هنيئاً لمن امسى صريعاً مجاهداً	له حلة من ارجوان على الجرد
فيا مغرمنا بنا تقدم لعتية	ترى الموت فوزاً في مصادمة الضد
خفاف ثقال في الجلالاد جوادهم	مكر مفر مصدر القرب والبعد
ابا بطلا رام النزال بضغفه	ألم تشف غلا نكبة الحبش الجعد
اراك زماناً طالما حمت حولهم	ولم يك الا ان صرعت على الخلد
ألم تدع الاسرى هناك تسوقها	عصا الذل من ذاك النجاشى في الصفد
ألم تك ممن ادرك الناس انه	أخف انهزاماً من رباط الى السند
ألم يكفك النصر المقهقر خسة	فلا حول ما هذا التملق كالقرود

فدعك « بنابلي » لعل جبالها .
 فان بها افواه بيت تفتحت
 واما سليمى (١) لا سبيل لوصلها
 باذن الذي بالامس عزز نصرنا
 وكانت وكانت في « قطنيا » وقعة
 ألم تعلم ان المسلمين اذا سطوا
 قديما حديثا لا افتراء وان تشا
 فكف ودع هذا التظاهر وارتدع
 دع الطمع المذموم لا تغترر بما
 محال محال ان تدنس روضة
 خذ النصيح او فاحضر لسكر مدرع
 محبرة رجراجة الكفل غضة
 يزيج سنا الاسلام ظلمة شركها
 الى آخر القصيدة

تخر فتننى او تقيك من الرد
 لتمنح دفئا عاري الجوف والجلد
 ولو نجعل الجوزاء منطقة الغمد
 فكانت سواقوز لنا موقع الجند
 فسادت « بمسينا » رجال على المرء
 فواحدكم كالمشر في الجزر والمد
 فسل من « اثيني » قريب من العهد (٢)
 فمالك ابطال تسرك او تفدي
 تراه كأحلام على فرش المهـد
 عليها لواء حف بالنصر والحمد
 له لبد حوراء بارزة النهـد
 نحيلة خضر ذات خال على الخـد
 فيصبح منها الفرع اسود كالند (٣)

بهذه الروح العالية والعزيمة القولاذية والهمة الوثابة والحمية الملتهبة يدخل
 الباشا البارونى معمعة الجهاد بمن معه لما نادى داعي الدناغ والجلاد فيستعذب
 من اجله العذاب ويراه ألد من كل مالد وطاب . كما سرت تصرحاته سابقا في
 هذا الشأن .

اما جهاده -- فهو يشتمل على ثلاثة أطوار :

- (١) يبنى طراباس (٢) نسبة الى اثينا عاصمة اليونان وذلك اشارة الى الحرب العثمانية
 اليونانية الواقعة اخيرا وما حصل فيها من الانتصار للإسلام على يد القائد الشهير ادهم باشا
- (٣) اى شعرها - لانها اذا زالت عنها ظلمة الشرك تلالا وجهها نورا فظهر سواد شعرها
 جليا ، فتأمل . اهـ . ديوانه ص ٥٤

الطور الاول — يتبدىء من يوم اعلان ايطاليا للحرب على الدولة العثمانية في طرابلس الغرب في ٢٩ سبتمبر سنة ١٩١١ وينتهي عند انتهاء اخر معركة له في جندوبة في ١٣ مارس سنة ١٩١٣ (١)

الطور الثاني — يتبدىء من اواسط ١٩١٤ وينتهي الى اوائل سنة ١٩١٦ .
الطور الثالث — يتبدىء من حوالي اكتوبر ١٩١٦ وينتهي الى يوم اعتراف ايطاليا بحكومة طرابلس الجمهورية الوطنية وامضاء قانونها الاساسي في ٢١ ابريل ١٩١٩ .

اولا — اما الطور الاول فاليك موجزا منه فيما يلي :

مما حفظ لنا التاريخ — انه لمجرد ما بلغ الخبر بظهور الاستلول الايطالي في البحر امام مدينة طرابلس مسامع المسلمين في الجبل اجتمع عند الباروني باشا في مركز القضاء يفرن كثير من رؤساء القبائل العربية والبربرية وتفاوضوا في وضع ميثاق يديرون بمقتضاه دفة الدفاع وبينون على اساسه قواعد الجهاد فاتفقوا على ما يأتي :

(١) على عدم اعتبار كل ما يؤدي الى الانقسام من عادات وخرافات مذهبية أيا كانت .

(٢) على ان يكون الجامع في الجهاد هو الجيش الاسلامي الطرابلسي ، وان المجاهدين كلهم اخوان في الاسلام فلا ذكر لمذهب ولا لعنصر .
ثم حرروا تلمغرافا بامضاءاتهم فوجهوه الى وكيل الوالي بطرابلس والى نادي الاتحاد والترقي عن لسان اعيان المالكية والاباضية من العرب والبربر من لواء الجبل وهذا نصه :

« الولاية الجليلة » الناس في هيجان عظيم بسبب الاخبار الواردة عن

(١) جندوبة هي قرية في ناحية غريان كانت الواقعة فيها على المجاهدين .

الاسطول الايطالي ، فان كان لهذه الاشاعة أساس فان أهلينا مستعدون لبذل النفس والمال ومتهونون للتسابق الى نيل المنازل العليا التي وعد الله بها الشهداء في سبيله .

نسترحم غادتنا بمحبة هذه الاشاعات (الامضاءات)
ثم ورد اليهم جوابا عن هذا التلغراف ، تلغراف من نادي الاتحاد والترقي بطرابلس ، وهذا نصه :

الى مبعوث الجبل المحترم سليمان الباروني : ان حمية اهالي الجبل وحماستهم العظيمة جديرة بالشكر والتقدير .

اليوم وصل البابور المسمى « درنة » محملا سلاحا وذخيرة فلم يبق محل للمهيجان ومن موجبات المصالحة الآن السكوت والمتانة يا أخي »

رئيس المركز : شادي

وفي اثناء هذه الظروف وجه الباروني باشا نداء عاما الى عموم المسلمين في حين طرابلس يستنهض فيه الهمم الى الانخراط في سلك الجهاد دفاعا عن دينهم ووطنهم وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم
« ايها الناس اعلموا انه من قضاء الله وقدره ان ساط على وطننا امتهجانا لنا دولة خديسة نصرانية طليانية تعبد الاصنام وتنكر الملك العالم وتستعين بالاسلام فسوت لها نفسها الحبيثة الاستيلاء على بلادنا وغصب اراضيها ونساءنا واستخدام ابنائنا كالعبيد لا بلغها الله ذلك فكأنها لم تحسب لشجعان قريتنا ولا لعساكر دولتنا المظفرة حسابا ، وها هي أرسلت مراكبها الحربية وهي الآن واقفة في البحر امام المدينة تنتظر الاوامر من دولتها بالهجوم على ولايتنا .
وقد استعد اخواننا اهالي الشطوط والمدينة لصد غارتها وتشيت جموعها .

وفتحوا دفتار لتقييد المجاهدين في سبيل الله .

وها انا ايضا من قبل ان نسمع بهم جعلت تنظيمًا جديدًا وفتحت دفتار في مركز القضاء لتقييد المجاهدين في سبيل الله . قيدت اسمي اولًا فيه مجاهدًا « سليمان البارونى » وكافة نفوسة على اثرى . وعرفت عموم اللواء والمحققات ايضا بفتح دفتار لتقييد المجاهدين في سبيل الله ، دخل فيها كل من له حمية وطنيه وغيره اسلامية .

وها نحن ندعوك يا كافة اخواننا رجبان وزنتان وارحييات واحرا به وحوامد واولاد ابن سيف ومنايضة ومحاميد وغيرهم من القبائل وخصوصا اهالي قرى الجبل الكرام اهل الشجاعة الغزيرة والحمية الدينية والشهامة الاسدية ، بالقدوم سرعة لاجل الذود عن الوطن حمية للدين وذودا عن الاسلام وحفظاً لشرف الاهل والاولاد .

فان الحجة قد قامت عليكم وفرض الجهاد قد تعين على كل فرد منكم الا العاجز الذي لا طاقة له . وها هو وطنكم العزيز ينادى بكم ودينكم القويم يستنجد بكم ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم يخاطبكم من قبره بقوله (الجنة تحت ظلال السيوف) وبقوله تعالى (جاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله) وبقوله (ان تذكروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) وبقوله (وما النصر الا من عند الله) وبقوله تعالى (ومن يقاتل في سبيل فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما) وبقوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن) الى اخر الاية . وغير ذلك كثير ، وما لكم الا تقاتلوا في سبيل الله . — الجهاد الجهاد — البدار البدار — الذمير النفير — لا يقبل عذر ولا تاخير .



صورة المرحوم الباروني باشا
عند انتهاء الحرب الطرابلسية
الاولى سنة ١٩١٣ ، وبلا حظ
آثر التعب والاجهاد المضني باديا
عليه رغم صبره وتجلده



وقفة له من وقفات الاستطلاع في قصر (غريان) ووراءه رئيس الجاندارمة الطرابلسية

اللهم يا من بيده ملكوت كل شيء امنح لنا رقابهم واقذف الرعب في قلوبهم وكثر عددنا في اعينهم وشئت شغلهم ومنق جوعهم واردد كيدهم في محورهم يا ارحم الراحمين . وءاخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .
« مركز الجبل » (سليمان الباروني)

قلت — أفلا يأخذ الاخ الباحث العجب العجاب من روح العزم والجرأة والاقدام من المرحوم الباشا الباروني ومن معه وهم عزل امام دولة أسطولها الحربي جائم ازاء طرابلس وهو مجهز بسلاح التدمير ؟
نعم نشبت الحرب بين ايطاليا والمجاهدين الطرابلسيين الابطال ، ووقعت وقائع هائلة في عين زارة وقصر الهانيء بضواحي طرابلس لم يحسب الطليان حسابها وقد قاد المعارك فيها المرحوم الباشا الباروني ورجاله الابطال بما اوتوا من مهارة واقدام ، ثم انتقل ميدان الحرب الى سوانى بني ءادم .
وهناك اتخذ المجاهدون معسكرهم العام ودونوا له نظاما اساسيا يديرون حركة الحرب على مقتضاه وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم
« نصر من الله وفتح قريب »

بعونه تعالى — في هذا اليوم يوم الاثنين المبارك الموافق ١١ جادى الاولى و١٦ نيسان - ابريل - صار تنظيم هذا الدفتر لمعسكر مجاهدي الجبل في سانية بني ءادم بمعرفة هيئة الآلي المركبة من الذوات الكرام الآتية اسماءهم على النسق الآتي :

مالكي

العضو والكاتب العربي : علي الدربالي

»

الوكيل الثاني : علي ءاراب

اباضي

وكيل الرئيس : ساسي اخزام

اباضي

العضو المؤقت للجيش : علي عبازة

مالكي

العضو والكاتب التركي : علي الشريف

وبمعرفة هذه الهيئة يكون تسليم السلاح والذخيرة والارزاق للمجاهدين وتنظيم مضبطة في نهاية كل اسبوع على مقتضاها يكون جلب الارزاق من العريضة ، وتنظيم مضبطة اخرى في نهاية كل شهر بموجبها تؤخذ المعاشات وتوزع ، بمعرفة يكون ترتيب — القراقولات — قوات المراكز الامامية الليلية ومأموريها وتوجيهها الى مواقعها المخصصة لها امام العدو في الاوقات المعينة وتنظيم دفاتر بدل المجاهدين المغرر جلهم من الجهات وغير ذلك مما يتعلق باصلاح المعسكر على شرط الاستقامة والعفة والاجتهاد التام . وكل ذلك يجب ان يكون مذيلا بتوقيعنا ليجري به العمل بلا اهمال والله الموفق .

تاريخ ١١ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ — ١٦ نيسان ١٩١٢

مبعوث الجبل وقائد المجاهدين : سليمان الباروني

الششيء بالششيء يذكر

الصلح بين الدولة العثمانية وبين ايطاليا

قبل ان نواصل كلامنا الموجز في جهاد الباروني باشا ورجاله الابطال في طرابلس الغرب ندلي بكلمة مختصرة عن اضطرار الدولة العثمانية الى هذا الصلح وعن اسبابه فيما نعلم ، ليعلم الاخ الباحث مدى خطورة الحالة على مجاهدي طرابلس حينئذ ومبلغ مغامرة قائدهم المرحوم الباروني باشا اذ ذاك .

اسبابه :

(١) اهمال الدولة العثمانية لولاية طرابلس وعدم الاهتمام بشئونها كقطعة من املاكها ، ولكن تعددها كأنها خارجة عن مقاطعاتها ، رغم تعلق ابناءها الشديد بدولة الخلافة .

(٢) خيانة بعض رؤساء الدولة العثمانية أيام اعداد ايطاليا عدتها لغزو طرابلس ذلك انه لما صح عزمها على الغزو استمات اليها بعضا من موظفي الدولة العثمانية الكبار ولاسيما حقي باشا سفير الدولة العثمانية في روما فاجتذبه لمودتها فأحبها وأحبته . ومن سوء طالع الاسلام ان صار ابراهيم حقي باشا رئيسا للوزارة العثمانية « صدرا اعظم » فاشتريت ايطاليا ذمته بمبلغ خمسة ملايين ليرة ايطالية مقابل التخلي عن ولاية طرابلس الغرب ، فهدد الطريق الشائك للاحتلال الايطالي بسحب القوات التركية من طرابلس الى اليمن بدعوى ان اليمن ثائرة فيجب قمعها ولم يترك منها في طرابلس الا القليل .

بينما الباروني باشا يرفض بكل اباء نظيرها لما ساومه السكونت سفنورزة بها مقابل انهاء الجهاد في اواخر ايامه (١)

(٣) تواطؤ الدول المسيحية على الاسلام بالاجاز عليه في شخص دولة الخلافة وذلك بتحريك دول البلقان على الدولة العثمانية لايقاد نار الحرب عليها هناك حتى يصرفوا قواها عن طرابلس الى البلقان فيخلو الطريق في وجه ايطاليا ، ويضطروا الدولة العثمانية لابرام الصلح مع ايطاليا وللتخلي عن ولاية طرابلس نهائيا . وذلك ما وقع .

(٤) ازاء هذا الارتباك انقسمت كلمة البرلمان العثماني اثناء الحرب ما بين مواصلة الحرب وما بين ايقافها فكانت الاعتمادات والامدادات ضئيلة لا تفي بحاجة المجاهدين .

ومن اجل ذلك كان الخاج الباروني باشا وزملائه الذواب الطرابلسيين على البرلمان العثماني شديدا لحمله على مواصلة الدفاع عن ولاية طرابلس العثمانية وعلى عدم التخلي عنها .

٥) صعوبة المواصلات بين عاصمة الخلافة وبين طرابلس اوان الحرب فان ما ترسله تركيا من الامداد الى طرابلس بعد الاعتبارات المتقدمة في السفن الشراعية او التجارية كثيراً ما يكون عرضة للتلف أمام الاسطول الايطالي في عرض البحر فهو لها دائماً بالمرصاد وما اكثر خسارة تركيا في الذخائر الحربية والاموال من هذا السبب ؟ وما كان من النفائس الثمينة للجيش فانما يرسل اليه من طريق اوروبا ومرسيليا فتوانس خفية ، وليكن لا يصل الا في ظرف نحو ٤٠ يوماً ، وسيأتى لهذا مزيد بيان .

هذه بعض الاسباب التي اضطرت الدولة العثمانية لتعقد الصلح مع ايطاليا في ١٨ أكتوبر ١٩١٢ ويعرف بمعاهدة « اوشي » وماذا كان بعد ذلك ؟ نعم ! تم الصلح بين الدولتين واسكن الى جانب ذلك منحت الدولة العثمانية ولاية طرابلس استقلالها الذاتي .

ماذا كان بعد الصلح ؟

١) عقد مجاهدو طرابلس الغرب اجتماعاً عاماً تحت رئاسة الباروني باشا وتداولوا فيما بينهم : هل نجح مواصلة الحرب وعلان الاستقلال بعد الصلح العثماني سنة ١٩١٢ ؟ فاتفقوا بالاجماع على ذلك ، وهم رؤساء لواء الجبل ولواء فزان وقضاء ورفله .

مواصلة الجهاد وانشاء الحكومة الوطنية

٢) لتنظيم خطة الحرب وانشاء الحكومة الوطنية قررروا المضبطة الآتية وهذا نصها : (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

« بناء على فرمان المؤرخ في شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٣٣٠ القاضي بمنح بلادنا الاستقلال ، قد اتفقنا على الرضاء به وقبوله مع السرور الكامل وكفنا حضرة مبعوث الجبل سليمان بك الباروني باعلان استقلالنا وتبليغه الى ما يلزم التبليغ اليه وتشكيل حكومة تقوم بما يلزم اتخاذه من تعميم الامن والراحة والحفاظة على شرف الدين والوطن بموجب قواعد الشرع الشريف والمنظمات العمرانية مع القيام بكل ما يجب اتخاذه من وسائل المدافعة والتوفيق من الله والنصر بيده . في اذي القعدة سنة ١٣٣٠ هـ

مديرية الحراة (اختام) قضاء نالوت : خليفة بغني ، قايمقام ورفلة عبد النبي ، مديرية كسكة (اختام) مديرية الحوض (اختام) قضاء نجاد (اختام) مديرية الرجبان (اختام) فساطو (اختام) مديرية الزنتان (اختتام) مديرية كابو (اختام)

ومن هذه الامضاءات المختتة ما بين اباضية ومالكية يدرك الاخ الباحث انه لم يكن في اوان تأسيس الحرب الطرابلسية اولاً ، ولا في تأسيس حكومتها المستقلة الوطنية ثانياً ، ما يشتم منه رائحة التعصب لمذهب ولا لعنصر قط وانما الاعمال كلها جارية باسم الاسلام والوطن لاغير .

٣) بعد هذا الاساس شرع قائد المجاهدين ورئيس حكومة طرابلس الجديدة

سليمان باشا الباروني في انشاء هذه الحكومة وابلغ ذلك الى الدول العظمى والى الصحف الكبرى . كما ارسل الى اوروبا وفدا للسمى عند حكوماتها الكبرى لنيل الاعتراف منها ونشر الدعاية لها ، قال المرحوم عن نفسه في هذا الصدد : « . . . واست حكومة على نسق الحكومات النظامية وعينت متصرفين وقائماين ومديرين وقضاة ومفتين وكتابا وشككت الايا من الجندرية - البيادة - والسواري والهجين بلباس اروبوي جديد ونظمت البوسطة في جميع الجهات الى ورفلة وغدامس وغات وفزان ، ومرا كز للتلغراف والتيليفون الى حدود تونس واست خط حرب مواجها للقوة الايطالية يتديء من ورفلة مارا امام غريان والزعترية ومنظروس ويبر الخشب جهة العزيزية ويمر امام صرمان والعجيلات والعلاقة وزوارة من بلاد الساحل التي التحق بنا اهلها كافة . الخ »

على هذا المنوال سارت الحرب بين المجاهدين وبين ايطاليا ف وقعت وقائع كبيرة ألحقت ايطاليا خسارة عظيمة مالا ورجالا مما شاع وذاع اذ ذاك في عالم الصحافة .

وعلى هذا المنوال سارت الحكومة الوطنية الطرابلسية برئاسة المرحوم الباشا الباروني برهة من الزمن بتأييد من الله القوي وتحت ظل الفرمان السلطاني ، لولا ما صدمتها من المفاجئات من المكائد والدسائس والعدوان من التعصب المسيحي والتحالف الاستعماري والظفيان الايطالي .

كيف كانت نهاية هذه الحرب ؟

لما انسدت في وجوه المجاهدين ابواب المئون من سائر الجهات : من جهة مصر بسمي من الانكليز ، ومن جهة تونس بسمي من فرنسا ، ومن جهة البحر من تركيا بعد الصلح العثماني ، ضاق بهم الخناق وفقدوا كل أمل في النجاح ، وهناك اخذ الباروني باشا يخبر ايطاليا في قبول الادارة المختارة تحت اشرافها ، ولعلمها بما هنالك اخذت تماطل في الجواب .

وانثناء هذا شنت على المجاهدين هجوما عاما عذيفا فكانت وقائع هائلة كان الضر فيها للمجاهدين في الجناح الايسر والايطاليين في الجناح الايمن مات فيها من هؤلاء خلق كثير . وقد نفذ ما لدى المجاهدين من ذخيرة ومئة الا ما يكفي لحرب ساعة من ذخيرة ، ولقوت الجيش ٤ ايام من مئة . ولولا ان فصل بينهما الليل لوقعوا في الاسر ، وتسمى هذه المعركة معركة جندوبة .

ثم اعادت الجيوش الايطالية في اليوم التالي هجوما عذيفا ، اخر فدافع المجاهدون الابطال بما بقي لديهم ، ثم تفرق قسم من جيش المجاهدين .

وفي اثناء هذا وصل وفد الباروني من اوربا يحمل جواب ايطاليا بانهم رضيت ان تعطي طرابلس ما طلبت من الادارة المختارة تحت اشرافها .

وهناك جمع الباروني باشا اعيان البلاد ليستشيرهم في الموقف الراهن ، فرأوا ان المقاومة بدون موادها لانتيجة لها سوى سفك دماء الاهالي وتخريب الديار وربما تحصل بسبب التسليم فائدة مما في جواب ايطاليا للوفد . وحينئذ قرروا الانسحاب والالتجاء الى الحدود التونسية الى ان كان ما كان (١) وذلك في ربيع سنة ١٩١٣ .

وجوه العبرة من هذا الطور

(١) قوة الايمان بالله تقوم أمام القوة المسلحة ، والتجرد من الايمان بالله لا تجدي معه القوة المسلحة .

(٢) تهدم خيانة الخائن في يوم ما تشيده بطولة الابطال في عام .

(٣) كيف توحد اوروبا المسيحية صفوفها مع اختلاف مذاهبها ازاء الاسلام .

(٤) تكتل الامة الطرابلسية والتفافها - اول الامر - حول الزعيم المجاهد الباروني باشا ازاء الخطر الداهم .

(٥) كيف يكون النصر عند الاتحاد .

(٦) مغامرات الباروني باشا ورجاله ومدى بطولتهم اوان الخطر .

(٧) مبلغ عفقه وعزوفه عن اعراض واغراض الدنيا .

(٨) حسن تخلصه عند اللزوم من مئازق الخطر .

(٩) ظهوره بمظهر الهمة والشهامة - حفظا للكرامة - وهو في اشد

الازمات .

(١٠) تفننه في اتخاذ وسائل الكفاح الى ان يبلغ الغاية .

(١١) مبلغ صبره وتحمله لصنوف المشاق والاهوال .

(١٢) مطامحه العالية وعدم ركونه الى اليأس مهما اشتد الخطر .

ثانياً — واما الطور الثاني فاليك موجزاً منه فيما يلي :

بعد ان التجأ المرحوم الباروني باشا الى تونس في ربيع ١٩١٣ لبث هناك بعائلته وحشمه في رادس (من احواز تونس) ولم تسفر المذاكرات بينه وبين مندوب ايطاليا الكونت سمنورزة في اثناء هذه الفترة عن نتيجة حاسمة .

ثم أقتله باخرة عثمانية بعائلته من تونس الى الاسناتنة في ربيع ١٩١٤ ،

ليكنه صرف غنان سفره اولا الى لندره ، ثم الى الاستانة (١) وائر وصوله استانبول عيخته الدولة العثمانية عضوا في مجلس الاعيان العثماني مكافأة له على بطولته وجهاده في طرابلس ، كما اشرنا اليه سابقا .

وعندما اعلنت الحرب العالمية الكبرى في اوت ١٩١٤ انتهزها فرصة واستغل نموذحه لدى الدولة العثمانية لفائدة وطنه فبذل جهودا كبيرة لاقتناع رجال الدولة على استئناف الجهاد في طرابلس حتى أقنعهم بذلك فأجابه الى طلبه وارسلته الحكومة التركية الى طرابلس في غواصة لمواصلة الجهاد ، فقام في هذه الظروف العصيبة بمهمته الوطنية خير قيام ، والتهمب بمساعيه ثبورة ضد ايطاليا شملت جهات البلاد الطرابلسية من قرات ورفلة ومراكز الجبال ومصراته وترهونه ومراكز السواحل الى ضواحي المدينة .

وقد حاول بعد ذلك تجهيز حملة على مراكز الحلفاء يومئذ بمظتمة مصر تايدا لتركيا على قنال السويس فأخذ في بذل الجهود القوية لهذه الغاية فرأى

(١) وقد نشرت عنه مجلة التيمس الافريقية بلندرة اذ ذك التصريحات الآتية دفعا لاشاعات روجها ضد بعض الجرائد الماجورة ؛ وهذا نص التصريحات :

« ان حكومة ايطاليا تحققت نزاهتي وعفتي من زمن الحرب التركية فلم تتجاسر على مخاطبتي في شان الرشوة ، لانها لما اشارت الى ذلك في بعض كتاباتها الاولى أجبتها بانني انا ورجالي لانرضى الا بالموافقة على الاستغلال الذي تفضل به علينا السلطان . ثم قال :

اني ما التفتأت الى تونس الا بعد نفاذ كل ما بيدي من لوازم الحرب ، ثم سلمت سلاحى الى مامورى قرانسا ليقبلوا دخولي للاراضى التونسية ، ففى مقابلة اي شى . تعطينى ايطاليا اموالها وبأى وسيلة اطلب انا منها المال ؟ حيث انى لم اترك للصالح مجالا ، ودافعتها الى انى اخذت منى البلاد بقوة المدافع وكثرة الجنود ، ولو سألت بخابرو تلك الجرائد بعض رؤساء الحكومة الايطالية لاخبرهم باسماء الذين قبلوا الرشوة ومدوا ايديهم الحقيرة مطاطى . روسهم لتناول الرشوة تمنا لشرهم . اما انا فلا بجدون اسمى الا في صدور دقاتر الوقائم المشهورة والهجوم الشديد في الليل والنهار على الحصون والاستحكامات من يوم الهجوم على الهانى الى يوم دخولى تونس له . عن جهاد الابطال ص ١٢٨

ان مظقة حدود مصر بيد السنوسيين فحاول مناصرة السيد السنوسي في الامر
الا انه قبض عليه ومنع حريته هو ومن معه من كبار الضباط الاتراك وشدد
على سمادة الباروني اكثر لانه هو رئيس الكتلة . ولو نجح هذا المقصد
يومئذ لكانت عاقبة الحرب بعدئذ للدولة العثمانية . والامر لله (١)

قلت — ومصداق ذلك ما جاء في بعض رسائل الباشا الباروني نفسه لبعض
أجبابه في تاريخ ١٧ يناير ١٩٢٤ ، وهذا نصه :

« وما ذكرت لكم سابقا عن الزهرة ، هو عبارة عن نقلها لتغرافا عن
جرائد اوروبا مثاله : ان الباروني وصل بلاد النمسا عائدا من السلم ، ووصله
يدل على احد امرين :

اما ان السنوسي لا عهد ولا ولاء له اذ قد عاهد الخلفاء على ان لا يترك
الباروني يبرح السلم الى نهاية الحرب ا

واما ان نفوذه قد تقلص فلم يقدر على منع الباروني من السفر اه قال :
هكذا اخبرني من طالع ذلك ولعله في غير الزهرة وانا لا ادري كيف صرح
السنوسي بما صرح به وهو يعلم بما خطب به ابناء عمه في روما بحضور ملكها
المحبوب في الوقت الذي كنا نحن نشدد الحصار فيه على الطليان .

وقد صرحوا في خطبهم بان الزاوية السنوسية قد وفيت بما عاهدت به
الخلفاء من الاعانة ، وذلك بسجنها ونفيها للمفسدين الذين ارسلهم الترك لاخلال
الراحة في برقة .

وقد صدقوا فانهم سلموا ضباط الترك لايطاليا ونفوا وسلبوا وعذبوا
اكثرهم ، كما صرحوا ايضا بأن من اهم تعاليم الطريقة السنوسية طرد الترك من
افريقيا ، وقد طردوا الخ .

وقد نشرت تلك الخطب في وقتها حتى فى جرائد طرابلس .
وليت شعري ! ما السر ياترى في احباط تلك المقاصد الاسلامية العظيمة ؟
وهي احدي الاتجاهات الى تدعيم حمل الباروني للواء الاسلام واحياء مجد الاسلام
الغابر ??

لقد حمل الباروني باشا لواء الاسلام نيابة عن دولة الاسلام العظمى ، ولا
بغية له الا شد أزر الحركة الجادة في اعادة العظمة الاسلامية عن طريق الدولة
العثمانية وهي ملجأ المسلمين يومئذ وسنادهم .

وكان يذكر عن نفسه في شأن هذه الظروف اشياء عجيبة منها انه كان
سجيناً وانه كان مضطهداً تارة ومعذباً اخرى . وانه كان يتحين فرصة الفرار
فالما لاحت له فرصة للفرار من معتقله انتهزها فقتل راجعاً في غواصة الى دار
الخلافة من طريق النمسا بعد ان توجس خيفة ان تضع عليه بريطانيا يدها وقد
حاولت ذلك من طرف السنوسي على ما يظهر ، بل اشيع ان الشيخ السنوسي
كان يضمم الفتك به .

وهو ما لا تقوى النفس المؤمنة على التصديق به (١)

وجوه العبرة من هذا الطور ؟

(١) من قوة عزم المرحوم الباشا الباروني انه لا تؤثر فيه الصدمات والخيبات
فيستكين الى الفشل واليأس ، كما تؤثر في كثير من الزعماء ، فانه ما كان يمر
عليه عام ونيف من التجأه الى تونس وتسليم سلاحه حتى اخذ يفتحم غمرات
الجهاد من جديد في اشد اخطارها .

(٢) لمزيد تعلقه بالدولة العثمانية فانه لم تزده خيباته المريرة فيها بالتخلي عن

طرابلس الا تشبثا بها واستمسكا بالخلافة العثمانية ، حتى انه اتخذها قاعدة لحركته في سائر اطوار جهاده . ولم يتخل عنها الا بعد ان تخلت تركيا عن الاسلام في عهد السكاليين . كما ستراه بعد بحول الله .

(٢) لأجل ان يعرف الاخ الباحث مبلغ بطولة الباشا الباروني فليستعرض أمامه صنوف الاخطار التي تعرض لها في هذا الطور الخطير .

١ - فمن تركه حبات قلبه : اهله واولاده في استانبول غرباء لا عائل لهم بعده الا الله وهو غائب عنهم سنين عديدة .

٢ - ومن اقتحامه اغوار البحار في غواصة المانية حربية واساطيل الاعداء تمخر فوقها عباب البحر المتوسط وهي مجهزة بأدوات التدمير الحديثة .

٣ - ومن التعمق في صحاري وبراري برقة بين اناس تعد حياته بينهم معاناة في سلك القضاء وعيون الخلفاء بالمرصاد .

٤ - ومن تخلصه من بين شبكة هذه الاخطار ، بعد ان اضطهد وعذب وسجن وحكم عليه - فيما قيل - بالاعدام ، ونجته في الغواصة راجعا سالما الى دار الخلافة موثلا أهله واولاده من غير ان يمسه سوء .

كل هذا لاجل ماذا ؟ لاجل تحرير وطنه من الرق والعبودية ، فيا لله من نفوس خافت لتشتق ليسعد الناس ، ولتموت ليحیی الناس . وما اجل قول الله جل جلاله في بعض كتبه المنزلة « طوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه »

مقارنات بين مشاهد الكاظمية

وبين وقائع الحرب في طرابلس الغرب (١)

عندما كان الباروني باشا في بغداد زار في محرم ١٣٥٢ مشهـد رواية استشهـاد الامام الحسين في السكر بلاء وقارن بين بعض فصول هذه الرواية وبين بعض وقائع الحرب في طرابلس الغرب في مقال في غاية الدقة والروعة . ولمزيد ارتباطه بموضوعنا ننقله فيما يلي وغاء لحق التاريخ . وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

وقفة في الكاظمية يوم ١٠ محرم سنة ١٣٥٢

لم اشاهد تمثيل رواية استشهـاد الامام الحسين سبط رسول الله عليه السلام الا مرة واحدة في مصر كنت واقفا فيها عند مرور الموكب بشارع الموسكي قبل نحو ثلاثين عاما . واذ بلغني ان التمثيل يسكون تاما ومؤثرا في الكاظمية اكثر منه في مصر قصدت جامع الكاظمية العظيم صباح يوم ١٠ محرم ، وكانت الموكب تتجمع من الجهات فاندجت في موكب الاعظمية الى ان دخلت ساحة جامع الكاظمية الواسعة الارزاء وبقيت ادور مع الموكب في دورانه حول الجامع ، وهناك شاهدت مناظر غريبة واشكالا مؤثرة وانواعا من التمثيل نفتت الا كباد كأنها حقيقية . ثم يقول :

ظلت ابواب ساحة الجامع تتدفق بالاناس حتى غدت السطوح مرصعة بثالاف النساء واكتظت الساحة بالرجال حتى قدر بعض المخمين عدد الحاضرين بأكثر من خمس وعشرين الف نسمة وعادت الساحة على سعة ارجاءها كرمانة او صندوق كبريت الاصقت اعواده ينتظرون ساعة تمثيل الجزيرة الشنيعة ، وقد صوبت

(١) الكاظمية قرية في ضواحي بغداد فيها الجامع الكبير الذي تمثل فيه رواية استشهـاد الامام الحسين .

الشمس اشعتها على الرؤوس كالسهم والجميع واقفون كأنهم في جبل عرفات
لاني لم اشاهد مثل هذا الاجتماع حول السكبة المشرفة في ايام الحج لان الحجاج
غير مقيدين بساعة معلومة للطواف ، وقد اشتدت حماسة المواكب الدائرة
بانواعها وامتلأ الجو بالاعلام الكبيرة البيضاء والسوداء والحمراء والخضراء
والصفراء ، وفي ذلك الاثناء دارت فوق الجامع (وساحته كما وصفنا تموج
كالبجر المضرب) طائرة كبيرة ولاشك في انها التقطت صورة ذلك المجتمع
العظيم بآلة التصوير ليطلع عليها من لم يشاهده !

وكنيت قد دعيت الى الغرفة من طرف سماعة السيد باقر تشرينائي جلالة
الملك اذ رآني واقفا

ولما دقت الساعة المنتظرة ظهرت من وراء الجامع طلائع الجيوش على خيل
عربية بلباس عربي احمر وعمايم فوق خوذ حديدية وعليهم الدروع الحديدية
العتيقة ، متقلدين السيوف وبأيدي بعضهم دبابيس الحديد او التروس ووراءهم
جند المشاة بدزة حمراء بقمصهم ونبالهم وسيوفهم تتقدمهم الالبواق الطويلة والطبول
ذات الصدى القوي فشقوا لانفسهم طريقا بين تلك الجماهير المترصة الى ان
وصلوا المنبر فارتجج المكان باهله وصعد ممثل القائد المغناك المدير واستل سيفه
وصاح مهددا قائلا ما خلاصته :

« انه انما جاء ليسقي سيفه هذا من دم الحسين وانه واتباعه الذين جاءوا
ليعيثوا بالملك وانه وان كان يعلم انه سيقتل ابن بنت رسول الله فانه يستسهل
ذلك في جنب رضا اميره وتفنيد رغبة سيده ومولاه . »

فعلا عند ذلك الضجيج والبكاء من كل الاطراف خصوصا طرف النساء .
ولما نزل وصل ممثل الحسين في طائفة من الاله لابسين خوذ حديدية ودروعاً
كذلك متمممين بعمايم خضراء فوق خيل عربية متقلدين سيوفهم وعلى

وجوهرهم الوفار والكثابة معا فتضاعف الضجيج ، وما كادوا يقفون فوق المنبر حتى انهالت عليهم النبال من طرف العدو فأذن المؤذن وتقدم ممثل الحسين فصلى بجماعته وواحد من أتباعه واقف امامه يتلقى الذبال بصدرة وبجيبته التي نشرها يميناً وشمالاً بيديه ، ثم قاموا يودع بعضهم بعضاً الوداع الاخير وكان المظفر مؤثراً يذيب الجماد فامتطوا خيولهم وجردوا سيوفهم وتقدموا واحداً واحداً الى ميدان المعركة واشتبك الجمعان وجالت الخيل ووقع التصادم والسيوف تلمع والسهم تنثائر في الجو كالجراد المنتشر (لكنها لا تضر كأنها من ورق) واصوات الابواق والطبول وصراخ الباكين بكاء حقيقياً تصم الآذان وظل الفريقان بين كر وفر برهة من الزمن الى ان تردى ممثل الحسين واعوانه وقضي عليهم اجمعين .

فعاد القائد السماك ووراءه الفرسان والرجال والطبول والابواق فصعد المنبر واعلن انتصاره وقتله الحسين وءاله وسببه للذراري والنساء وانه راض بأن يكون من اهل الجحيم بهذا العمل في مقابلة رضاء أميره وسيده عليه .

لا يسأل القاريء عما جرى اذ ذاك من البكاء والتعجب من كل الجهات فلا يسمع الا وإمامه واحزناه الخ .

(عند مشاهدتي هذا المظفر الرهيب خطر بيالي ما كنت قرأته من وصف الواقعة المشؤومة في التاريخ المطابق لما جرى من التمثيل تقريباً وتذكرت وقائع المجاهدين في وطننا طرابلس الغرب مع الايطاليين ، كانت النصر في بعضها للمجاهدين وفي البعض للايطاليين ، وتجمعت امام عيني على الخصوص واقعة « غوط السلوقي » التي كانت حول مدينة طرابلس بين قرقارش وزنزور سنة ١٩١١ ، وواقعة « العجيلات » وواقعة « صرمان » سنة ١٩١٦ . فان تلك الوقائع كانت في ميادين فسيحة يشاهد من يقف في أي مكان مرتفع ميدان

النضال كله فيرى جنود الايطاليين يتدفقون كاللاودية من استحكاماتهم وممسكراتهم يرى صفوف المشاة على حدة والفرسان على حدة وفرق المدافع والرشاشات على حدة .

كما يرى سيول المجاهدين المزهرة عند اندفاعهم من مسكائهم ومهابضهم لما لاقاة عدوهم مكبرين رجالا وفرسانا ومدفعيين ويرى الخيل تجبول والقناويل تنفجر والرجال زاحفة والفرسان يحمون الميمنة والميسرة ويشاهد بالمرءاة (الدورين) جثث الشهداء والمجروحين والخيل المقتولة والمجروحة مبعثرة هنا وهناك بين المتطاحنين لا سؤال عنها ولا التئمت اليها ،

ثم بلغ خبر الفاجعة الى مال الحسين الباقيين في مخيمهم الذي تمثله خيمة نصبت في الساحة وحولها الجمال والهوايج فقامت المناحة الكبرى وكان مدات من جنود عراة الصدور حول الخيمة فصبوا عليها وعلى من فيها وما حولها نقطا واوقدوا فيها النار فالتهمت وصعد دخانها الاسود الى عنان السماء كأن بركاننا انفجر وعلت السنة النار فانهاات جموع النادين عليها وظلوا يطوفون بها وهم يدفون صدورهم وبلطمون وجوههم ويحشون التراب والرماد على رؤوسهم ويدوسون النار بأرجلهم كأنهم لا يشعرون وعم الهرج والمرج المكان فكأن القيامة قد قامت او نتمخ في الصور وبعث من في القبور !!
اما النساء فكسدن يسقطن من فوق السطوح لاضطرابهن من هول المظفر المخيف وقد ارتفعت اصواتهن بالبكاء .

فعند مشاهدتي ذلك خطرت ببالي وقائع كثيرة كبيرة كانت للمجاهدين مع الايطاليين في عين زارة وسوق الجمعة حول مدينة طرابلس وفي صرمان وقصر بوكاش عند حدود تونس في حـسـرب ١٩١١ - ١٩١٢ ، وفي المشاشطة والزاوية وسواني ابن ادم والمجيلات وغيرها في حرب ١٩١٦ وما بعدها .

فان الايطاليين كانوا في بعض هذه الوقائع اذا زحزحونا عن مرا كزنا يوقدون النار فيما نتركه من الخيم ومساكن الخشب والحطب لارهابنا وادخال العرب في المنهزمين حتى لا يفكروا في الصكرة عليهم ، لكنهم طالما انهزموا ثم اعادوا الصكرة عليهم باذن الله .

خطر لي ذلك كله وتمثلت امامي الواقعة الكبرى التي كانت ختام الجهاد الوطني سنة ١٣٣١هـ - ١٩١٣م ، وهي واقعة جندوبة والرابطة التي كانت في جهة جبل غريان وان الايطاليين زحفوا بقواتهم العظيمة التي اشتغلوا بجمعها وتنظيمها شهوراً على قوات المجاهدين المربطة على حدود غريان فوق الجبل وفي سمنحه وكانت صخرة عظيمة سقط فيها من الرجال خصوصاً الايطاليين ما جعل الميدان مغطى بجثث القتلى والمجروحين ، وتقدموا الى ان احاطوا بمرا كزنا من ثلاث جهات قبل الغروب ونظموا حركتهم لتطويقنا في الصباح وأسرنا كلنا ، وبقيت الجهة الرابعة وهي الغربية مفتوحة لنا ولما ظهر لنا من اهلها امارات الميل الى التسليم خضنا الغدر بنا فبعد ان جمعنا المجروحين ودفنا بعض الشهداء ارتحلنا في الليل تاركين المسكن واذ لم يكن عندنا من الابل ما يكفي لحمل ما بقي لنا من شكاير الدقيق والخيم لقرار اصحاب الجمال بجمعهم تقرر اعطاء الاذن لمجاهدي القبائل المجاورة للمسكن في نقل ما يمكنهم نقله واخذناؤه في المسكن لأنفسهم وعند مبارحتنا المسكن اوقدوا النار في الخيم وما فيها وما حولها من حطب كثير فعلا لهيبها حتى شوهد ضوءها ودخانها من مكان بعيد فعمل العدو اننا انتقلنا ونجونا من الوقوع في شبكتهم التي نسجوها لأسرنا وقاسينا اعظم المشاق في تلك الليلة كلها في نقل المجروحين على الاكتاف وصعود الجبل مع غير طرقه السهلة حتى اصبحتنا في المسكن الذي كنا نعتقد انه امين سببت فيه للمقاومة ولما وجدنا الخيانة قد سبقتنا اليه والعدو زاحف علينا

لاحالة اضطررنا الى التشتت فقصص البعض حدود تونس والبعض قصد فزان
فلاحقته القوة الايطالية قبل ان يضم شتاته فقصت عليه وخمدت الانفاس الى ان
تجددت الثورة سنة ١٩١٤ لما اعلنت الحرب العامة وكان ما كان .

وبعد ان احترقت خيمة ممثل الحسين أوتى بالاولاد الصغار مصنفين بالحبال
الى القائد السفاك وهو على المذبر فبطش بهم وكان يقبض الواحد منهم من ذراعه
ويرفقه في الهواء كالريشة ويضرب به الارض فيخيل للناظر ان رقبة الطفل قد
اندقت وان ظهره قد قصم ، ثم مثل ذبحهم بالخنجر وتركهم يتخبطون في دماءهم
وكانت نار الخيمة اذ ذاك قد خمدت فامر ان تعرض عليه الاسارى والسبائا
فسيرت الهوداج على الجمال مارة امام المذبر وتبعها جثث القتلى محمولة على الاكتاف
تمثل الحسين والشهداء ، ولا يشك الناظر في انها جثث موتى حقيقية لاحكام
الممثلين عملهم فيها اذ يشاهد رجلي الجثة مكشوفتين مخضبتيه بالدماء (صبغ احمر)
وباقى الجثة مغطى بثوب ابيض مخضب ايضا بالدم ، وعند الرأس عنق شاة او
شيء عمل على شكلها ظاهر من تحت الثوب كأن الراس قد قطع بدون شك .

فر هذا الموكب العرب بمنظره البشع الذي يجعل الفؤاد يتفطر دما بين
نحيب وعويل وشق جيوب ولطم وجوه وجرح خدود وصياح إماماه
واحسيناه واحزنائه واويلاه ، حتى من بعض الذين كانوا معنا في العرفة ومن
لابسي السدارة والبنطلون ، ومن مخلوقى الاذقان الا السيد باقر بك تشريفاتي
-جلالة الملك والسيد احمد المتعمم احد اعضاء مجلس النواب فاني لم اسمع لهما حسا
وكانا على يعيني وشمالى كأنهما ألغا هذه المناظر فلم يبق لهما تاثير عليهما .

اما انا — والحق يقال — فقد امتلأت عيناى دموعا رغما عن كوني
لا اعلم انى بكيت عند وفاة اقاربي من والدي الى اولادى ولا نزلت منى دمة
واحدة في اشد المحن التي لاقيتها في الانهزامات الشنيعة والدقائق الحرجة وذلك

لبشاعة المنظر (ولجولان فكري اذ ذاك في كثير من الوقائع الطرابلسية الايطالية فتصورت عند مرور تلك الجثث والهواذج والصبيان ما كذت اشاهده من مثلها عند نقل مجروحي ابطال المجاهدين في الوقائع الكبيرة اذ كان اعوان هيئة الصليب الاحمر الانكليزية وهيأة الصليب الاحمر الالمانية ينقلون المجرورين بالرصاص وبقنابل المدافع والطيارات من ميادين الحرب على هذه الصورة قوافل بال عشرات الى مستشفياتهم التي كانت في الحرب الاولى ١٩١١-١٩١٣ في مركز العزيزية وجبل غريان ومركز الجبل !

وتصورت ما كنت اشاهده من النساء والهواذج والصبيان والشيخو والمعاجز عند فرارهم من بلدانهم في اشد الاوقات حرأ او بردأ في بعض الوقائع التي تقع الهزيمة فيها علينا لكنني ما كنت كثير التأثر اذ ذاك الى هذه الدرجة .

على هذه الصورة ختمت رواية استشهاد حنيد المصطفى عليه السلام . وعلى تلك الصورة المشابهة لها ختمت الحرب الطرابلسية الاولى سنة ١٩١٣ .
لكنها تجددت في سنة ١٩١٤ واخذ الطرابلسيون نارهم تاما ، وان انتقم الظلم لانفسهم ايضا بعد ذلك والحرب سجال . وما طل دم وراه رجال .
اما سبط الرسول فقد هدر دمه ولم يبق بعده الا لطم الخدود وشق الجيوب على غير جدوى . والله الامر من قبل ومن بعد .

سليمان الباروني

١٢ محرم ١٣٥٢

ثم كتب الينا اثر الرسالة الآتية الاسطر الآتية :
ارسلت الى الجهاد فان نشرتها فانقلوها عنها والا فانشروها باسم « النور »
فهتم من جواب الاخ . . . تعطيل النور فتكدرت . واذا وصل اليوم
وتاريخه بعد تاريخ الجواب سررت والحمد لله . من اخيكم سليمان الباروني

القصص القومية

الكرامة الحقة

حول الجهاد المقدس الذي رفع الباروني باشا ورجاله الابطال لواءه في طرابلس الغرب تسكرت لبوة ذلك الاسد « زعيمة » الباروني فكستبت فصلا بأسلوبها القصصي تحت العنوان اعلاه ، وقدمته الينا تحفة نظرت بها الكتاب فرأينا ان ننضده هنا لمزيد اتصاله به . قالت اكثر الله من امثالها في المحصنات الغافلات المؤمنات ، ما نصه :

« . . . عاد المجاهدون بتهاليلهم واهازيحهم الشجية تتقدمهم الموسيقى العربية الوطنية وصيحات السرور و « زغاريد » التشجيع تشق عنان السماء وتجمل لتلك المعسكرات الزاخرة بالايمان والاخلاص معنى غير المعنى الذي يراه اعداؤهم المغيرون فانتشرت جفاف المساء المعتدل النسيم على تلك الرمال الناعمة .

وبعد الاستمرار المعتاد عند رجوعهم من المواقع الحربية تفرقوا الى معسكراتهم للتغاربة يحددون نوبة الحراسة ويؤدون فريضة العشاء جماعات سعيدة وكلهم يفيض بهجة وافخاراً ، ثم انصرفوا يردون الزيارات لبعضهم وبمسرون الى هزيع من الليل في مجالس لا تخلو من شاعر مجيد يسرد اخبار الجهاد المقدس ويصف عظمة النفس العربية المسامة على انغام الطبول ويحتسون كئوس الشاي الساخن فكأنهم يحتسون كئوس النصر الحقيقي المنشود من غير شك .

في خيمة الاجتماعات

تلك هي معسكرات « عين زارة » الكبرى حيث غصت بالمجاهدين من كل ناحية من نواحي البلاد وزخرت صفوفها بالشباب والفتوة والاقدام اقدم

الفداء ي الواصب على واجبه المقدس ، فكانت خيمة كبيرة تتوسط المحل اضيئت بفنارات مما يستعمله الجيش التركي اذ ذاك من فنارات الغاز الكبيرة وفرشت باليسط الوطنية الجميلة ووضعت فيها الوسائد الكثيرة من صنع غدامس سيدة المصنوعات الجلدية الملونة من « ليبيا » من قديم . كما وقف حولها حراس من المجاهدين بسلاحهم صرفوعي الرءوس وكانت مكتظة بشخصيات وطنية يتجلى فيها العزم والوفار ويجمعها ايمان واخلاص عميق وهم من كل بلد ومن كل صوب كما كانوا من مختلف الاعمار ، تلك هي « خيمة الاجتماعات » في تلك القيادة .

وصول الضيوف

جاس الكل ينتظرون دخول ضيوفهم بل اخوانهم الراحلين للساحة جديداً فقال احدهم انصتوا ، فاذا بصوت حماس يعلو منشدا :
استحسنتم ابن ادم ورملت « زاره » ومدفع ضرب بالكور والغبارة
استحسنتم حرب الكافر والسبيب عمد زي السبل جاء بظافر
الى ساحة الخلود

كبروا معجبين وهم يقولون « إيوه ونحن فيها » وما انتهى المنشد البعيد حتى قال احدهم وهو ينظر الى احد الزعماء اراك مفكراً كأنك تأثرت لموت ذلك الشاب المريض ! (١)

لم يمهله بل اجاب : كلام متأثر عليه زيادة عن غيره ولكنه أعجبني خلوصه في نية الجهاد وقوله وهو يسلم الروح ممسكاً بيدي « بالله عليك أنصح شهادتي ويقبل استشهادي وانا على فراش المرض ؟ »

(١) تعني الكاتبة الفاضلة بالزعماء هنا وفيما بعد واندعها المرحوم الباروني باشا

بشرني — وربك ! أنى عند مغادرتي لبلدتي رغما عن أبوي — وقد اغلقوا باب المنزل بعد ان اعطوا البديل ذهابا — علوت السطح فقلت لأبي « اريد الجنة يا امه !! » فقالت : بني كن مجاهداً بمالك وطاعتك لأبويك اذ لم يبق لنا غيرك ! قلت لها اني عقدت النية فلا تحولي بيني وبين ساحة « الخلود » فكيف الآن ؟ اتراني عصيتهم وحرمني الله مما انتويت ؟ ام ضعفت ولم اوف بمهدي تاما ؟ قلت له : هون عليك ! أليس الاعمال بالنيات ؟

قال وقد بدأته حشرة الموت : نويت الشهادة في سبيل الله والوطن . قلت : ذلك ان شاء الله ، فهذيئا .

فكم راغني ما انجل على محياه من نور جلال ذبوله وقد افتر نغره على ابتسامة الرضى والسرور وهو يقول ويضغط على يدي : « ابشرك بالنصر النهائي ونجاة شرفنا القومي من هوان العبودية » ثم نطق بالشهادة حسب إشارتي مشجعا واسلم الروح .

بعد سكوت قصير استأنف الزعيم كلامه بصوت جهوري ينم عن طيبة نفس وشجاعة قلب ومحبة للوطن لا تحدد وقال :

صفحة الجهاد

« ان صفحات جهادنا مجيدة ونادرة والحمد لله . أنسيتم الشاب الذي استشهد عند وصوله الى سواني ابن ادم واسرعنا اليه بين دوي المدافع ورصاص البنادق فوجدناه مظلوحا ودماءه الغزيرة تسيل من جرحه المميت وهو يقول لاهنا : « بالله عليكم هنوني هنوني ، اثبتوا والله معكم ما نبتم ايها الاسود » فقد مات ويده المرتعشة في يدي فليتي سمدت بمعرفته قبل استشهاده اذ يظهر عليه انه اسد مغوار .

فقال الجميع نعم — رحمه الله — فزاد الزعيم : ان الرسائل الواردة من

الخارج تشهد بمقدار تمجيد الناس لهذا الصمود ولكن . . .
 فقال احدهم ولكن ماذا ؟ ألم ترتج نفسك لشجاعتنا واقدامنا في صبر ؟
 انتفض الزعيم في توأدة لانه كان واثقا من اخلاص مواطنيه ، ثم اجاب كلا
 اني جد مسرور وغفور بل متفائل بما نمكتبه من صفحات البطولة الصادقة .
 انما ادعو الله سبحانه وتعالى ان يمدنا بمعونه .

زعماء الجنوب

ولم يتم جلته اذ دخل الحاجب الاسود فأخبر بقدم الضيوف قائلا :
 « سيدي » جماعة مشائخ القبلة .
 هب الجميع يتقدمهم الزعماء الى خارج الخيمة يرحبون باخوانهم : اهلا
 وسهلا - مرحبا مرحبا ، تفضلوا ، شرفقمونا الخ
 فتقدمت الجماعة المؤلفة من اشخاص يمثلون في الحقيقة زعامة الجنوب البدوية
 المملوءة بطبائع الورع والتقشف يضيء تلك الوجوه السمراء نور الايمان الصحيح
 واكثرهم في ثياب بيضاء تملو رهوسهم العمائم الناصعة الصغيرة كهالات موقرة
 او تيجان للكرامة الحق .

محاورة بين المجاهدين

اجلسوهم في صدر المكان فدار الحديث المعتاد في مثل تلك المجالس المهمة
 الى ان رجع القول الى موضوع « الامل في الانتصار على العدو » فقال احدهم
 « ان الله لن يفرط فينا ان شجاعتنا - ببركة الصالحين - ستقهر اعداءنا وتخلصنا
 من شرهم »

قال اخر — والشجاعة تتوقد في نظراته الثاقبة :
 « ان جهادنا في سبيل الدين والوطن انه لا مثيل له في هذا العصر وقد

ظن العالم اننا سنسلم قيادنا الى العدو من اول يوم وعند القنبلة الاولى فاذا والحمد لله جيوشنا تنساب في بسالة لا تقدر وتتجمع من اقاصي الفزان الى السواحل عامة فتؤلف المعسكرات المنظمة الهائلة فتعير العدو وتتركه يجادل بعضه بعضا في نتيجة هذا المعجب .

امة كبيرة بعددها وعددها يصمد امامها قوم عراة الاقدام يتقاضون في بعض الاحيان فريضة « الجذبية » دقيقا !
فقال غيره « ببركة الصالحين ! فرد كبراء المجلس الذين كانوا من العلماء :
« كل ذلك كان من فضل الله سبحانه وتعالى . »
قال ، اخر : ان التمكينة الهائلة التي يطلقها المجاهدون عند الهجوم لعظيمة الاثر فيهم .

قد رأيت هذا بعيني عندما امرت بالتقدم قبل المعركة يوم (المنشئة)
فبقيت قريبا الى ان وصل المجاهدون مكبرين فرأيت فائدهم كيف يجري هذا وهناك برهة ولم يسترد قواه الا بعد ان قربوا له جواده فقصد مأمنا للقيادة .
قال ، اخر من اهل الجنوب : لن تغيب البركات ان شاء الله فلا ذلك الا
لكرامة اوليائنا الصالحين وسرهم المقبول !
ألا تذكرون ان كل الجيوش لا تغادر سرا كزها حتى تزور المساجد وتقبل الفاتحة وتشجعات المشيعين .

من منكم شاهد دخول المجاهدين من المنطقة الشرقية لساحة الولي الكبير
(سيدي عبد السلام الاسمر !...)
فاجاب البعض راينا وحضرنا . قال أنرون تلك الصيحات المنبعثة من الاعماق
تذهب سدى ؟

انها توسلات تهز المكان هزاً ، فكلمنا صاحب الجميع (يا سيدي عبد السلام

يا اسمر ! فارت دماء الحماسة في القلوب وتمنى الانسان ان يكون معهم
ويستشهد سميحاً او يبلى بلاء يتبعه النصر الاخير !

قال غيره : نعم ان انتصاراتنا من الكرامات الخفية .

هنا دخل الخيمة رجل اسمر بعض الشيء وملثما فجلس بعد السلام الخافت
فطن اهل الخيمة انه من جماعة اخوانهم . فقال كبير من الجنوب « اننا نحترم
مشائخنا واوليائنا ولا نهزأ بطرقنا ، أليس كذلك يا حضرة الشيخ ؟ والتفت
بحو الزعيم !

الزعيم يفض المحاورة بلطف سياسته

قال الزعيم : نعم لكل امة تقايلها ولكل بلد عاداته ، والامة العربية
الاسلامية كلها بعض من بعض وكيف يا اهل هذا البلد العزيز ! فما الداعي
للاستخفاف او التعجب خصوصا بعد ان جمعنا واجب الجهاد المقدس ومن
فضائل هذا الاحتشاد تعارف اهل الوطن واطمئنانهم لعادات بعضهم بعضا .

الحقيقة الناصعة

هنا قال زعيم اهل الجنوب اذا ما جوابنا لمن يقول : ما هي الكرامة الخفية
لهذا الصمود المجيد والآمال الشاسعة في النصر الموعود ؟
فلم يهملهم الضيف الاخير فرفع رأسه المطرق وازال لثامه عن وجهه قليلا ثم
قال بصوت هاديء استجلب انظار الجالسين المؤقرة .

ان سؤالك عزيز يا سيدي الشيخ « احمد »

ويسرنى ان يكون جوابي بما اراه ، نعم انا وحدي اذ الواجب حتم علينا
التعاون ولو روحيا وسؤال مثلك من المواطنين الاجلاء لا يترك بدون جواب
روحى .

وقد تجاوزت آيات الوطنية السكينة في الارجاء فأقول :
 ايها السادة — لنقل لاولئك اننا صمدنا وانتصرنا مرارا باذن الله
 وسننتصر للنهاية ان شاء الله كما قال عز وجل في كتابه العزيز وايد ذلك
 باحاديث نبيه الكريم (صلعم) ولا يضرننا لداء الصالحين قط . اما الكرامة
 الخفية في هذه المواقف المخلدة بآرك الله فيكم فهي من اخلاصنا في الجهاد
 وصدقنا في النيات وبقيننا في الاخاء وترفعنا عن حب الذات وايقارنا الوطن عن
 كل شيء . واثلافلنا للخير وتضامننا للسعادة في الدارين كما اوصانا نبيئنا العظيم
 في ايماننا الصحيح واعمالنا ونياتنا الشريفة ، ان كرامة جهادنا الخفية في كل هذا
 فلتثبت ايها الاخوان الى اخر لحظة ، لتتحمل الجوع والعطش في سبيل
 الله والمبدء القويم . لنفدي الاوطان بالارواح فاذا انتصرنا النصر المنشود فمذاك
 جزاء المخلصين فان مجزنا « أتم عنه احد المشائخ : الملك لله » فقال في حزم وإيمان
 يؤتبه من يشاء .

مكث دقيقة ثم قال وهو يرد لثامه كما كان ويطرق : « تلك هي الكرامة
 الخفية »

فقبل ان يجيبوا دخل الخادم بصينية فاخرة بها انواع من الحلويات فوضعها
 بين يدي الجميع فهتف الزعيم في حرارة وتبجيل (تفضلوا) وقربها لكبير
 الجماعة ثم اعاد كلمات الاكرام وقدم له قطعة فاخرة من الحلواء قائلا انها من
 هدايا اخواننا اهل (تونس) الخضراء وكلها مصنوعات اسلامية لاشك فيها
 فتناولها الشيخ باسماء مطمئنا وهو يشير على رفقاءه ايضا ويقول :
 (بآرك الله في الجميع كل هذا من الكرامات الخفية)

الزعيم يمازح الضيوف

التقت صاحب الخيمة ليدعو الضيف الجديد فلم يجده فظن انه خرج لأمر وبعد انصراف الجماعة الى معسكرهم الخاص مشيعين باحسن مما قولوا من صفاء واجلال سأل الزعيم الخادم مستغربا .

لماذا خرج الرجل الاخير ؟ أكان من جماعة القبلة ؟

ولكن الخادم والحراس لم يفهموا شيئا عن ذلك اي رجل يقصد ؟ وبعد أخذ ورد اعترف الذين في خارج الخيمة بأنه لم يدخل اي غريب عن الجماعة واهل المعسكرات ولا علموا بوجود اي رجل على تلك الصفة التي وصفها لانهم يعرفون الجماعة باسمائهم والقابهم .

واخيراً ابتسم الزعيم وهو يتوجه الى خيمته الخاصة المتواضعة دون ان يدخل الموضوع في تفكيره مطمئناً لهم بقوله :

اني لم اشك في يقظتكم واخلاصكم انما تأسفت على عدم اكرامه مما وضعناه وقد يظن اني احتقرته مع اننا لا نعرف لاحتقار الضيف معنى . ثم ضحك ضحكة امل ومتعم من الله وحده وقال مازحا : لانتوجسوا انه لن يكون جاسوسا قط انه من اصحاب الكرامات الخفية ، فليته يزورنا في كل حين ويشجع او يثبت لنا الكرامة الكبرى بخروج العدو الى البحر مدحورا .

الخادم يلاحظ في اخلاص

قال الخادم — وكان ممن تدربوا على خدمة الكبراء وحراسة عظماء البلاد منذ طفولته ولكنه امي ومن المقدمين مصالح اسرهم في الواقع عن كل شيء . تحير مفكراً في عاقبة ذلك الذفال من الوجهة الاقتصادية العامة . وان كان يهيمه جانب البطولة والتضحية والصمود الى كل مكروه لملازمته لسيدته قبل

الحرب وبعدها — قال : « بل ما يملأ المخازن بالخيرات يا سيدى ! لفرضى من في البيوت والخزائن لتسلح باكثر مما تسلح لنا عدونا اللعين » قال هذا وحمل سراجا يتقدم به سيده .

فقال الزعيم : انظروا الى العملاق المدعى الشجاعة .

انك اصبت يا محمد ونطقت بامنية الاكثرية فأنت من اخلصهم فسوف تنتقل قدسية الجهاد التى فى اعماقك من وظيفة مقابل مقررات ضئيلة الى عقيدة راسخة فيهن عليك الفقر و فراغ المخازن .

فقال الخادم وقد افترقه عن ابتسامة صادقة أنارت سواده المقبول : سيدى ارجو ان لا اكون تعديت ! وانت تعلم صراحتى وقد عودتني الاخاء الحقيقى الذى لم اره من رجالنا كلهم ، فانا كما تعلم ويعلم الله قد عاهدت النفس بأن لا اتركك الى ان تترك ميدان الكفاح بنفسك ولو بقيت معك وحدي .

فربت الزعيم على اكتافه العريضة وقال فى جد (لا شك يا محمد لا شك)

روعة الايمان عند مواطن البلاء

او خاتمة الجهاد المقدس

بعد مدة سنتين وقف الزعيم يناول خادمه بعض ما تبقى لديه من الاشياء الخصوصية وهم يتركون (جندوبة) الى اخر .

والخادم يكفكف دموعه المسخنة ويهمس :

سيدى ! اصبحت لا اطيق فراقك ان فشل القضية كلها وفشلي فى اللحاق بك الى حيث يسلمك الله لمصيبة واحدة فى نفسي ، لا ترك بناتى واهلي الى اخوتي ، ولا اذهب معك خادما امينا لك فى ميادين جهادك فى سبيل الله والوطن عمتنى معنى التضحية حتى تذوقتها فى ركابك !

انك ثابت مخلص فدعني اثبت معك وأخلص فى خدمتك لله .

هز الزعيم رأسه باسمه رغم الكثافة الجائفة على قلبه ورفع اليه بصره المهيب
وأنامله تمر على وجهه الاغبر كأنها تزبل بعض همومه وقال :

« لا يا محمد ! لا يا محمد ! انك وفيت بما وعدت الى هذه الساعة ، وها الانذا
في الميدان المظلم وحدي فلا اريد منك اكثر ، يكفنيك ما تحملت يكفي
الجميع ما قاسيتهم من شقاء جزاكم الله عن الوطن والدين خير الجزاء ، اما انا
فكما علمت على عهدي بأذن الله .. »

فقال الخادم وهو يرفع بصره للسماء :

إلاهي ابن رحمتك ؟ اين السكرامات الخفية !؟

فقال الزعيم :

السكرامة الباقية الآن هي ان لا يشمت العدو بشرفكم وان تعرفوا كيف
تستسلمون للمقادير .

فقال محمد واصوات المدافع الجائرة تقترب :

ارجو ان يكون ذلك وان نستطيع النجاة مع هؤلاء الذعر الخمسة عشر
الى الحدود الغربية .

ثم ركبوا وليس معهم سوى ايمانهم بالله وتقديسهم للواجب .

بنت الوطن

زعيمة الباروني باشا

ثالثاً — واما الطور الثالث فاليك موجزاً منه فيما يأتي :

ما كاد الباروني باشا يرجع من كنفاحه المرير في اوائل سنة ١٩١٦ الى استامبول ويجتمع باهله واولاده واحبابه حتى اخذ يحرك دواليب الحكومة التركية لامداده بما يجب لاستئناف الجهاد من جديد ، حيث جد من الامور ما استوجب ذلك .

فكانت الدولة عند رغبته وزوده بما يجب ان يزود به فائد مثله . وتمهيدا للعمل ارسل اولا اخاه الشيخ يحيى الباروني الى سواحل طرابلس في غصاوة حربية ليتنطس له الاخبار ويفيده بكل ما هنالك حتى يعد لكل شيء عنده . فجاء ونزل مصراطه فجال هنالك وقام بمهمته خير قيام فرجع وقص على اخيه الباشا جميع ما هنالك .

وعلى ضوء معلوماته استقل غواصة في خريف ١٩١٦ ومعه اخوه الشيخ يحيى . وهو يحمل معه هذه المرة اموراً هامة ثلاثة :
اولا — فرمانا في اعادة الدولة العثمانية لطرابلس الى حظيرتها والحاقها الى جملة ولاياتها .

ثانيا — فرمانا في تعيينه واليا وقوماندانا على طرابلس الغرب
ثالثا — تفويضه بالعمل لجمع اشتات الامة واسترجاع البلاد من ايدي الغاصبين الايطاليين ، على ان تمده بكل ما يلزم من اعتداد الحرب بوسائله الغواصات المتواصلة .

وصل مصراطة فتلقاه اهله بما يقابل به القائد العظيم من الحفاوة والتكريم وعلى رأسهم البطل المغوار رمضان بك السويحلي او الشتيوي .

وايكن كيف كان الوضع الراهن في طرابلس يومئذ ؟

اولا — فتن داخلية

ثانيا — حكومة استعمارية غاشمة جائمة على صدر البلاد .
 ثالثا — حكومة وطنية — سابقا — تلاشت اشلأؤها مبعثرة .
 واجهت هذه المشا كل الثلاث سعادة الباشا عند وصوله مصراته ، وقد اخذ
 على عاتقه ان يعالجها بما اوتى من قوة وايمان واحدة تلو الاخرى .
 وعلى هذا نرى ان هذا الطور الثالث من جهاده يشتمل على ثلاثة اصناف :
 اولاً — الفتن الداخلية واطفاؤها — واليك بيانه قدر الامكان :
 عندما وصل مصراته وجد الطراباسين منقسمين الى زعامات محلية متنافسة
 فكان رمضان السويحلي يتزعم منطقة مصراته ، واحمد المريض على رأس ترهونة
 وعبد النبي ابو الخير على ورقلة ، وخليفة بن عسكر على القسم الغربي من
 الجبل وقسم من الساحل ، والمهدى الزنتاني ومن معه على الجهة الشرقية من الجبل
 وقسم من الساحل الى فزان هذا من جهة ، ومن جهة اخرى كانت منافسات بين
 رمضان السويحلي بك وبين السادة السنوسيين حول سرت .

ماذا فعل الباروني باشا ازاء الحالة المضطربة ؟

١) كان اول ما فعل اثر نزوله مصراته واقتباله الفخيم من اهاليها وعلمه
 بما بين مصراته وترهونة من عدا ، انه اقسام ان لا يأكل من طعامهم حتى
 يصطلحوا معا .

فاضطر اهل مصراته — وهم في نشوة اللقاء — ان يعاهدوه على قبول اي
 صلح يعقده بينهم وبين ترهونة حتى يأكل من طعامهم ، وساروا في موكبه الى
 ترهونة ، فلما علموا ان الباروني سوف لا يأكل من طعامهم حتى يصالحوا اهل
 مصراته نزلوا عند رأيه وصالحوهم فتم بذلك حقن دماء المسلمين .

٢) لما استقرت قدمه بمصراته اخذ في مكاتبة الجهات برسائل اعدادا
 لجنوس الرؤساء والزعماء وابطال الجهاد الى تلقي رسالته التي جاء من اجلها اليهم

بحسن القبول . وهذا نص المذسور الذى وجهه اذ ذاك الى ابنساء البلاد في طرابلس : (١)

انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عدنا — والله الحمد — والمود احمد الى وطننا العزيز من دار الخلافه العظمى تحمينا غماريت البحر السابحة فوق جبال الامواج تارة وتحت عمق ٥٠ ذراعا في لجج اليم احيانا ، ترتعد هوام البحر من هديرها وتطيش أبواب الطيور في الجو من صدى صواعقها ، تبطش بالاعداء بطش الملائكة بالشياطين ولسان حالها يقول « الويل كل الويل لمن خالف ارادة (محمد رشاد) امير المؤمنين » وتذكرنا بعهدي نبي الله سليمان بن داود الاواب الوارد في مدحه قوله تعالى (وسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث اصاب ، والشياطين كل بناء وغواص واخلرين مقرنين في الاصفاد هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب)

عدنا — والله الحمد — ومعنا كل ما يلزم ، واستقبلنا باطلال مصراطه الكرام بكل سرور وابتهاج .

هذا — وقد نفضل أمير المؤمنين أيده الله فأمر حكومته بالخاق طرابلس الغرب — بلادنا العزيزة — بالبلاد العثمانية ، واقتضت ارادته السنه إرسالي لأجل اجراء الترتيبات اللازمة ملكية وعسكرية . وتمهد بان يوالي المدد الى النهايه كما تطامون على ذلك في مذكوره العالي الشأن .

ونعرفكم من مركز مسلاته بعد المذاكرة مع البطل الغيور رمضان بك ومن معه من الابطال عن المكان واليوم الذي يصير فيه الاجتماع العمومى إن شاء الله ، فانتظروا جوابنا .

والسلام على العلماء والافاضل والمشايع ورجالكم الكرام .

١٩ ذي الحجة سنة ١٣٣٤ من اخيم : سليمان الباروني

(٣) عندما وصل الباروني باشا مصراته كان الخلاف على أشده بين السنوسيين وبين رمضان بك السويحلي الذي لا يزال على ولاء للدولة العثمانية ، وكان السنوسيون قد ارسلوا جيشا فاحتل قصر « سرت » وشاع انهم ارسلوا جيشا آخر لمحاربة مصراته وورفلة ، فدرك الباروني باشا الامر فأرسل على الفور الى السيد ادريس السنوسي كتابا يرجوه فيه الكف عن القتال حقنا لدماء المسلمين وهذا نصه (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فرع الشجرة الطاهرة المجاهد في الله الهام الكامل السيد ادريس السنوسي ابن السيد المهدي زبد قدره .

السلام على حضرتكم — اني على ما تعهدون مني من المودة لا أنسى مكارمكم وان بعدت الديار .

هذا -- وقد وصلت مصراته مرسلا من لدن حكومتنا السنية بطلب من الاهالي بعنوان : « والي وقومندان طرابلس » ولدى وصولي المركز وصل الخبر بأن قوة قدمت من جهة برقة تحت القايمقام موسى بك واحتلت قصر « سرت » بعد ان بارحتها قوة الزاندرمة والدرك التي هنالك من طرف رمضان بك السويحلي باسم « الدولة العثمانية » فبادرت بارسال جواب الى موسى بك والشيخ صالح الاطويوش لانه بلغني انه مع القوة المذكورة فجاء الجواب من الشيخ صالح مبينا فيه انه ما قدم الا بامر من سيادتكم ومن انور باشا بعنوان « متصرف سرت »

فتأسفت لانه كان أول امر اصدرنه متعلنا بتجهيز قوة لمقابلة تلك القوة المنسوبة اليكم ، الا اننى امرت قومندان القوة ان يتحاشى ما امكن الدخول فيما يكدر الجسواط بين بني وطن واحد ودين واحد . رجاء ان تتخلى القوة مختارة عن القصر بعد ان يبلغها المنشور السلطاني الذي ارسلناه اليكم . وبناء عليه - ارجوكم المبادرة الى تسوية هذه المسألة ، ان كانت حركتها صادرة منكم - ، حتى لا تخيب فيكم . امال الحكومة التي زادتكم شرفا باعطائها اياكم منصب « باشا وياور الحضرة الشاهانية » .
وها اناذا انتظر جوابكم المحترم ودمتم .

سليمان الباروني

٢٧ - ٢٨ ذي الحجة ١٣٣٤

جواب السيد ادريس السنوسي

على أثر وصول جواب الباشا الباروني اليه اجابه بالرد الآتي : وهذا نصه (١)
جناب والي طرابلس الغرب وقومندان (الشيخ سليمان بك الباروني)
حفظه الله .

بعد اهداء السلام وتحيات كرام - قد وصلنا كتابكم وسرنا قدومكم اذ بسببه نأمل الخير العام . وذكرتم نزول عساكرنا بمرت فصحيح ذلك قبل قدومكم اذ كانت الفتن مشتعلة بين السويحي و ترهونة ، فأجبرنا الحال ان نطعمها بأي سبب كان كما قال الله تعالى (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احدهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل)

فارسلنا الجيش ونزل بمرت من دون اذن احد فحين سمع به انمار الزاندرمة الذين به فروا من دون موجب .

وها نحن أمرناهم - يعني عساكرنا - بأن يقفوا بالقصر واتم امنموا كل سفيه من اي عمل يشين سمعة الاسلام امام العدو . نحن لا غرض لنا الا الاتحاد الاسلامي وتخليص رقاب المسلمين فقط ، كما اننا نأمل من جنابكم معاونتنا على اطفاء الفتنة بين المسلمين وشدة الضغط على الاعداء ، كما انكم جديرون بذلك ونحن وانتم لا فرق بيننا كلنا مقصدنا شريف ومحاربون اعداءنا تحت الراية الاسلامية العثمانية ، ونرجو الله ان يكون عون الجميع بحاجه النبي الشفيع صلى الله عليه وسلم .

واقبلوا بحياتي . ٨ محرم سنة ١٣٣٥ محمد ادريس بن السيد المهدي

٤ - مواكب الباروني باشا

في اتجاهها الى حيث العزة والسيادة

بعد ان اطفأ سمادة الباروني باشا الفتنة الداخلية بين السنوسيين ومصراطه على الوجه المرضي وزال خطر الحرب الاهلية بفضل حسن نية الفريقين ورغبتها في الوئام ، غادر الباروني مصراطة ومعه اعيانها وكبارها الى يزلتين فاستقبله السكان بكل ترحاب وتلوا على مسامعه خطبا وقصائد ، واعلنوا انضمامهم الى الحكومة الجديدة التي جاء لتأسيسها .

ثم غادر يزلتين ومعه وفودها ووفود مصراطة الى مسلاتة حيث يقيم رمضان السويحي فوافته وفود من جميع انحاء الولاية ، ما عدا ترهونة وكانت في حالة حرب مع مصراطة ، وبتلك الوفود كلها تقدم الى ترهونة لمقابلة احمد المريض بك لعرض الصلح عليه ، وذلك بعد الاتفاق مع رمضان بك فاستقبلهم بالحنفاة وقبل الوساطة والصلح ، وبعد ساعة قرر سحب القوات الحربية والمحاربين فصار الجميع الى مسلاتة مخترقين ميدان الحرب فملا الهتاف من الجانبين وجهروا بالتكبير والدعاء .

وسارت الوفود الى العزيزية ، مارة بتهونة فكان الجميع في استقبال تلك الوفود (١)

٥ - دعوة عامة من البارونى باشا

ثم انه لما وصل مركزه الاصلى العزيزية هو والوفود الذين معه ارسل الى كافة المسؤولين في الولاية دعوة عمومية لحضور تلاوة فرمان السلطانى في العزيزية بتاريخ ٤ صفر ١٣٣٥ ، وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم - وصلنا العزيزية يوم الخميس الموافق ٤ صفر بعد ان اتممنا الصلح بين تهونة وجهة الشرق والحمد لله ، ويوم الجمعة الموافق ١٢ صفر ستكون قراءة فرمان الشاهان بقصر العزيزية فيكون حضوركم قبله بيوم او يومين ان شاء الله .
والي وقومندان : سليمان البارونى

نعم — هناك وفي نفس الموعد قريء فرمان السلطانى الصادر بضم طرابلس الى بلاد الدولة العثمانية وبتميين البارونى باشا واليا عليها ، وبتمويضة تفويضها مطلقا من الدولة العثمانية لتحقيق تلك الاهداف العالمة .

ثم رفع العلم العثماني فوق خشبة العلم الايطالي بين دوي المدافع وانشاد القصائد وهتاف الهاتفين .

ثم بذل جهده ونفوذ ما زال يروض جاح الجاحمين ويصلح بين الزعماء المتنافسين حتى تسنى له جمع الكلمة وتوحيد القلوب على قاعدة تولية كل واحد من الزعماء المنظمة التى تخضع له على ان يتبع هو حكومة المركز وينفذ تعليماتها وأوامرها (٢)

ثانياً — التنظيم الداخلي ، واليك موجزه :

لما فرغ سعادة الباشا من اطفاء الفتى الداخلية كما اشرنا اليه ، تفرغ للتنظيم الداخلي وارجاعه الى نصابه فأعاد تشكيلات الولاية الى ما كانت عليه سابقا في العهد العثماني وعين كل رئيس حسب سعة منطقته متصرفا او قائمقاما واختار بقية الموظفين ملكيين وشرعيين ، وسارت الامور على هذا الموال ، لو ساعدت المقادير لكان لطرابلس خاصة ولشمال افريقية عامة منذ ذلك العهد شأن عظيم من الامن والرخاء والازدهار .

ثالثاً — تنظيم واجهة الحرب ضد ايطاليا

لما اتم الباشا الباروني الامرين السابقين العظمين : اطفاء الفتى الداخلية ، واعادة النظام الداخلي في البلاد تفرغ الى توجيه قوات الامة الطرابلسية كلها وتنظيمها في جبهة تمتد من حدود مصرطة الى مركز زوارة على حدود تونس لقتال الايطاليين الذين كانوا يرابطون بالساحل وخصوصا في مدينة طرابلس فاغار عليهم اغارات منظمة شديدة ، حتى اضطرت هذه الحروب المتواصلة ايطاليا الى حشد كثير من القوى العسكرية المسلحة بالدبابات والطائرات والسفن الحربية وما كانوا يجمعون عن رمي المجاهدين بالغازات السامة وقنابل التدمير وحرق المزروعات .

وقد جن جنون الايطاليين فحشدوا ازاء ٢٠ الف مجاهد من المسلمين عدد ١٢٠ الف مقاتل من الجنود الايطاليين المساحين كما صح ذلك عند الباشا نفسه يقوم سعادة الباشا بإدارة الحرب على المنوال السابق ويقوم معه بازاحة ما بقي من الشعب حتى تكتسل الامة كلها تحت الراية العثمانية لمواجهة عدو الاسلام والبلاد - ايطاليا -

ومن ذلك ما كتبته الى السيد عابد السنوسي لما بلغه من مساواة بعض

أقاربه للماورى الدولة العثمانية ، ونصه (١)

» . . . فرع الشجرة المباركة المجاهد المحترم السيد محمد عابد السنوسي حفظه الله وسلمه . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
اننا نحمد الله ، واحوالنا فى غاية ما يرام ، وقد عمرت كافة المناطق الحربية بالعساكر النظامية ، وكثرت الخيرات : جبخانه - خرطوش - وسلاح ودرهم وكسوة وماكينات لخدمة الجبخانة والبارود . وكل ذلك بواسطة الغواصات التي لا زالت ترد تلو بعضها البعض ولا تزال تحاصر مدينة طرابلس والخمس وزوارة ومدن تونس والجزائر حتى قطعت الطرق على الاعداء واصبحوا فى قحط وحصر برأ وبحراً والحمد لله .

كدرني جداً ما هو جار بين قريبكم الشيخ على الاشهب وماورى الدولة وما كنت اظنكم ترضون ذلك او تساعدون عليه مع ما انتم عليه من المرتبة عند الدولة وما انعمت به عليكم من الرتب والنياشين .
وقد كتبت الى الباب العالي فى دفع التهم عنكم وكل ما قيل فى حقكم للدولة ، وكل ذلك اعتماداً منى على جواباتكم وحسن ظني بكم ولكن مع الاسف خاب الظن والامر لله .

فان لم تتداركوا الحالة بكشف أيدي المعتدين عن الاماكن المرفوع عليها العلم العثمانى المقدس ولواء فزان وتبرءوا انفسكم من ذلك بجواب الينا نرسله الى الباب العالي ، فان الخرق يتسع وتسلك الدولة معكم مسلكاً لا يليق بشرف عائلتكم ، والله الهادى الى سبيل الرشاد .

١٨ شوال سنة ١٣٣٥ هـ فى الزاوية سليمان البارونى

رسالة تاريخية خطيرة (١)

من السيد احمد الشريف السنوسي
الى سعادة الباروني باشا

للمناسبة هذه الظروف الطاحنة بالاعمال الخطيرة نسجل هنا رسالة تاريخية خطيرة من السيد احمد الشريف السنوسي الى سعادة الباروني باشا ، يظهر من فواها انها جواب لرسالة كتبها الباروني باشا الى السيد احمد الشريف في مهمات خطيرة من بينها قضية السيد محمد عابد السنوسي التي عالجها في الرسالة السابقة ، ونحن نأسف اذ لم نقف على نص رسالة الباروني باشا للسيد احمد الشريف ، وهذا نص الرسالة :

« . . . انه من عبد ربه مملوك استاذه ، ونائب امير المؤمنين في افريقية ووزيرها احمد الشريف السنوسي .

حضرة صاحب العطفة المحترم والي وقومندان طرابلس الغرب سليمان بك الباروني ادام الله علاه وابقاه .
السلام عليكم ورحمة وبركاته ومرضاته .

اما بعد — فقد وصل كتابكم الكريم يحمل تهانيكم بما تفضل به على شخصي الضعيف مولانا الخليفة الاعظم أيد الله سلطانه .
واني أشكركم من كل قلبي على حسن ودادكم وكريم سجاياكم واني انتهر هذه الفرصة فأزف لکم عبارة التهاني والتبريك بما ولاكم اياه جلالة السلطان الاعظم من ولاية طرابلس ، فنعم الرأي الذي أحاطكم هذا المقام ولا زلتم حائزين لثقة مولانا امير المؤمنين ووفقكم الله لخدمة الدولة والملة على الوجه الاكمل ، وان يتم الاصلاح المرغوب فيه على ايديكم .

وسرنا ما ذكرتموه من حصر العدو في استحكاماته والتضييق عليه ، زاده الله ضيقا واما انكم على التخصص منه .

اما ما ذكرتموه من امر العدو في الجهة الشرقية فلا اخالك لا تعرف من ذلك ما لا يعرفه غيرك من انى لو استطعت لقضيت عليهم وطهرت الارض منهم اليوم قبل باكر - العدو - وتعرف ايضا انه ما تمكن بما تمكن منه الا بعد حركتنا نحو مصر ، ولولاها كنا قدفنا به اليوم في البحر ، وما كان له اثر ولا خبر . ولكن تلك الحركة ولو اذها افادت الدولة والملة من وجوه كثيرة وشغلنا بها اكبر عدو لمقام الخلافة ناواها العديد من السفين الا انها كانت سببا لفوز الطليان الذي لا يتألم منه احد اكثر مما أتألم منه . ولو ان لي به قوة ما تأخرت يوما عن مناواته ، ولكن ماذا افعل وانا صفر اليدين من كل شيء بعد هذا الجهاد والحمد لله ؟

اما أنتم مع الاستعداد التام بتتابع الفواصات عليكم امام عدو واحد أسأل الله ان ينصركم عليه ونحن مع عدم كل شيء حتى ستر عورات العساكر امام ثلاث قوات مستعدة لأقل حركة تبدو منا فلو لم نقابلها بقوة مثلها واستعداد كما استعدادها ربما وصل اذاها حتى جبهتكم .

اما ما ذكرتموه من خصوص السيد محمد عابد فمهدي به أنه أبعد الناس عن التمرض لمناهضة الدولة ، وعسى ان تظهر الحقيقة ببراءته من كل ما نسب اليه . وفي الختام تقبلوا احتراماتي وتسليماتي وبلغوها لكافة اللائذين بالمقام واخوتكم المجاهدين الابطال . ودمتم والسلام

احمد الشريف

٥ ذي القعدة سنة ١٣٣٥

وهكذا يستمر سمادة الباشا البارونى في هذا الطور الثالث من جهاده يدير دفة الحرب مع ابطاله ضد ايطاليا من جهة ويوطد العلاقات ويربط الصلات

بين رؤساء وزعماء طرابلس - برقة - من جهة أخرى ، حتى التلحم قوات المواطنين وتوحد الجهود ضد عدو واحد - إيطاليا - الأمر الذي غبطه عليه وشكره وسأل الله له به النصر على العدو ، وعنه به الشيخ الأكبر السيد أحمد الشريف السنوسي في رسالته العظيمة .

سؤال

يسأل الاخ الباحث ما هو وجه الجمع بين رسائل السادة السنوسيين الى سمادة الباروني باشا الطائفة ودا واخلاصاً وتقديراً واحتراماً ، وبين ما مر ذكره من معاملتهم السيئة له في جملة الضباط الاتراك وغيرهم ؟

نقول : اننا علمنا شيئاً وغابت عنا اشياء وان ما علمناه عن هذه الظروف وملاساتها يستدعي طولاً قد يخرجنا عن خطتنا المرسومة لهذا الكتاب ..

وحسبنا - هنا - ان نحيل الاخ الباحث في كشف اللثام عن تلك الغوامض وفي تمحيص الحقائق من بين اكوام الحوادث الى كتاب المرحوم الباروني نفسه « تاريخ الحرب في طرابلس الغرب » كما مرّت الاشارة اليه سابقاً .

وجوه العبرة من هذا الطور !

(١) مبلغ القوة المادية والمعنوية التي جاء بمحاربتها الباروني باشا من الدولة العثمانية الى بلاده في هذا الطور .

(٢) الادوار العظيمة التي قام بها بموجب تلك القوة وذلك النفوذ : من اعطاء الفتن الداخلية ، واعادة نظام البلاد من جديد ، وتنظيم خطة الحرب ضد إيطاليا ومواجهة ٢٠ الف مسلم لـ ١٢٠ الف ايطالي

(٣) الالوج العظيم الذي بلغه الباروني باشا في هذا الطور مما ترتعد منه النفرائص ويرجع الرشد والصواب الى رهوس العتاة ، كما يستشف ذلك من اعماله

ورسائله .

٤) مبلغ اخلاصه وخدمته لدولة الخلافة واعادة هيبتها ونفوذها الى نفوس الذين زادت قلوبهم عنها او كادت ما دام يرى فيها نمعا للعربية والاسلام .

٥) تداويه عن العنصريات والطائفية وعن سائر الحزازات ، وجعله مصلحة الاسلام ومنفعة المسلمين العامة فوق كل مصلحة وفوق كل منفعة .

٦) بطولته في ادارة الحرب ، ولطف سياسته في توطيد العلاقات وتمتين الصلات في امان واحد بين رؤساء طرابلس - برقة .

٧) ايام كان الباشا الباروني يخلق في هذا الجو العالي يعتذر له صاحب المقام الرفيع الشيخ احمد الشريف السفوسي عن مواصلة الحرب في الشرق للاسباب التي ذكرها في رسالته السابقة ، وينتبه جانبا الى واحدة الكفرة تاركا خلفه ابن عمه المحترم السيد ادريس يعقد اتفاناً مع ايطاليا وانقلاباً على شروط لا محل لها هنا (١)

(١) حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ١١٨ طبعة السلفية ، تعليق امير البساط
تصكيب ارسلان .

تأسيس دولة جمهورية في طرابلس

لو كان الطوران الاخيران من جهاد الباروني باشا وابطاله بطرابلس سنابل لمزرعة الكفاح لكان تأسيسهم لدولة جمهورية فيها لبابها ، ولو كانا ثماراً لحقل النضال لكان انشاؤهم لها عليها . فهو الغاية الاسمى والمثل الاعلى .

نعم — ان حروب ١٩١١ - ١٩١٢ - ١٩١٣ تعد ازاء ما بعدهما مجرد حوادث ازاء الخوارق المدهشة ، كما عبر عنها المرحوم الباشا نفسه بقوله :

واما جهادهم العظيم مدة الحرب العامة من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩١٩ وما كان فيه من خوارق العادة . . الى قبول الصلح على القانون الاساسي المشهور المعطل الآن فسنفصل اخباره ووقائعه المدهشة مع حوادث ١٩١١ - ١٢ - ١٣ في « تاريخ الحرب في طرابلس الغرب » (١)

كيف كان انشاؤها ؟

في اواخر الحرب العالمية الاولى ، وقد كانت الاستانة على وشك السقوط تلقى القائد العام العثماني الامير عثمان فؤاد - وهو في مصر اطه - اشارة لاسلكية بأن الدولة ستسلم وان غواصة ستصل اليه في تلك الليلة فيسافر فيها فبادر الى طلب الباشا الباروني ، وهو اذ ذاك في غريان فحاء على جناح السرعة ، فلما اجتمعا اطلمه على ما حدث واخبره بأنه مصمم على السفر ، فقال له الباروني باشا : اما انا فلا افارق اخواني الى ان نحصل على نتيجة ان شاء الله .

وبعد ان ودع الباروني الامير عثمان فؤاد ، ولسكن الامير عثمان عدل عن السفر بعد لخطورة الحالة ، عاد الى مصر اطه فاجتمع برمضان بك السويحي وكان مضطرباً فبادره بقوله « انك يا باشا - لم تخيب فيك ظننا اذ لم تسافر - فلا عذر

لك في تركنا ونحن على ما ترى . فأجابه الباروني قائلاً : اني معكم الى النهاية الا انه لا بد من انشاء حكومة وطنية بلا تردد ولا امهال بشرط ان تكون رئيسها . فقال رمضان بك : دع الرئاسة جانباً فاني ارى ان تكون لنا حكومة جمهورية تتألف من اربعة اعضاء فقط : انت واحد بك المريض وعبد النبي بك بلخير واكون رابعكم على ان تكون انت الوالي كما كنت في السابق .
فأجابه الباروني باشا بقوله : لا - انما اكون كالسابق في منطقة الحرب قريباً من الذي نعينه قائداً لجيش الجمهورية .

فقال هذا انا موافق عليه من الآن الا أنني اخاف ان لا يسوافق المريض على مواصلة الحرب فأجابه الباشا قائلاً : انه احرص مني ومنك على استمرارها الى ان نصل الى نتيجة ، فقال رمضان بك : اذاً لقد تم الامر . ثم ذهب الباروني باشا مسرعاً الى مقره - الزاوية - لتقوية عزائم المجاهدين ودعوة الاعيان الى عقد اجتماع عام في مسلاتة لعرض مشروع الجمهورية عليهم (١)

الاجتماع العام في مسلاتة

زار الباروني باشا ترهونة فقابل رئيسها السيد احمد بك المريض فذكر له جميع ما جرى في مصراطه مع رمضان بك فوافق عليه فدعوا الاعيان الى الاجتماع في مسلاتة فجاؤا من جميع اطراف البلاد ، فعقد الاجتماع العام في جامع مسلاتة ، وبعد اخذ ورد حصل الاتفاق على انشاء الجمهورية وعلى اختيار الاربعة المذكورين من قبل لمجلس ادارتها .

وعلى انشاء مجلس شوري للجمهورية يتألف من ٢٣ عضواً يمثل سائر مقاطعات طرابلس .

ثم زادوا فاختاروا مختار بك كعبار ليكون رئيساً للمالية الجمهورية

الشروع في العمل

بعد ما انقضى الاجتماع العام الاول اجتمع على الاثر اعضاء مجلس الجمهورية
الاربعة فاتفقوا على تحرير نصوص البلاغات الى من يأتي ذكرهم :

(١) الى انحاء الولاية اعلانا بقيام الجمهورية

(٢) الى الضباط الوطنيين

(٣) الى رئيس الحكومة الايطالية

(٤) الى رئيس الوزارة الانكليزية

(٥) الى رئيس الحكومة الفرنسية

(٦) الى الرئيس ولسون - امريكا -

اما البلاغ الاول الى انحاء الولاية فهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

في الساعة الرابعة ونصف من يوم السبت المبارك الثالث من شهر صفر الخير
عام ١٣٣٧ هـ قررت الامة الطرابلسية تتويج استقلالها باعلان حكومتها الجمهورية
باتفاق اراء علمائها الاجلاء واشرافها واعيانها ورؤساء المجاهدين المحترمين الذين
اجتمعوا من كل انحاء البلاد ، وقد تم انتخاب اعضاء مجلس الشورى الطرابلسي
وانتخب اعضاء مجلس الجمهورية ، وافتتح اعماله بتبليغ اعلان الجمهورية الى الدول
الكبرى عامة والى الدولة الايطالية خاصة

صورة اليمين

وهذه صورة اليمين الذي أداه الحاضرون مع اعضاء الجمهورية والمجلس
الشوري في الاجتماع العام في جامع مسلاتة :

« اقسم بالله العظيم قابضا بيدي هذا القراء ان الكرم ان أجعل نفسي

ومالي فداء، لوطني وحكومتى الجمهورية الطرابلسية وان اكون لعدوها عدوا
ولصديقتها صديقا وقانونها الشرعي مطيعا .

وان الامة الطرابلسية تعتبر نفسها حائزة لاستقلالها الذي اكتسبته بدماء
ابنائها وقوتها منذ سبع سنين وسعيدة بالوصول الى هذه الغاية التي هي اشرف
ما تصل اليه الامم وتحيي ابناءها بتمام نجاحهم واتحادهم على الثبات التام في الدفاع
عن وطنهم وحكومتهم الجمهورية الجديدة . والتوفيق بيد الله تعالى وحده .

١٣ صفر سنة ١٣٣٧ — ١٦ تمّاز ١٩١٨

سليمان الباروني — احمد المريض

رمضان الشتيوي — عبد النبي بلخير

واما البلاغ الموجه الى الحكومة الايطالية فهذا نصه :

(١) نفتخر الامة الطرابلسية بتبني استقلالها باعلان الحكم الجمهوري
وانتخاب نواب عنها من كافة انحاءها لمجلس الحكومة والشورى ، ولا هدف
لها الا ضمان وحدتها وحرية داخل حدودها السياسية المعروفة ، ولا نقصد الا
ان نعيش عيشة هنيئة مسالمة لجميع الامم التي لا تحاول غصب حقوقها .
(٢) لذلك ندعو الحكومة الايطالية الى الاعتراف بها وسد كل باب يضطر
الحكومة الطرابلسية الى مداومة الحرب الى ان تحقق أملاها المشروع .

١٣ صفر ١٣٣٧ (١)

ملحق لهذا البلاغ

اذا قبلت المواد الآتية ووضعت في موضع الاجراء فالحكومة الجمهورية
الطرابلسية مستعدة للبحث مع الحكومة الايطالية في عقد صلح تبعا للقواعد
الآتية :

١) في حال دوام المذاكرة يجب على كل من الطرفين المحافظة على مواقعه بصورة هدهة .

٢) لا تقرب السفن الحربية من السواحل الغير محتلة بالمساكر الايطالية .

٣) لا تتجاوز الطيارات حدود الاستحكامات

٤) لا تقع مخابرة خصوصيه مع أي احد كان لا من جهة المناطق الحربية ولا من غيرها .

٥) تقطع كل ما فيه وسيلة الاختلاط بالاهاالي من طرف الحكومة الايطالية كأخذ وعطاء البضاعة وتوزيع الاعلانات على أي صورة وبأي طريقة كانت .

٦) المخابرات الرسمية والدخول والخروج لا يكون الا من الموقع الذي يصير تعيينه في منطقة الخمس من طرف الحكومة الطرابلسية .

٧) الحكومة الجمهورية الطرابلسية مستقلة في شئونها وحركاتها تمام الاستقلال وغير مسئولة بأي قيد او شرط تضعه حكومة اخرى او تتعهد به للحكومة الايطالية في طرابلس .

٨) ضباط الترك والالمان والذمسا الموجودون في داخل طرابلس هم بمنزلة ضيوف عند الحكومة الطرابلسية ، ولا نسمح بغيرهم الا بصورة تكفل منعمة وشرف الامة الطرابلسية وحكومتها الجمهورية .

٩) بما ان الامة الطرابلسية لها الحق في اظهار صوتها للعالم الانساني وبالخصوص الحكومات الموجودة قناصلها في مدينة طرابلس مثل انكلتيرا وفرنسا واميركا فملى الحكومة الايطالية قبول وايصال ما يرسل من الحكومة الطرابلسية اليها بدون اطلاق عليه واخذ سندات من القناصل المذكورين وارسلها الى الحكومة الطرابلسية ، حتى لا تضطر الى اتخاذ طريقة اخرى لمواصله مخابراتها المذكورة .

ماذا كان رد فعل هذه البلاغات ؟

اما من تركيا فقد أرسلت من طرفها اكرم بك بن رجب باشا الوالي والقائد السابق في طرابلس يحمل منها توصية لتنفيذ قرار الهدنة فاجتمع بالاعضاء في العزيزية وهو معزز بالوكالة الايطالية من طرابلس ولسكنه اخفق في محاولاته ورجع الى الاستانة بخفي حنين .

واما من ايطاليا فقد رمت طياراتها - اولاً - اثر نشر البلاغ منشوراً طويلاً كله تهديد ووعد . كما ارسل الجنرال تارديتي مع اكرم توكيلا لان يصرح عن اذن ايطاليا لسماة الباروني باشا بما يلي : « . . . نظراً الى كون حضرة سليمان الباروني قد عين قبل نشوب الحرب الارووية عضواً في مجلس الاعيان للدولة العثمانية لا تصير له صموبة في ان حضرته الموصى اليه سيركب على سفينة للتوجه الى الاستانة العلمية والاقامة بتركيا مع كونه من ابناء القطر الطرابلسي . عن طرابلس الغرب في ٨ فيفري ١٩١٩

رئيس دائرة السياسة العسكرية

الجنرال تارديتي

كما حمل منه في هذا المعنى منشوراً عاماً لاعضاء طرابلس لمن شاء منهم ان يترك طرابلس ويتوجه الى حيث شاء فله الحرية التامة في ذلك الخ اي فليرحلوا بحرية من وطنهم .

ولكن تبخرت هذه التوصيات وهذه الوكالات كما أشرنا اليه امام الارادة الوطنية .

ما هي اعمال الجمهورية ؟

بعد الجلسة الاولى لأعضاء مجلس الجمهورية ونشر تلك البلاغات واصل الاعضاء اجتماعاتهم في مسالمة فأحجزوا الاعمال الآتية، لانهم جادون غيرها زلين :

(١) ألغوا المجلس الشرعى الاعلى واختاروا اعضاءه .

(٢) اقرروا بعض الموظفين في وظائفهم ونقلوا بعضهم .

(٣) عينوا للمصاريف والنفقات ميات المنحلة موظفيها .

(٤) وضعوا الميزانيات الجديدة للدولة .

(٥) عينوا للقيادة العامة لجيوش الجمهورية أمير اللواء الفخرى عبد القادر

الغناي البنغازي ، وتوجه معه البارونى باشا الى مراكز الولاية (الزاوية) ليبلغ الضباط والمجاهدين تعيينه وقد تم كل ذلك بسهولة .

(٦) قرروا إقامة الضباط العثمانيين مع الامير عثمان فؤاد في غريان على أنهم

ضيوف لا شأن لهم في شيء ، واما البارون الالماني مدير الاسلحة فقد اختار الإقامة في يفرن مع رجاله .

الدخول في المفاوضات

الآن اذ رأت إيطاليا انها أصبحت امام الامر المقضي وأن أمر الجمهورية الطرابلسية لابد الى استقرار ، وان حل القضية ان لم يكن بالسلم فلا يكون بالعنف . هنا جنحت الى الدخول مع الجمهورية في مفاوضات ، فاستدعت فرحات بك مبعوث طرابلس السابق ، وأملت عليه كتابا الى بعض الرؤساء يدعوهم فيه الى الدخول في مذاكرات الصلح مرفقا بكتاب من القائد الايطالى الجنرال « بانكانو » مؤرخ في ٢٦ فيفري سنة ١٩١٩ ، وهذا نصه : (١)

« . . . الى المحترمين الافاضل زمضان بك الشتيوي واحمد بك المريض وسليمان بك الباروني ومختار بك كعبار وعبد النبي بك بلخير والهادي بك كعبار والحاج محمد بك فكيني وعلي بك بن تنتوش دام مجدهم . آمين .

من بعد اهـداء السلام عليكم ، اعلنكم ان حضرة الجنرال تارديتي رئيس دائرة السياسة العسكرية كانت ارسل اليكم مكتوباً وذكّر فيه تقريباً ما هو مذكور ادناه ، وهو ان الحكومة الايطالية بيدها سلاحها وجيشها حاضر ، وتعلم كذلك انكم حاضرون ، ولكن قبل انصباب الطرفين في المعارك رأيت واجبا عليها وعليكم حسم كل شيء . ساما لكي لا تسفك الدماء .

ثانياً — وانا اظن ان في الامكان فهم المشاك كل بحضور الطرفين والمسكلة تفصيليا وبكالم الحربة .

ولأجل هذا فأنا اسألكم الاجتماع وأظن أن رجالاً مثلكم عتلاء ومدرّبون لا يمتنعون من هذا ولا أظن انكم تحملون وجدانكم سنمك الدماء المأفون . واننا ننتظر اشعاركم اين ؟ وكيف ؟ ومتى تكون الملاقاة ؟ هذا قد كتبته لكم الجنرال تارديتي وانا أعيدّه لكم على لسان الجنرال تارديتي بارساله لكل واحد منكم مكتوباً لان مكتوباً واحداً محتتمل ضياعه وايضاً يضيع وقت كبير في قراءته من طرف كل واحد منكم

واعرض على الجميع سلامي واحترامي

الجواب يكون الى الجنرال تارديتي بطرابلس .

زئور — في ٢٦ فيفري سنة ١٩١٩ الجنرال « بانكازو »

جواب الجمهـورية

لما وردت الرسالة السابقة الى اعضاء الجمهورية اجتمعوا وارسلوا الى الجنرال « تارديتي » الجواب التالي :

بعد السلام وصلنا جوابكم الموجه الى بعض رؤساء طرابلس المحترمين في طلب الاجتماع لهذا كره فيما يحصل به الاتفاق وبزول سوء التفاهم وتحقق الدماء ويكون أساسا لسيادة البلاد في المستقبل ، وطلبتم فيه تعيين المكان بسرعة فوق العادة .

وبما ان مساعي رجال البلاد والهيئة الحاكمة الوطنية مصروفة الى نيل هذه المقاصد فلا شك انهم سيقبلون هذا الطلب بذية خالصة خصوصا حيث كان صدوره من جنابكم املا في حصول النتيجة . ولذلك صار طلب حضور بنية الرؤساء الى العزيزية بسرعة مع رسل مخصوصة وبعد ستة ايام يأتيكم الجواب في بيان الزمان والمكان ، والله الموفق .

وحيث انه تقرر عدم قبول أي رسول أو مخابرة على طريق « الزاوية » فيما بعد فالمرجو توجيه الجواب « الممنون على هذا » الى فرحات بك وارسال متبوض منه على طريق جنزور . ودمتم محترمين

عضو الجمهورية : سليمان الباروني

رئيس مجلس الشورى : محمد سوف

متصرف المركز : الهادي كمبر

فائد جنزور وقايمقام النواحي : الصويمعي

جواب الجنرال تارديتي

اثر ذلك كان جواب الجنرال تارديتي لهم باسم السيد الهادي كعبار ، حسب طلبهم ، واثر وصولهم كما اخبروه بذلك وهذا نصه : (١)

السيد المحترم الوحيد هادي كعبار دام بقاءه :

اخذت كتابكم المؤرخ ٣ رجب ١٣٣٧ واشكركم عليه .

وبناء على تعريفكم لنا سنقدم مع سائر مندوبي الحكومة الافرنجية بعد الظهور لأجل المذاكرة معكم ومع سائر رؤساء البلاد . لا يخفناكم ان القطر الطرابلسي منتظر من اعمالنا جميعا سمعته وحسن مستقبله ، وانى لا أشك في ان المولى سيجانه وتعالى سيرشدنا في جلساننا الآتية الى ما فيه الحصول على النتائج الحميدة ، هذا واسكم منى ازكى السلام ، وبلغوا سلامنا الى كافة رؤساء البلاد ودمتم . ٣ مارس ١٩١٩ رئيس دائرة السياسة العسكرية

الجنرال تارديتي

مفاوضات أخرى مرة ثانية

بعد ان اجتمع الفريقان في الاجل المضروب في المكان المحدود وتباحثوا في الحالة ثم افرقوا من دون ان يصلوا الى نتيجة مرضية ، استؤنفت الحرب . وكان الايطاليون يؤملون ايقاع الشقاق في صفوف الطرابلسيين فلم يوفقوا وهنا طلبوا الدخول في مفاوضات الصلح مرة أخرى . فأرسلوا رسالة في هذا الشأن أجابهم عليها الهادي كعبار فردوا اليه رسالة أخرى وهذا نصها : (٢)

الى السيد المحترم الهادي كعبار

زيادة على مكتوبنا المرسل اليكم صباح اليوم والذي اعلناكم فيه بوصول

جوابكم الينا ولكوننا منتظرين تعيينكم السكان والزمان بكامل السرعة نقول لكم ان الحكومة لا تزال في اعتمادها القوي على ما انتم وسائر الرؤساء الكرام تبذلونه من الجهد لأجل الاستحصال على المقصود بصورة جميلة محمودة . وبناء عليه قد انتظرت الحكومة الى حد الآن مع احضارها برنامجا كاملا محتويا على تدابير حرة مثل ما شرحت لكم في اجتماعنا السابق لأجل تأمين الاحسانات التي يمكن اصدارها من حكومة متمدنة عادلة بالديار الطرابلسية . وقد مضى على اجتماعاتنا الاخيرة ١٥ يوما . وبما ان الحكومة لا تعرف متى سيكون الاجتماع الثاني فقد رأت من اللازم الاستعجال لأجل الحصول على النتائج المقصودة حتى تتخذ وتصدر بكل التدابير اللازمة لخبر هذه البلاد بصورة مشروعة ، فان الاسباب التي تؤخر اجتماعنا القابل هي مؤخرة لتلك التدابير ايضا . وفي تأخيرها ضرر للاهالي الذين نريد جميعا اعادتهم الى الرفاهية والراحة والهناء بكل سرعة .

فبنا على ذلك لا بد ان اجتماعنا القابل الذي وعدتمونا بتعيينه في اقرب وقت سيكون قبل انتهاء شهر مارس الجاري ، ولذلك ارجوكم ان تحضرونا بالمسكان والزمان قبل ذلك الوقت بيومين حتى نقدم اليكم لاتمام المصالح العمومية واثبات الراحة والسعادة في هذه البلاد . وان التأخير فيه مسؤولية كبيرة على من كان سببا له .

وهذا ما لزم عرفناكم به - ودمتم

واقبلوا سلامنا القلبي وبلغوا سلامنا الى سائر الرؤساء الكرام .

رئيس دائرة السياسة العسكرية

٢٤ مارس سنة ١٩١٩

الجفرال : تارديتي

القانون الاساسي للقطر الطرابلسي

في سنة ١٩١٩

اجتمع مندوبو الفريقين في الموعد المحدود واستأنفوا المفاوضات والمباحثات وبعد مناقشات انتهوا في يوم ٢١ ابريل سنة ١٩١٩ الى وضع القانون الاساسي ووقعوا ميثاقا يقبلوه ، لولا غدر الاستعمار الايطالي لكانت دولة طرابلس منذ ذلك التاريخ في مقدمة الدول المحررة من اغلال الاستعمار

وقع مندوبو الطرفين ذلك القانون الاساسي قبل نصف الليل من التاريخ المذكور في خيمة الباروني باشا التي نصبها خصيصا لهذا الغرض بين المعسكرين وهذا نصه : (١)

- (١) تسمى الحكومة : حكومة القطر الطرابلسي
- (٢) يدير امور قطر طرابلس مجلس حكومة مؤلف من ثمانية اعضاء وطنيين، ينتخبهم مجلس النواب الطرابلسي من بين اعضاءه ومن عضوين ايطاليين ينتخبهما النائب العام
- (٣) يرأس هذا المجلس حاكم عام بيده السلطان الملكية والعسكرية معينا من طرف ملك ايطاليا (لم يحدد القانون جنسية الحاكم فقد يكون عربيا وقد يكون ايطاليا)

- (٤) يسن قوانين البلاد مجلس نواب ينتخبه الاهالي، يتمتع بما لمجالس الدول الاخرى المتمدنة من سلطات وحقوق وتكون مدته اربع سنوات وكلما جدد انتخابه جدد انتخاب مجلس الحكومة من بين اعضاءه

٥) لا تنفق ضرائب البلاد الا فيها حسبما يقرره مجلس نوابها في وضعها وتوزيعها وجبايتها .

٦) لا يطبق من قوانين ايطاليا في طرابلس الا ما يقبله مجلس النواب الطرابلسي ويوافق عليه لمصلحة البلاد .

٧) ينظم من ابناء البلاد جند وطني بالتطوع حسبما تقتضيه الحاجة وفائده هو الحاكم العام .

٨) للوطنيين حق التوظيف في الوظائف العالية ملكية وعسكرية وقضائية وصحية وغيرها بالامتحان

٩) التعليم الاهلي حر تحت اشراف الحكومة

١٠) اللغة العربية رسمية كالإيطالية

١١) ينتخب الاهالي رؤساء البلديات في العاصمة والمخيمات

١٢) يؤلف مجلس شرعي تستأذن اليه الاحكام الشرعية وهو يعين القضاة

١٣) للطرابلسيين الحائزين على الشهادات العالية الحق في مزاوله المهنة الحرة

كالطب والمحاماة وغيرها في ايطاليا كما في طرابلس

١٤) الطرابلسي والايطالي متساويان في الحقوق

١٥) الاوقاف تدار بمعرفة هيئة اسلامية

١٦) تراعى حرمة الدين والتقاليد الوطنية المحسنة كما في السابق »

الى اواخر ما جاء في القانون الاساسي ، وهو يشمل على نيف واربعين مادة

وقد صادق عليه مندوبو الطرفين من اعضاء الجمهورية الطرابلسية ومندوبي

الدولة الايطالية ، فن الاولين الباشا الباروني - رمضان بك الشتيوي - احمد بك

المريض - الهادي كمبار ومحمد الصويغي من اعضاء مجلس الشورى نيابة عن عبد

الذبي بلخير العضو الرابع لمجلس الجمهورية الغائب .

ومن الآخرين الجنرال تارديتي ورئيس اركان الحرب الايطالية وغيرها من
بقية الهياة الايطالية

وبعد تمام التوقيع على القانون الاساسى أقيم في عاصمة طرابلس احتفال
عظيم بهذا اليوم التاريخي الفخيم اشترك فيه اعضاء الجمهورية وغيرهم ، وقد جاءوا
الى طرابلس ودخلوها في موكب نغم مشى فيه نحو ٥٠٠ من فرسان المجاهدين
كما اشترك فيه سكان طرابلس قاطبة وأقاموا له معالم الزينة والافراح ، وذلك
اعتقاداً منهم ان الحرب قد انتهت وأن رؤية السلام ستعرف على البلاد والعباد
ثم صادق عليه مجلس الوزراء الايطالي ثم مجلس النواب ومجلس الشيوخ ،
واخيراً صادق عليه الملك الايطالي عمانويل في يوم الاحد ١ جوان ١٩١٩ .
وبذلك رأى المرحوم الباشا البارونى ان مهمته في الجهاد الراهن قد انتهت
بعقد الصلح وحلول الوفاق والسلام .

اعتزال الباشا للعهد في طرابلس

بعد ان أمم هو وابطال طرابلس عقد الصلح مع ايطاليا على اساس القانون
الاساسى -- كما اشرنا اليه -- ارتأى رحمه الله ان مهمته في داخل طرابلس قد
انتهت ، وان النتيجة التى كانت يصبو اليها قد تمت ، عول على الرجوع الى
الاستانة للالتحاق بمنصبه في مجلس الاعيان العثماني عن طريق ايطاليا (١)
ولكن ايطاليا بعد الصلح هى ايطاليا قبله ، فقد بدت شرأ مستطيراً
لطرابلس وراء ذلك الصلح حيث أسمر امرها عن حادثين خطيرين :
الاول -- اغراء ما بين رجال طرابلس وتغذية ما كان بينهم من المنافسات
وتسليط بعض منهم على بعض حتى يخلوها الجوهناك ، كما يدل على هذه التية

الخبينة مراوغتها في المفاوضات ومماطلتها في عقد الصلح كما اشرنا اليه ، وقد حدثت من هذه الدسائس أهوال وجدت منها احداث لا نعرف منها الا القليل وما نعرف منها مما يسود وجه الانسانية والاسلام .

الثاني - ما كان من انتصاب الحكم الفاشيستي الدكتاتوري بروما وعلى رأسه الدكتاتور الطاغية موسوليني فقد رجع ينقض ما بنه سلفه في طرابلس وبقبله راسا على عقب .

ثم واجه سماعة الباشا في الاستانة امر ثالث لا يقل خطورة عن الاولين بالنسبة له خاصة ولا بذاء الاسلام عامة ، وهو الانقلاب الكالي بما فيه من تفويض دولة الخلافة وحل البرلمان العثماني وتشتيت رجاله وسماعة الباشا من بيدهم .

ثم ما ينتظر الباشا بعد ذلك من اطوار وتقلبات مما سنتعرض له في كتابنا هذا قدر الامكان ان شاء الله .

وصل الاستانة ولم يكده يستريح بين أهله واولاده اكثر من ثلاثة اشهر حتى كلفه الباب العالي بالسفر الى طرابلس لمهمات واسرار ، والاستانة اذ ذاك تتمخض عن أهوال وأحداث . فرجع فوراً بأهله واستقر بهم في زوارة .

وصل بأهله طرابلس والفتن الداخلية تتأجج في سائر البلاد فبذل جهوداً جبارة هنالك لاطفاء الفتن واصلاح الحالة ، ولكن لتغلغل الدسائس الاستعمارية الايطالية تغلبت عليه الاضطرابات - هذه المرة - بل لحقته اذايات متنوعة بما اضطره للدفاع عن نفسه عندما تمجهم عليه الشيخ القيزاني في جريدته « اللواء الطرابلسية » فتنازل رحمه الله وكتب بقلمه فصلاً محكماً نشره في جريدة « الرقيب الطرابلسية » في ذي القعدة سنة ١٣٣٩ - ١٩٢٠ ، كما كتبنا نحن اذ ذاك فصلاً دفاعاً عن سماعته نشرناه في جريدة « المنير » التونسية .

ومن فصله المسمى اليه يستشف الاخ الباحث مدى تلك الاضطرابات الواقعة في ذلك الوقت في سنة ١٩٢٠ - ١٩٢١ (١)

صفحة من جهاد طرابلس الغرب

إثر ما تقدم وقبل ما يأتي نسجل هنا -- بكل غبطة وسرور -- صفحة من جهاد طرابلس الغرب .

وهي تتضمن حديثا للباروني باشا مع الاستاذ عمر الطيبي الشامي مراسل صحف سوريا . وقد نشره في صحف سوريا والعراق مثل العقاب والف باه وفتى العرب .

ويكشف هذا الحديث النفيس عن كثير من غوامض واسرار حول شخصية الباروني باشا واطوار جهاده هو وابطال طرابلس الغرب ومواقف الدولة العثمانية ازاءهم وغير ذلك مما عالجنا بعضه فيما مر او يأتي .
قال الاستاذ الطيبي بعد تمهيد ما نصه :

« . . . قبل البدء بالحديث نعرف الاستاذ الباروني للقراء ، ثم ندون صفحة الجهاد في طرابلس الغرب .

« الشيخ سليمان باشا الباروني نال المشيخة ورائة عن اسلافه كبار علماء وزعماء الاباضية في الجبل الغربي المعروف في التاريخ بجبل نفوسة من اعمال طرابلس الغرب وتلقى مباديء العلوم على والده المرحوم ، ثم درس في الجامع الاعظم بتونس عام ١٣٠٥ هـ ثم بالجامع الازهر فبميزاب بالجزائر ، بهمهم وافر من الادب واخذ اثناء الدراسة يهتم بشئون بلاده ويتألم من مطامع الاجانب فيها كما يدل عليه نظمه في ديوانه سيما لما وقع الخلاف بين الحكومة العثمانية والحكومة الفرنسية على الحدود بين تونس وطرابلس ، وكانت فرانساحتل

الاراضى الطرابلسية باسم القبائل التونسية والحكومة ساكنة والاهاالي يتظلمون فكان الأستاذ يتلقى كتباً من اصدقائه فيها هذه الحوادث ، حتى قال بعضهم في رسالة له ما نصه :

« واما الدولة العثمانية فكسراب بقيمة يحسبه الظمئان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً »

ولما عاد الباروني الى طرابلس فتشت الحكومة ثيابه وصناديقه تفتيشاً دقيقاً وعثرت على هذا الكتاب وعلى اوراق كان يتعلم فيها الخط وترتيب الكلمات وفيها اسماء بعض سلاطين ال عثمان ومنها اسم السلطان « سليمان خان القانوني » فاتهمته الحكومة من اجل ذلك ومن اجل رسالة كان بصدد تأليفها في بيان المذهب الاباضى ، مع كثرة تنقله بين مصر وتونس والجزائر وحصول بعض احتمالات لاستقباله بأنه يعمل انفصل طرابلس عن الدولة العثمانية وتأسيس إمامة جديدة اباضية لان الاباضيين على زعم الجواسيس الذين انشعروا بهذه التهمة لا يعترفون بالخلافة العثمانية ويوجبون الخروج عليها .

حكم على الأستاذ الباروني بالحبس المؤبد ومنع من الاختلاط ، فدفع هرج ومرج في لواء الجبل ومركز الولاية لمكانة والده الشهير واعتقاد العقلاء براءته من هذه التهمة فهاذرت الحكومة مغبة الامر فاطلقت سراحه بكفالة جماعة من وجوه المدينة وزوارة والجبل وبكفالة والده وحلف على المصحف في مجلس ادارة الجبل على الاخلاص للدولة والسلطان .

ودارت بعد ذلك المخاطبة بين الحكومة المحلية والباب العالي فصدر الامر بعدم براءته وبمزل اعضاء محكمة طرابلس التي اطلقت سبيله بكفالة مع حرمانهم طول حياتهم من الاستخدام وطلبت اعادته الى طرابلس للعحاكمة . وكان اذ ذاك في مركز فساطو بالجبل . والقائمقام محمد بك الاسير البيروني فصاحبه بنفسه

حسب أمر الوالي مع قوة من العسكر والدرك والمشائخ وكادت تكون فتنة اذ استعدت بوجهه القبائل لاعلان العصيان ومنع وصوله الى المدينة .
ولكنه نصح القبائل فسكنت . ولما وصل المدينة على تلك الصورة اضطربت ، وفي الحال ابلغ اليه الحكم بالحبس خمس سنين (قلعة بنسد) على ان يقضيها في جزيرة (رودس) او في وازن فاضطرب الجبل وامتد الاضطراب الى بعض النواحي فطلب النائب العام ابقاءه في طرابلس ريثما يسكن الاضطراب .
فبقى في السجن المخصص بالمنفيين من الترك وفي مركز الشرطة سنة ، ثم أخرج بكفالة على ان يبقى تحت نظارة الشرطة ولا يتجاوز سور المدينة سنة اخرى .

انتباه عبد الحميد لاغراض ايطاليا

ثم طلب عبد الحميد وفدا من اعيان ولاية طرابلس الغرب لمفاوضتهم فيما يتعلق بالاصلاحيات والجنديـة وغيرها استعدادا للطواريـه وكان الوفد مؤلفا من عشرة اعضاء مختارين من المدينة ومراكـز الولاية يرأسهم حسن باشا القرمانلي رئيس بلدية الولاية فطلب الوفد العفو عن الزعيم الباروني فصدرت ارادة السلطان بالعفو عنه فعاد الى الجبل الى ابن عين المشير رجب باشا واليا وقائداً لطرابلس ، وكان محباً للباروني مدافعا عنه في قضيته فكلف بارساله الى الاستانة فعرفه سراً بوجوب مغادرته طرابلس الى تونس او مصر قبل ان يتكرر طلبه فخرج الى مصر وأسس مطبعة وجريدة اسمها : « الاسد الاسلامي » اصدرها اعداداً ثم عطاها لـما منع دخولها الى الولايات العثمانية والى تونس والجزائر واشتغل بطبع الكتب النافعة فطبع ديوانه والجزء الثاني من تأليفه في تاريخ « أئمة الاباضية » وغيرها . وبعد اعلان الدستور العثماني انتخب نائبا عن الجبل ودعي برقيا فذهب الى الاستانة .

التدابير اللازمة لحماية طرابلس

وقبل هجوم إيطاليا على طرابلس بمدة رفع تقريراً بصورة سرية الى الحكومة عن مطامع إيطاليا في طرابلس قال فيه :

« لابد من حمايتها بتسليح الاعلين وجملهم حراساً عليها وتمرنهم على استعمال السلاح ونقل المهمات الى مواقع بعيدة عن الساحل .

الطليان يحتلون طرابلس دون حرب الاستانة تأمر بعدم اطلاق النار عليهم

جهاد الطرابلسيين - اضطرابهم من الطليان

سافر الباروني الى طرابلس الغرب فوجد السوالي في اضطراب وكذلك الاهالي ، وذلك من مضايقة الطليان لهم وتعت قنصلهم وعدم اهتمام حكومة الاستانة بتقارير السوالي المتضمنة بيان مقاصد إيطاليا . وقد سر السوالي من مقترحات الباروني ، وقال هذه رغبتى وزاد انه راض بأن يتخلى عن منصب الولاية ويبقى قائداً للجيش ليشغلا معا في تنفيذ هذه المقترحات على ان تعهد الحكومة لغيره بمنصب الولاية ليسانر الطليان بسياسته فرجع الباروني الى الاستانة فرأى رأي الحكومة قد تغير لأسباب ربما يكون بعضها اتهامه بالسمي انفصل طرابلس عن الدولة كما مر . وفي طلبه نقل الذخائر من مركز الولاية الى العزيزية وغريان والجبل شديدة .

ولما ألح في تنفيذ خطته فصيح له طلعت باشا ان يعود الى طرابلس ويضع بالاتفاق مع السوالي تقريراً مشتركاً . فعاد ومعه في الباخرة عائلة صديقه السوالي . لكن الباخرة لم تسكد ترسو في طرابلس حتى علم انه لم يغادر الاستانة

حتى طيرت برقية بعزل الوالي وامره بالسفر على تلك الباخرة ! فسافر الوالي من يومه مع عائلته بعد ان نصح الباروني بأن يقيم في الجبل ، لان الوالي متشائم من مستقبل البلاد .

الطيان يهجمون على طرابلس ويحتلونها

ولم تمض مدة قليلة حتى هجم الطيان على البلاد واحتلوا مدينة طرابلس الغرب دون حرب فالتجأ وكيل القائد اميرالاي نشأت بك مع قليل من الجند النظامي بما امكنه نقله في الليل من المدافع والذخيرة والمؤونة الى قصر العزيزية الذي يبعد عن المدينة نحو ثمان ساعات الى جبل غريان، وأسرع اليه الباروني في نحو سبعين فارسا كلهم رؤساء واعيان لواء الجبل فوجده في يأس وحزن .

الاستانة تأمر بعدم اطلاق النار

وقد تلقى نشأت بك امراً من الاستانة بعدم اطلاق رصاصة واحدة في وجه الطيان وان ينتظر قرار مجلس الامة !

الاهلون يطالبون الحرب ثم يعلنون !

فألح الباروني ومن معه من الاعيان بطلب اعلان الحرب من تركيا محافظة على شرف الدولة والبلاد وعلى شرف القائد العسكري : وبعد محاورات ومعارضة من بعض الضباط تقرر ان يعلن الاهالي الحرب حتى اذا صدقوا وثبتوا واتحدوا سعى نشأت بك في الحصول على موافقة الدولة على اعلان الحرب .

مجلس النواب العثماني يقرر الحرب حكومة السلطان تسلم طرابلس للطلّيان

الحكومة الوطنية الطرابلسية

بعد وقعة « الهاني » رغب نشأت بك الى الاستاذ الباروني ان يبرق الى مجلس النواب العثماني عن طريق تونس ، منشطاً الحزب المطالب باعلان الحرب فأبرق بصمته عضوا في المجلس وقائداً لمجاهدي الجبل في موقعة الهاني ، وكان الجدال بالغاً اشده في المجلس والوزارة العثمانية . واكثرية مجلس النواب يرون التسليم لايطاليا دون حرب بدعوى ان الطرابلسيين لا يحاربون وانهم يحبسون الطليان ، وان الدولة العثمانية في حالة مجز الى ، اخر ما هنالك من اقاويل .
ولما تليت برقية الباروني اشتد الهياج وتغلب الحزب المطالب بالحرب فتقرر إعلانها وبوشر بارسال المدد والضباط عن طريق مرسيليا وتونس .

العثمانيون يحاربون سنتين

امتدت الحرب الطرابلسية نحو سنتين (١٩١١ و ١٩١٢) وهي تجري باسم الحكومة العثمانية تحت قيادة نشأت باشا الذي عين والياً وقائداً لطرابلس . وكان رئيس اركان حرب علي فتحي بك المشهور بين رجال تركيا الجمهورية .

الحكومة تسلم

والاهلون مجاهدون ويستعملون

ولما نشبت الثورة في البلقان اضطرت الحكومة للتسليم ، فاتفق القسم الاكبر من اهالي ولاية طرابلس على المشاركة على الجهاد ، وكلف رؤساء المجاهدين الباروني ان يعلن استقلال طرابلس ففعل .

الحكومة الوطنية

وقد شكل في طرابلس حكومة وطنية استمرت في حربها وجهادها الى ان غلبتها القوة والتجأ رجالها الى اراضي تونس في اول عام ١٩١٣ ، فالتحق الباروني بالاستانة فعين عضواً في مجلس الاعيان تقديراً لخدمته اذ لا سبيل الى انتخابه مبعوثاً بعد انفصال بلاده عنها عن الدولة ، ومنح رتبة باشا في الحرب العامة .

الراية الوطنية الطرابلسية

واطمني الباروني باشا على وثائق وصور عديدة للوقائع ، ومنها صورة الراية التي اتخذتها الحكومة الوطنية في طرابلس شعاراً لها . وهي قطعة خضراء وفي اعلاها « وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها » وفي اسفلها « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم » والى جانبها من جهة السارية قطعة حمراء اكبر منها وفي منتصفها دائرة زرقاء وفي هذه الدائرة قطعة برتقالية اللون رسمت عليها خريطة شمالي افريقيا الى جانبها اسم « طرابلس »

تركيها تستأنف الحرب

ولما أعلنت الحكومة العثمانية النفي العام في اول الحرب العظمى دعا انور باشا الزعيم الباروني وكان على صلة معه سرّاً فطلب منه ان لا ينسى بقية المجاهدين في صحراء طرابلس وبني غازي ، وأن يقدم بالاعانات وطلب اليه السفر الى طرابلس على اواخر باخرة تغادر الدردانيل فسافر الى الاسكندرية ونزل فيها ومعه ضباطه والعاية من سفره اعاده الحرب سيرتها الاولى على ان يمر بالسيد احمد السنوسي في جهة بني غازي ويتذاكر معه في اعاده الحرب في بني غازي وطرابلس واعلان الجهاد العام في ان واحد وتوحيد خطة العمل . وقد كانت حكومات مصر وفرنسا وانكلترا وإيطاليا علمت بسفره من

الاستانة الى جهة مجهولة فتمتعت به ، ولكنه وصل الى السلوم رأسا ولم يتمكن من الاتفاق مع السيد السنوسي على الخطة المطلوبة فبقي في مركز السلوم العثماني مع السيد احمد حسب أمر الحكومة الى ان هوجم مركز السلوم المصري وفي ليلة الهجوم وصلت غواصة المانية موضوعة تحت امر الحكومة العثمانية فعادت به الى الاستانة ، بعد ان كتب الى بعض اصدقائه من رؤساء طرابلس يخبرهم بعدم تمكنه من الوصول اليهم وانه عاد الى الاستانة وسيعود اليهم بعد شهرين ، ولما وصل الاستانة قررت الحكومة ان يسافر الى طرابلس رأسا .

وبما ان الحالة في طرابلس مجهولة وأخبارها منقطعة مكتومة اقترح ان يذهب أخوه الشيخ يحيى على غواصة يسير غور الموقف ، فقبل اقتراحه وتوجه أخوه على متن غواصة الى ساحل مصرطة وتوغل في البر ماشيا الى ان لاقى من أخبره بحقيقة وضع البلاد .

مصرطة وفزان والجميل بيد الوطنيين

الحرب والصلح بين القبائل - حصار طرابلس - الغواصات تأتي بالذخائر وكانت مصرطة بيد الوطنيين وقد استخلصها من الظليان المجاهدين رمضان بك السويحي ، والجميل ثار فيه خليفة بك ابن عسكر ، ولواء فزان ثار فيه الشيخ المهدي السني واجليا الظليان عن الموقعين المذكورين .

الحرب بين القبائل

غير انه بالنظر لتراحم بعض الرؤساء على السيادة اشتملت الحرب بين بعض القبائل فأوقف ذلك تقدم المجاهدين وكلهم ينتظرون مجيء الزعيم الباروني كما وعد حين مغادرته السلوم ، فقابل الشيخ يحيى الباروني زعماء المجاهدين وعرفهم بنفسه ، وما انتشر خبر وصوله حتى جاءت الوفود من جميع اطراف الولاية وهم

بين مصدق ومكذب فدفع اليهم كتب اخيه فكتبوا اليه اجوبتها وسلموه مضابط يطلبون فيها سرعة التحاق بهم وعادت الوفود ناشرة البشائر وعاد الشيخ يحبي على الفواصة الى الاستانة .

اللواء الكبير وأسارى الطليان

وحمل معه في عودته اللواء الكبير الذي غنمه رمضان بك السويحلي مع جيش عظيم من اسارى الطليان لما ثار في مصراته واستخلصها فقدم أنور باشا اللواء في محفل يوم الجمعة الى السلطان « محمد رشاد »
وصدر الامر للباروني بالاتحاق بطرابلس فلبى الطلب مسروراً ولم يمض يومان حتى كان كل ما طلبه من مهات وضباط وغير ذلك حاضراً .

الباروني والى وقائد

وعند ذهابه للوداع سلم الفرمان السلطاني بولاية وقيادة طرابلس الغرب وملحقاتها مع صلاحية واسعة ووعد بمواصلة المدد فاستصحب معه اخاه الشيخ يحبي وعادت بهما الفواصة الى مصراته فكان يوم وصوله يوماً مشهوداً القيت فيه الخطب والقصائد وأقيمت الحفلات والمهرجانات . وقد نشرت ذلك جريدة « العدل » التي تصدر في الاستانة .

الصلح بين القبائل

وفي الحال دعا رؤساء القبائل المتجاربة واكبرها قبيلتا مصرطة وثرهونة الى الصلح فاجابنا وتوقف الحرب بين القبائل وسكنت مدافعها التي غزمتها من الطليان والتي استعملتها ضد بعضها .

استئنفان الجهاد

ووصل نحو ٢٥٠ فارسا من اعيان الجهات غير المتحاربة فتقدم بهم الى ميدان المتحاربين فعلت الاصوات من كل رابية ومكن بـ « الله اكبر »
والقت القبائل التي تحارب بعضها سلاحها ، وتم الصلح بنسيان من قتل من الرجال ، وما تلف من الاموال والتساح بكل ما مضى واصبح الجميع اخوانا .
فنظم امور الحكومة ورتب بمعرفة الضباط مناطق الحرب وخصص مرتبات المجاهدين وتوجه بنفسه مع قسم من المجاهدين في الليل الى جهة زوارة ورمى المدينة بخمس قنابل كانت ايذانا باستئنفان الحرب وكان يدير المدفع بنفسه واشتعلت الحرب من حدود بني غازي الى حدود تونس .

حصار الطليان

فأحصر الطليان في ثلاثة مراكز فقط على ساحل البحر في مدينة طرابلس ومدينة الخمس - لبدّة - ومدينة زوارة .

وقد اطلعني الاستاذ علي مناشير كانت ترميها الطيارات الإيطالية على المجاهدين والقرويين تهدم فيها اذا قبلوا الباروني بالدمار وتقول :
« انه كما غرّم في الحرب الاولى سنة ١٩١١ - ١٩١٣ ، وفر يغركم الآن ويهرب ... » الخ

الغواصات تواصل طرابلس بالذخائر

وبقيت الغواصات تتردد على سواحل طرابلس وتنزل ما يلزمها من المهمات الحربية والنقود في مركز مصراته وانتظمت الامور والتحق بطرابلس نوري باشا الذي عينته الحكومة وهو في جهة بنغازي فائدا عاما لقوات افريقيا بعد عقد الصلح بين الطليان والسيد ادريس السنوسي .

ءآخر أيام العثمانين فى طرابلس حكومة طرابلس الجمهورية واعتراف الايطاليين بها

الطليان ينقضون العهد

أتى نورى باشا بتنظيمات عسكرية ، وأسس فى مصرطة على انقراض معامل
الطليان معملا للحديد وتصليح السلاح .

ثم نقل نورى باشا الى الاستانة وجاء طرابلس الامير عثمان فؤاد من
العائلة السلطانية ونجل السلطان مراد معينا نائبا للملك ، وبقي فى الولاية الى
ان سقطت الاستانة بيد الحناء فتلقى امراً من السلطان وحيد الدين بتسليم
نفسه للقوة الايطالية ففعل هو وبقيه الضباط الاتراك !

حكومة طرابلس الجمهورية الوطنية

اما البارونى فقرر البقاء فى طرابلس لمواصلة الجهاد مع مواطنيه كالمرة الاولى
سنة ١٩١٣ ، فاتفق مع الرؤساء على تشكيل حكومة جمهورية يديرها مجلس
قوامه ٣ اعضاء وهم : البارونى - احمد بك المريض - رمضان بك السويحلي ،
وهذان فى مصر الآن - وعبد النبي بلخير (وقد توفاه الله اخيراً فى صحراء
الجزائر) وابلغوا ذلك الطليان واستمرت الحرب دون أدنى تبدل مع اتفاق
القبائل كلها .

وأدار الحرب البارونى والضباط وكان المجلس يجتمع عند الحاجة واستمرت
الحرب عدة اشهر والطليان محصورون ، ولم تنقصهم من حصارهم شيئاً الامدادات
التي ارسلتها حكومة روما الى طرابلس .

حكومة الطليان

تفاوض الجمهورية الطرابلسية

ولما ألحّت حكومة اميركا في حل قضايا الشرق وفق بنود ولسون الاربعة عشر اضطر الطليان للمفاوضة الجمهورية في الصلح ودامت المفاوضة مدة وانقطعت صرات وجرب الطليان في اثناؤها ان يتقدموا بتقواتهم فلم يفلحوا .

استقلال البلاد الداخلي

واخيراً تم الاتفاق على منح البلاد استقلالاً داخلياً بموجب دستور تم الاتفاق عليه بين الحكومة الجمهورية الوطنية وبين الساطة الإيطالية اسمه : « القانون الاساسي لحكومة طرابلس الغرب » وهو يشتمل على نحو ٤٠ مادة ، منها : ان يكون للحكومة مجلس مؤلف من ثمانية اعضاء وطنيين يرأسهم حاكم عام بيده القوة المسكية والعسكرية يعينه ملك إيطاليا ، ولم يعين القانون جنسية الحاكم ، وان يكون الحكم نيابياً فينتخب الاهالي نواباً كالعادة لمجلس النواب الطرابلسيين ليسنوا القوانين .

والمجلس هو الذي ينتخب اعضاء الحكومة الثمانية عند انقضاء مدة الاعضاء الاولين ، ويكون للوطني حق تولي المناصب العدلية كلها بشرط الكفاءة . وغير ذلك ، وقد صدق هذا القانون مجلسا النواب والاعيان الايطاليان وملك إيطاليا وطبع .

واطلعني الاستاذ على رسم مخيم الاجتماع الذي دارت فيه المفاوضة وعلى مسودة القانون الاولى التي عليها توقيعهم وتوقيع الجنرال « تارديتي » رئيس الهيئة الإيطالية في مقابله ، ثم توقيع احمد بك المريض ورمضان بك السويحي والصويحي بك والهادي بك ، وامامها توقيع رفاق الجنرال .

مجلس الثمانية يجتمع

وعلى هذا أعلن ختام الحرب وانتخب مجلس الثمانية الاول . وكان قوامه السادة : احمد الفساطوى ومحمد بك بن الفقيه حسن من طرابلس ومختار بك كعبار من غريان والشيخ علي الشنطة ومحمد فكيني بك من الجبل واحمد السويحلي بك وعمر بك بودبوس من مصراته وباشروا تنظيم قانون الانتخاب وخصص للمجلس النيابي قصر كان (قرأت خاله للعساكر الشاهانية)

وكتب على واجهته « مجلس المبعوثان » لحكومة طرابلس ، فتدخل حينئذ الباروني باشا عن العمل متمسكا بتابعيته التركية رغما عن رغبة مواطنيه ورجال إيطاليا في بقاءه واشتراكه في خدمة البلاد بتطبيق هذا القانون ، وسافر الى استانبول على طريق إيطاليا .

وقد اطلعني على رسوم تمثله وهو في غرفة وزير المستعمرات وفي عدة مواقع وعلى جملة مقالات في صحف إيطاليا تصفه بالنزاهة والاقتدار على ادارة الحرب والثبات والاخلاص لوطنه وغير ذلك ، كما اطلعني على كتاب من حكومة إيطاليا تطلب منه إبقاءه في طرابلس !

وكان الصلح والقانون الاساسي لطرابلس وحدها ، ولكن إيطاليا انتخبت بعض المواد ونفذتها في بني غازي .
وافتتحت مجلس نوابها ولم تطل مدته فاغلاقته والفت القانون الاساسي في طرابلس وقتلته في مهده .

واعترت ذلك الصلح ماسا بكرامة جندها الظافر في الحرب العامة ، وسنت للبلاد قانونا استعماريًا بحثا وعليه العمل الآن .

وقد احتج الباروني وهو في مملكة عمان على ذلك وكتب الى السنيور موسوليني كتابا مطولا نشرته في حينه بعض الصحف .

ولما وصل الاستانة والحركة الوطنية قائمة في الاناضول قدم عدة احتجاجات لممثلي دول الحلفاء على احتلال دار الخلافة الاسلامية احدثت ضجة في الاستانة اذ تسابقت الصحف الى نشرها والتعليق عليها وكانت مراقبة الحلفاء على المطبوعات شديدة ، وحاولوا منع نشرها ولكنها نشرت مختصرة .

ولما رأى ما حصل من تغير الافكار على العرب ادرك انه لا تطيب له الإقامة في الاستانة فوصل الى انقرة وتوسل بالحكومة ان تسهل له السفر الى احد الاقطار العربية ك مصر او سوريا او تونس فلم تفعل اذ كانت مشغولة بامورها فاضطر الى الذهاب الى باريس على طريق رومانيا وبقي هناك لا يؤذف له في الخروج منها .

وقد طرق ابواب جميع قناصل الدول للحصول على الاذن في دخول مصر او تونس او العراق ففنع .

واخيراً كتب الى جلالة الملك حسين في تسهيل الطريق له الى مكة لأجل الحج ، وارسل اليه مع الكتاب جريدة فيها مقالته التي نشرها ضد المعاهدة الانكليزية الحسينية ليكون على علم فقرأها وقال :

« ان الباروني ما كتب الا عن حسن نية ونصيحة »

وفي الحال امر بأجراء اللازم ، فوصل الباروني مكة المكرمة بعد ان مر بالموانئ المصرية ومنع من النزول فيها .

ورحب به جلالة الملك اجل ترحيب وقلده نيشان الاستقلال العربي ، وبعد اداء فريضة الحج وحضور المؤتمر الاسلامي سافر على باخرة تقصد مسقط رأسا بحجاج عمان والخليج فتلقته حكومة عظمة السلطان ^{سعيد} تيمور سلطان مسقط بالاجلال وأنزلته ضيفا مبجلا على عظمته حسب امره التلغرافي السذي أرسله وهو في الهند لتبديل الهواء .

ولما رجع بالغ في اكرام ضيفه البارونى صديقه الحميم وصديق والده .
وقلده نيشان الشرف السعدي في احتفال .

ثم اصيب بحمى الملاريا واعتنى عظمة السلطان بمداواته بواسطة طبيبه .
ثم لما اراد السفر لتبديل الهواء في كراتشي او بمباي أبلغه القنصل البريطانى
بمسقط بأن لا يؤشر له على جواز سفره اذا اراد السفر الى احدى البلاد
المشمولة بالحكم البريطانى مطلقا . فكتب الى جلالة الملك فيصل فأمر بالسماح
له فى دخول العراق ، فهو لا يستطيع التنقل الآن الا بين العراق ومسقط . . .
عمر الطيبي



صورة له نادرة وهو في حالة تأمل وتفكير مع أحد ضباطه الاتراك

للحقيقة والتاريخ

أجوبة صادقة عن أسئلة مهمة

ارتأينا ان شبهها عديدة قد تختلج في صدر الاخ الباحث حول الموضوع الذي عالجناه في هذا الطور الثالث من اطوار جهاد الباروني باشا ، فخرنا فيها قائمة من الاسئلة الى « زعيمة » البارغة بذت الزعيم الباشا عساها ان تزيل عن قلب الباحث تلك الشبهات بما لها من واسع الاطلاع والصدق والنزاهة ، فجاءت أجوبتها تحت العنوان اعلاه كما يأتي ، وهذا نصها :

السؤال الاول — هل صحيح أن مهمة الباروني باشا رحمه الله قد انتهت بانتهاء الصلح مع ايطاليا وبامضاءها للقانون الاساسي ؟

الجواب — كل من يدعي هذا يعد جاهلا او متجاهلا للحقيقة الباروني السامية — والله الحمد — غير دارس لجواهر البطولة والنداء في ميادين الجهاد في سبيل الدين والوطن والكرامة ، او مستكثر على الباروني ذلك الخلق العالي والعزيمة التي لا تقل .

ويكفي شاهداً على ذلك — العهد الذي قطعه على مسمع الجميع وبصرهم بأن لا يخلق شعر رأسه ما لم يظهر الوطن العزيز من « بني الايطاليات » فبر بعهده على اوفى وجه ولم تمسه يد حلاق من يوم اعلن احتلال ايطاليا لطرابلس . فكم تأذى من ذلك الشعر ؟ وضميرته المخفية تحت قبضه ، وكم اوقف بتهمة التجسس وفتش حتى في استامبول على أنه راهب متعصب يدير دسياسة ما .

ولسكنه لم يتراجع ولا خطر في باله ان يقدم او يترك اى فرصة او سانحة او ما اشبهه السانحة تمر به بدون ان يعمل في سبيل الغاية المقدسة ، الا وهي تخليص الوطن العزيز من المعتدين ا

لو كان الباروني مؤظفا اجنبيا بعقد او مدة محدودة لصدقنا مثل هذه
الظنون او حتى كان تركيا من العثمانيين يجب انسحابه بانسحاب دولته
وحكومته لقلنا بانتهاه مهمته بمجرد انتهاء الصلح وامضاء القانون الاساسي .
ولكن الباروني قبل كل شيء ليبي من صميم الوطن ومن اسرة علمية
سكنت ليبيا منذ الف عام ، وفوق ذلك من اوائل المجاهدين الباذلين النفس
والنفس في سبيل حرية هذا الوطن وشرف الشعب الليبي .
انه رحمه الله اول ليبي صذف :

« الله أكبر الجهاد في سبيل الله »

وعاهد النفس بعد الله سبحانه وتعالى ومواطنيه على ان يذود عن هذا الحق
والشرف في كل ميدان تفسدحه الاقدار امامه .

حياته منذ الاحتلال الايطالي ليوم توديعه هذا العالم الفاني بعيدا عن وطنه
والاهل والاجاب أكبر شاهد على صدق هجرته في سبيل الحق وصفاء نواياه
واخلاصه حسب مبادئه وآفاقه وراء تلك الغاية المقدسة الا وهي : « نجاة
الوطن من شر الاستعباد ، ونهوضه حراً مستقلاً موفوراً الكرامة »

هذا رغم ما صادفه من عراقيل وما أصابته من مصائب وصلت به وبأهله
من فواجع مادية وصحية لا يعلمها الا الله ، فضى في طريقه مجاهدا بهمة مشرفة
لكل بطل فداي الى النهاية دون توقف غير واسف على شيء مما خسر فكتب
الله له الوفاة وهو على نية الالتحاق بمن فسكروا في انقاذ الوطن معلنا عزمه
على المعالجة مما كان انتابه من شدة الآلام ، لما يسمعه من الجور والاستبداد
المحلل لمعنوية مواطنيه الاعزاء .

اذا فهمه الباروني الفداي كانت مدى الحياة ولكنها كانت منتهية بل
مطلوب انتهائها من شتى الجهات .

فعملت الاغراض الشخصية دعاياتها السرية داخل البلاد وخارجها دون ان يكون في ذلك لغير العدو المعتدي والمستعمر العشوم فائدة او ربح ، حتى طمست مواقف الباروني المجيدة ، ولا اظنهم قد دروا حقيقة النتائج لتلك الدعايات التي جرفت حقائق الجهاد الليبي في سبيل الخربة والكرامة حيناً من الدهر .

الثاني — ما هو السبب الداعي لعدول الباروني باشا عن المشاركة في العضوية بالجمهورية الطرابلسية الجديدة بعد الحاح الرؤساء الوطنيين عليه ، وقد كان الساعي لتحقيقها بكل ما يملك من قوة ومال ؟

الجواب — كل من يصدق بنزاهة الباروني وتعاليه عن مرا كز الحكم والفاائدة الشخصية يصدق من اعماقه زهد الباروني في الاهتمام بما يقربه لكراسي الرئاسة او السلاطة المطلقة ، فكل من سمعه يتكلم او قرأ له كتابة يلاحظ انه ينسي نفسه واولاده و يقطع خطوط الرجعة على نفسه في كل ميدان ما دام ذلك يفسح له المجال للعمل ولو قولاً في سبيل واجبه المقدس ، فكان يفكر في كل شيء و يقدر العواقب لكل واحد الا لنفسه واولاده الى النهاية ومن الدلائل على هذا عندما أعلنت الهدنة بين تركيا والدول الاوروبية المتحالفة عليها ورفعت تركيا يدها عن طرابلس الغرب امام الامر الواقع كانت الحكومة التركية الأمير العثماني « عثمان فؤاد » فائدها العنام في افريقيا ان يعمل على تشكيل حكومة وطنية تمتطع المحافظة على شرف البلاد وتعمل لتحقيق ما امسكن من الشروط والمطالب الخفة فعرض الامر على الباروني قبل كل واحد — او هكذا قيل له — لعدم انجيازه في الحقيقة لجانب ما من جوانب الوطن . فاعتذر الباروني دون ان يشك في صدق الامير ، وكان هذا الاعتذار صادراً عن اشرف المقاصد واخلص التمنيات ، وأهم هذه المقاصد :

١) علمه بمواقف حكومة استامبول واضطرارها للتسليم بصورة اشبه

بالانسلاخ من لقب الامبراطورية وتراجعها لما تبقى لديها من اسباب حكومة
ستعمل طبعا على حماية استقلالها دون ان يعلم ما يدبر للخلافة الاسلامية التي
يعد الباروني من انصارها لا لتكسون موقوفة للعثمانيين ولكن لتستمر معقلا
للاسلام وسنداً له مدى العصور !!

(٢) وهنا ايضا نراه في مفترق الطرق : رئاسة جمهورية وطنية لم يسع لها
لنفسه قط . الوفاء للحكومة التي غلبت على امرها في اخر الامر وهي تركيا
أمر البيعة الشرعية للخليفة والثبات على قوانينها .

والمقصد الاخير كان أخطر المقصدين على ما يظهر نظراً لوفاء الباروني
للمرابطة الاسلامية واخلاصه لمركز الخلافة مهما كان جنسه او محله من ارض
الله ، وفوق هذا كله كان يفهم مجاري الامور اكثر من غيره ويقدر نتائجها
وقد سير غور الجميع واطلمته التجارب على ما تضرره الصدور في تلك الظروف
القاسية بالنسبة لكل مغلوب من الشرقيين خصوصا .

اذا كان الباروني الامين بين تيارات جارفة لا يعلم عتباها بالضبط الا الله ،
فكيف يرضي ربه ويربح ضميره وينفع مواطنيه ؟

انه في موقف لم يكتب لأي زعيم من زعماء ليبيا الكرام انه بشجاعته
وضدقه في الفداء اختار الشقاء الدنيوى وجنأ الكل بل اختار ان يضحي
بأهله ومستقبل اولاده ويسير متوكلا على الله فرفض الرئاسة العليا ليعلم
لاسنادها لأليق الزعماء بها عن طريق الانتخابات الحرة النزيفة . ولكن الامير
أفهمه جدياً بأنه لا يوافق على حكومة لا يكون هو فيها فرضي ان يكون واحداً
من الاربعة الذين وقع الاختيار عليهم في شبه اجماع فتشككت الجمهورية المشوذة
لتحمل العبء العظيم والمسئولية الجسيمة نظراً للظروف العالمية اذ ذاك .

وهنا يجب على كل منصف دارس لسياسة الغالب مع المغلوب والمعتدي على

صاحب الحق ان يتذكر — زعم الدول المتحالفة على اضعاف الشرق والامة الاسلامية ومن بينها الشعوب العربية وان لا ينسى مراجعة ادوار الجهاد الليبي حتى يفهم كيف نشأت التفرقة بين تلك الصفوف المؤمنة بالواجب ؟ وكيف مذيت جميع مقاصدها الذبيلة بالفشل ؟ كيف خارت قواها ودخلت البغضاء صفوفها ؟ كيف ولأني مدى أصابت الدسائس مواطن الضعف وأصبح كل جهد ومحصول في خسر كان .

ذهب خط الجهاد ، ذهبت الجمهورية ، ذهب القانون الاساسي الذي بذل الباروني وجميع المخلصين لحقهم المشروع غاية جهدهم فانعكست الآية لان العدو كان بالمرصاد فصدر امر ملكي يفسخ كل ما منح للطرابلسيين من حقوق ويضع الزعماء في موقف العداء لبعضهم دون ان يعلم أي واحد منهم — اذ ذاك — السبب الحقيقي ولا النهاية المحزنة للجميع !

الثالث — وهل يعد استمساكه بعثمانية وعضوية مجلس الاعيان العثماني مبررا لذلك ؟

الجواب — كان له المبرر الصادق لو كان هذا السبب واضحا ، ولكن تعلقه بالوفاء والذبات على بيعة خليفة المسلمين اقربهم الى الواقع ، ولا اظن انه اهتم بالوظيفة قليلا او كثيرا او حسب للجانب المادي لنفسه ومستقبل اولاده حسابا يذكر لان طريقة دفاعه الشامل لسكل ما ينتمي الى مبداه بالاساليب الصريحة بل النارية التي لا يحفظها يراع اي كاتب لم يعد نفسه من المحكوم عليهم عند السكل — يعد ذلك — أكبر شاهد على آلامه العميقة ونباته على نصرة الحق المبين والحقيقة كما قيل : « دراسة التاريخ أسهل بكثير من صنع التاريخ نفسه » وعلى كثرة اهتمام الباروني بما يحفظ تاريخ جهاد طرابلس الغرب وحرصه على جمع كل ما يشهد بحقيقته مهما تفتت قيمته عند غيره فانه اهمل نفسه فتساهل

الزمن في حقوقها حتى عجز في حياته وعجزنا نحن اليوم عن إبراز ذلك التاريخ المجيد ، فبينما كان الناس يكسبون من وراء تلك الذكريات كان الباروني يعطى من دمه في سبيل تصحيح ذا وذاك وإثبات تلك الصفحات الخالدة .
ففي ذمة الله ما قاسى في هذا الباب وما تجرع من غصص أذابت صحته وأسلمته للنفاء العاجل .

الرابع — لو كان في ضمن الجمهورية الطرابلسية فهل يجرؤ السيد الحاج محمد فكيني من بعد فيستخدم نفوذه فيها لتجزية ما بين اقسام الجبل مما جر عواقب وخيمة على الوطن ؟

الجواب — أقول : فهل كانت الدولة المعتدية نائمة فتترك قيمة لوجوده او وجود الحاج محمد فكيني في ساحة الاخاء الوطني ؟ لانها ان تركت ذلك معناه فشلت من جديد وذهبت مساعيها ادراج الرياح !

فكل تلك الحركات والانقسامات المنسوبة ظالما للمذاهب والاسماء انما هي من دسائس المعتدين ، انها تمثيلات مؤلة قصد منها تفريق الشمل وازعاج القوة الوطنية مع اغتنام الوقت فاخذت تصطاد عصفورين بحجر بل عشرات من العصفير الى ان قضت على الجميع بالموت والتشرد وصفا لها الجو لتنظيم نظامها الجديد في بلادها ولتقول للملا ان طرابلس الغرب بل ليبيا جميعا اصبحت مستعمرة ايطالية مخصصة للملك والدوتشي !

والواقع انها كانت تسليح الطرفين وتشجيع الفريقين وتعني الجميع في الخفاء بأحقية البقاء وجدارة الانتصار فانتشر منطلق الزور والبهتان حتى ادعى الجانب النفوسي ميل الباروني لتقدير الجانب « العربي » كما يقولون منذ اوائل ولاية ابناء العرب ، والنفوسيون اذ ذاك في المناطق المحتلة .

كما ادعى الجانب العربي تعصب الباروني للجانب النفوسي وهو الذي لم

يعرف للتحيز أو التعصب معنى .

وقد نزهه المولى من تلك التهم فكان جهاده لخير الجميع وحبّه صادقاً للجميع الخامس — لو ان الباروني باشا كان بين اعضاء الجمهورية فهل يمكن ان ينفصل رجال نفوسة عن بقية اخوانهم رجال طرابلس مما جرّ بـمد الى حروب ١٩٢٠ و ١٩٢١ ؟

الجواب — فهل كان يعجز العدو في إيجاد اسباب لذلك الانقسام ؟ وقد سلح الجميع بـسلاح حب الذات والطمسوح الى كراسي الحكم الزائف تحت اقدامه المشومة ؟ والا فـأذا يضايق الحاج محمد فكيني المتعلم الكريم العنصر من مواطنه الصادق الامين الباروني ؟

فأذا كان يسر الباروني المفتخر برجال وطنه غير كثرة الزعماء المحترمين والابطال المخلصين ؟ وهو الذي لم يكن بينه وبين اي واحد منهم اي عدااء او خصومة شخصية .

ان الدسائس عملت باستمرار وفصلت بين الباروني والنفوسيين قبل ذلك التاريخ واوجدت بينهم زعماء مفروضا عليهم ان يكونوا ضد الباروني حتى في المجاملات القسومية !

اذا لا شيء كان يؤخر ذلك الانقسام ولا يمنع تلك الثورات الدامية الجارفة للحقوق المقدسة ما دامت الاقدار افسحت المجال للعدو ونصرته في سياسة التفريق اكثر مما نصرته في سياسة الحرب ! فاستأصلت الرؤوس واحداً بعد آخر قبل ان يفيقوا او يتمالكوا من التيار المبالغت او يجبدوا مجالا للتفكير فيما كان او سيكون بالقياس الصحيح حتى سقط في تلك الميادين المختلفة الاسماء الداعي الى جنب المدعي فذهبوا الى ربهم الذي هو اعلم بهم وارواحهم في حسرة مما اصاب الوطن العزيز واهله .

وفي هذا الانثناء انتصرت الحركة الفاشيستية في إيطاليا فتقدم زعماءها فانهموا كل شيء في طرابلس وليبيا على العموم وقضت على كل ومضة ثم عن الحياة اذ لم يبق في الوطن الا المقبوض عليه غصبا ، او المفروض عليه التهليل والتكبير للطاغية موسوليني وأشياعه .

السادس — ماذا منع الباروني باشا اذ ذلك ان يقف برجاله الابطال ازاء الدسائس الإيطالية لافساد الصلاح موقف رمتان بك السويحي فيثف بصعوف رجاله المجاهدين في سواني بني ، ادم متلا كما وقف السريحي برجاله الصناديد في سواني المشاشطة لمراقبة إيطاليا ازاء تنفيذ مقررات الصلاح ؟

الجواب — لو لم يكن قصد العدو من تلك التمثيلات المعروفة من كل طامع معتد كما نراها اليوم في شتى الاقطار المغلوبة ، التفرقة وبث جرائم سرطان الفتنة في السكان الطرابلسي بل الليبي عموما لسكان لكل موقف من تلك المواقف فائدة ونتيجة تسعد الجميع . وكان لأولئك الابطال الصناديد شأئهم المشرف في هتأة المنتصر المجيد . نعم لقام كل من جانبه بما يسد الفراغ ولوقفوا صفا مرصوصا لا تدخايم الوسوس ولا يحد الشك الى نفوسهم الابية سبيلا . ولكن هيهات ! كم دامت وقفة السيد السريحي ووقفات غيره وغيره ؟ وبماذا انتهت ؟ وماذا خلقت ؟

ذهب السويحي وامثاله ، وإيطاليا في موقف المتفرج الساخر وانصارها — يشيدون بقدره رجالها على نشر الطمانينة والسلام في بلد مشوش لن يقوى على نفسه بذنسه ولن يستقيم له امر بدون دولة قوية مثل إيطاليا الغنية برجالا كغناء معمرين ملئت قلوبهم محبة لاطرابلس واخلاصا .

وبهذه الدعايات أتق شرها الاخ بدم اخيه والاب بحرية ابنه حتى كادت الارض تميد بهم اسى وذلا .

هذا الشيء بالشيء. يذكر في سنة ما والدوتشي في أوج عظمته وصلنا ونحن في العراق عدد من مجلة «ليبيا» المصورة، ومن ضمن ما جاء في فصولها تمجيد للدوتشي وتهليل لفضل إيطاليا العظيمة على ليبيا وإشادة بمساعدتها للمخلصين العاملين لخير البلاد وانتشالها من وهدة التأخر والعبودية... الخ ثم جاءت بقائمة من أسماء الذين نالوا المساعدة المنظمة مع تاريخ ابتداء تلك المساعدة المنظمة ومقدارها. الخ

فبهت والذي رحمه الله، وأخذ التأثر حتى عجز عن الاستمرار في القراءة فنالوني المجلة وهو يقول: «الله عليك أسمعيني واحداً واحداً، فعلمنا موسوليني؟ وكنت أتمنى ان لا يجد لها فرصة!...

فلما كذت أسرد الاسماء كان هو يقول: أعمداً ايضاً؟ أهذا ايضاً؟ ثم جلس وأهن القوى وتهمد من اعماقه وهو يشير الي ويقول: لا تركمها في المكتب لئلا يراها احد! انها المتني وقد صدقت الآن من أخبرني بأن إيطاليا عرضت مساعدة على احدهم فاعتذر فهددته اما قبولها واما السجن بتهمة لا يبرره منها محام! فقبل المساعدة صاغراً وهو في غنى عنها مادياً. »

ثم أردف متسائلاً: وعلى فرض انهم بالغوا في حشر الاسماء فهل هناك من يصحح الخطأ؟ او ينفي شيئاً عد من اركان الشرف والعظمة؟

السابع — ترى إيطاليا — فيما قيل — انه لا نجاح لها في ايقاد الفتنة بين الوطنيين الا باستمالة خليفة بك بن عسكر اليها بأي ثمن؟ فهل صحيح ما قيل عن الباروني باشا انه كان الواسطة لدى خليفة بن عسكر في ذلك في جوان - جويلية ١٩٢٠ فكانت عاقبته ان قبض عليه في ماي ١٩٢٢ وقتل شذفاً، ثم ندم الباروني باشا اذ فطن للخديعة؟

الجواب — لم يكن الباروني ممن يعملون اعمالاً تكون من ورائها

الندامة مهما وصفه خصومه بجهل اساليب السياسة الناجحة ولا كان من المغفلين حتى يظن الخبير في عدو هو اول من وقف يحذر بني وطنه من ظلمه وعدوانه ولا يفتن لمقاصد المعتدين على وطنه الا بعد نزول المصائب بشنق ابن عسكر او غيره من ابناء وطنه الاعزاء . ويمكن الظروف المتلاحقة بعضها ببعض حرمت اولئك الاسود على اختلاف اعمارهم وطبقاتهم من ان يكونوا حلقة مفرغة في ساحة الشرف الوطني للذود عن حياضهم والقلبت الحسنات الى سيئات جرحت القلوب وفتت الاكباد ، فحبل المستعمر في ايقاد الفتنة امر مفروغ منه .

ولم يكن الامر رهينا باستمالة ابن عسكر وان كانت العيون المجردة لا ترى غير ذلك ، حتى نعد الباروني واسطة مغفلة وهو الذي كان يسعى لازالة اسباب الثورة ، اذ يمز على مثله من المجاهدين ان يرى صرح الوطنية ينهار ويحل انظر « الثورة » محل « الجهاد المقدس » فهو يعرفهم ويريد منهم دائما مجاهدين في سبيل الحق لا يريد منهم شراذم نائرة ورؤساء عصابات كما يسميهم عدوهم الشامت ، فتوسط الباروني لازاله سوء التفاهم حسب مبداه القويم النزبه من الشوائب في وطنيته واخلاصه غاية ما يستطيع اثباته اذ ذاك من خدمة بالنسبة الى دلائل الموقف .

فقد قتلت ايطاليا كل من وصلت اليه اياديها المجرمة قبل ابن عسكر وبعده فهل كان الباروني الواسطة ؟

بل لما عزمت ايطاليا على تلك الجرائم والمذابح بادرت وأبعدت الباروني عن الوطن بعد ان اطلعته على مضابط موقعة من ابناء وطنه ومنهم احبابه وحتى اقاربه زاعمين ان اولئك جميعا تقدموا يرجون من ايطاليا الرخوة ابعاده حتى تهدأ الحالة وترجع المياه الى مجاريها ، فخرج لآخر مرة دون ان يودع اهله

واولاده وهم يقولون له « مدة خمسة عشر يوما فقط . . . »
ان الباروني لم يعمل عملا تعقبه الندامة او توبيخ الضمير ، انما كان رحمه الله
أعظمهم ألما وحسرة على كل من ذهب من مواطنيه . وقد رأيناه يحزن عليهم
بل يبكيهم سواء بسواء شأن الفدائي الذي لم يطلب من المولى سبحانه وتعالى
سوى نصره وقومه واعزازهم .

انما مني بطائفة عسكرت عليه صفو العمل وأحببت جميع أعماله ومساغيه
والامر لله ١١.

الثامن -- وهل صحيح ما قيل عن الباروني باشا انه أخرج من السجن
عبيدة المحجوبى الخائن الذي كان السبب في احتلال ايطاليا للزاوية في ابريل
سنة ١٩٢٢ ؟

الجواب — أقول : انى لا استكثر على الباروني ولو لم يكن أبى الانفراج
على اى واحد من مواطنيه فما الفرق بين السيد عبيدة المحجوبى وغيره الذين
غرثهم دسائس الاعداء وافرج عليهم وسامحهم واشركهم فى شرف الدفاع ما استطاع
الى ذلك سبيلا واكثرهم فى شبه تهمة عبيدة المحجوبى مهما خفى الامر فما ذنب
الباروني فى غفو سبق تلك الخيانة التي ذاق موارثها عبيدة على يدي الاعداء
عندما نصبت المجازر وشكلت المحاكم الجائرة للقضاء على كل رأس له بعض
الاهمية سواء سبقت خيانتة للوطن ام لحقت ! فالباروني كما قلت كان يعرف
سبب تلك الخيانات وبضرب رجال الوطن ورءوسه ويمز عليه فقدم فى تلك
الظروف العقيمة من الرجال .

فهما اثم فى هذا الصدد بقصر النظر او غير ذلك من صفات الضعف البري .
فهو قد عمل ذلك كله ارضاء لربه وضميره ، الامر الذي جعل فيما بعد ذكراته
باسما لجراح غربته وه الام هجرته لشئى الاقطار ونورا ساطعا على سجل اخلاصه

العميق وصدق جهاده لوجه الله . فيكفيه رضا انه لم يعذب مخلوقا او شمت في عدو ولا انتقم من مواطن مهما كان ذنبه كبيرا وخطره شديداً على الحركة بل على حياته هو نفسه !

التاسع — ماذا منع البارون باشا من الحضور في المؤتمر التحضيري المنعقد في اكتوبر ١٩٢٠ في العزيزية وقد دعي اليه ؟ او ان يغيب عن الحضور في مؤتمر غرياب المنعقد في نوفمبر ١٩٢٠ وقد دعي اليه بالحاح ، سيما وقد عمد لاصلاح ذات البين بين نفوسة والزنتان والرجبان ، وهو امر يهم الباشا قبل كل احد ؟

الجواب — اننا لم نعلم اذ ذاك الاسباب الحقيقية غير ما لمسناه اذ كنا في بلدة زوارة من المراقبة الشديدة عليه وكثرة الجواسيس حوله ومنهم اصدق اصدقائه واقرب الناس في الصحبة القديمة اليه ولكن بعد لقائنا في المهجر عرفنا منه انه اطلع بعد ذلك على تجسسات خطيرة كانت حوله وان بعضهم اخذ على عاتقه قلب الحقائق او تعطيل الاخبار عليه حتى لا يتحقق له عمل مجدي . هذا فوق ما انتهت اليه تجاربه ووصلت اليه محاولاته في اصلاح الحال وتكشف له من الطوايا ما ادخل اليأس من كل جهة الى قلبه الكبير فأحس انه مسجون ومغيد بارادة الجميع . فرأى ان يترك لاولئك الذين يقولون ما لا يفعلون مسئوليتهم التامة ، وكانوا اشياءا متفرقة بل كانوا يحملون في اعماقهم اسباب الخيبة فلمس تهاول العدو على وسائطه وحاملي بريده واستخدمهم عيوننا عليه فتأخرت الاخبار عليه ، او أخذت تصله ملتفة غير صحيحة بل مشوبة بما يبعث اليأس ويقعد بمثله في حيرة وألم .

واخيراً ادبر عنه الاصحاب وفرغ جيبه وبقي شبه محصور الى ان رأت الحكومة ابعاده كلياً فكان ما قلت في وسط هذه الاجوبة .

فقال في هذا الصدد ، ونحن في العراق :

« وقفت في اعلى الباخرة عند اقلاعها من الميناء وقد خلجنى شعور عميق في اني مسوق لا اراها مرة اخرى - يعنى طرابلس - فكدت جنونى تمتنع عن الحركة حتى اشبع من منظرها الحبيب . ولم اقبله الى نفسي الا بعد حين عندما توارت وراء الافق وغابت عن الانظار ، ثم رفع بصره الى أعلى كأنه يستثير السماء العاذلة وقال وهو يذرع الحجرة بخطوات رتيبة :

« هل يا ترى يقدر لي رؤيتها ! فاردت تخفيف التأثر الذي به ، فقلت : لو لم تحمل شروطا صعبة . . . ؟

وقف بجحد وقال بصوته الخنون : أترينها صعبة ؟ أترين ذلك كثيراً على الله ؟ في طرفه عين ينجلي كل غم ويندحر كل طاغ ويتحرر كل محكوم !!
لا تقولي صعبة ! بل قولي ان شاء الله ، وما ذلك على الله بكمثر ، ثم جلس يستريح وهو يمر بيده على شعر رأسه في هدوء حالم وتكلم كمن يناجي نفسه : « ان الله لن يضيع اجر المخلصين ستحرر ليبيا ، سيندحر العدو وستصبح في ليال زاهرات ، واذا طال العمر سأكون هناك . . .
ولم ازد أي سؤال ولا أتم حديثه . . .

فليتني كنت أكثر سؤالاً وكان أكثر اجابة ، واصرح حديثاً . رحمه الله ورحم كل شهيد وفدائي في سبيل الحق المبين .

هذا — بعض ما امكن كتابته في مخلوق أحله أهل بلاده من نفوسهم أعز مكان ، وسعى الاعداء لاجباط مساعيه المحموده ، فحركوا من ذكره ومن هجاه بألم الالفاظ واغرب الايات ، الايات التي كنت أرويهما بين يديه لانتفكه فيضحك ونجعل مذهباً حواراً مفيداً لأرواحنا وعمولنا بما يفيض رحمه الله علينا من حقائق مشرفة ووقائع خالدة ما بقيت لأخبار البطولة والتضحية والتفدية من

مجالى التقدير والاكرام .

اما من باب المدح فاليك بعض نماذج منه فيما يلي :

١ — حشد او دير احوال يا بارونى

راهو دراري طالبة ذالونى

٢ — عواضي على الله كان ما تيبونى

نلحق محله « سوف والبارونى

نأكل ونشرب من دموع عيونى

٣ — نجيك او عليك يا بارونى

نديرك حجاب نملقك لميونى

٤ — الله اعون الشيخ سليمان

بابا الاوطان إجاهد فى قوم الطليان

الله اعونه ديمه هو واللي معه اخديمه

والكافر يعطيه اسليمه

دائر للوحة جنجان

يرحم من جابه يرحم من قرا فى كتابه

كان هو ضنوة عزابا

خللوها لناس ازمان

يرحم والدته يرحم من جاب او خطه

عله سيدته منا اليا بر السودان

الله اعونه قائم الاوطان إجاهد فى قوم الطليان

٥ — نثشد على بابور بري وينه

نواقيس عرضوني بلا مشينه

بابورنا ما جانا
إهز التريس او درنا وانسانا
سافر اقدا استانبول عن سبانا
عامين ما اهواتش موسى احسانا

٦ — حلمت في خيار منامي . باشا بنشيانه واقف قداي
حلمت والتفسير حسب النية . ناس ليبيا يحصلو الحرية
يا ليبيا بشراك جوك اشبالك . وطنك ضوا بعد الظلام الحالك
واما من باب الذم الذي يشهد على اسباب فشل تلك التضحيات الخالدة فاليك
نموذجا منه فيما يلي :

البربري برلك من تخديمه - خليه تحت التحت ديمه ديمه
عمرکش ريت جبالي - مكستوب في الجرنال صاير والي
عمرکش ريت التين سوق - غالي
عمرکش ريت من السعف شريمه
البربري برلك من تخديمه

وكما ترون من المدح والهجاء انه كفيه من الناس والعاملين للصالح العام كان
محبوبا حاضرا وغائبا .

الامر الذي اطلق شاعرية بنى وطنه الاوفياء المحق نساء ورجالا في تشجيعه
والاشادة بمجهاده والتفني بثباته . . . الخ
فياليت يسمح الزمن بجمع شىء من ذلك بعد ان ذهب ما لدي سابقا
ادراج الرياح .

اما الهجاء فنصيبه منه - والحمد لله - أقل من غيره وقد حدث لأمرين :
الاول - الفقر الذي منيت به البلاد لاستمرار الجفاف في اوائل الحرب ،

وعدم وجود مدد كاف لصد حاجات المحاربين لصد العدو الغني الذي كلما تقهقر من محل ترك ما لا يوصف من الغنائم والذخائر . . .

وقد سمي بعض الحائدين عن جادة الصواب جموع المجاهدين المتطوعين « عسكر الدقيق ١١ » لأنهم اضطروا في بعض المرات الى اعطاء فرائض المجاهدين من الدقيق المرسل لهم من بعض الجهات المتحمسة لوطنيتهم وذلك لانعدام الدراهم طبعاً في الجهاد الاول بعد تسليم تركيا .

الثاني — نتيجة الدسائس — كما قلنا — عندما عز على العدو تماسك اهـل طرابلس متطوعين لقبول الحق ونسيان كل تعصب ، او قاره له كل حساب قبل ذلك ، فسموا « الباروني » بربريا ووصفوه بالضعف ، لا لهدم الباروني ولكن لهدم الحركة الوطنية من أساسها ، وهذا هو سبب الانقسام بعد ذلك في كل موقف يجب فيه الاتحاد والاخلاص .

فهل كان الباروني بربريا ؟ أو لم يكن عربيا مسلما صميما من جهة الاب وبربريا مسلما صميما من جهة الام ؟

وهما تعرف اسباب كل مكيـدة حرمت الجميع النصر في ذلك الحين .
بنت الوطن : « ز - الباروني »



مغادرته لطرابلس

على أثر حدوث تلك الاضطرابات رتفاقم أمرها غادر طرابلس سائحا في بلاد الله فقصدا استامبول وانقره ، واسكن وجد الحالة قد تغيرت اثر الانقلاب الكمالى ، ومجلس الاعيان العثماني قد انحل ، لحاول العودة الى الشام او مصر او تونس ، فوقف بربطانيا وفرنسا في وجهه ومنعته منعاً باتاً من دخول هذه البلاد ، ثم ساح في اوربا من طريق رومانيا كما مر ، وشهد مؤتمر لوزان - لا لدعوة بل كمتفرج - ورأى وسمع ما قرر هنالك في ابرام المعاهدة مع الكالين فعلم نهائيا انه لا مطعم في رجوع تركيا العثمانية فلولى عنان سفره الى باريس - مهد الحرية - وكان يحمل « باسبورتا » في سياحته هذه باسم : سليمان بن عبدالله العثماني او ما بمعنى هذا .

وهناك وجدت فرنسا فريستها ، فوجد نفسه في قمص الاسر ، ولبت نحو عامين بين مرسيديا وباريس لا يؤذن له بالخروج من البلاد الى المستعمرات لجرد ما شعرت به انه هو الباروني .

في اثناء مقامه هنالك جرت له امور هامة ونوادير عجيبة نخص بالذكر منها ما يلي :

١ - زيارة الباشا لتونس

من أغرب الاتفاقات انه في حوالي اوت ١٩٢٣ زار تونس برخصة من مديرية بوليس باريس بالاسم المؤمى اليه ءانما فلم تقنع بها حكومة الحماية بتونس ولجرد ما اتصلت بخبر وصوله بتونس ضربت عليه نطاقا من الحصار في اوتيل « تونيزى بالاص » وهو يتألف من البوليس والاعدوان السريين وحجرت عليه أن يتصل باحد اصلا لا مشافهة ولا مراسلة ، وامرته بمبارحة تونس حالا .

اتصالنا بالباشا في النزل

اقتضى وجوده بتونس حرّاً واسيراً بضعة ايام ، اتصلنا به ايام كان حرّاً ،
وتحدثنا معه انا وطائفة من رفاقي في البعثة العلمية الميزابية بتونس في مواضيع
حتى كنّا ألمنا ببعضها فيما مر ، وكلها مفيد وكلها هام .

وكنّا ازمعنا ان نعد له نحن افراد البعثة حفلة تكريم تليق بمقامه
السامي ، نستدعي اليها اصدقاءنا الاوفياء من المشائخ والاساتذة والعلمين والادباء
والتلاميذ من ابناء تونس ، وقد حررت قصيدة لهذا الغرض في يوم ٢٤ محرم
سنة ١٣٤٢ نشرتها في الديوان صفحة ٢٦

ولكن تصرفات السياسة وتحكّات الاستعمار حالت دون هذه الامنية
الغالية بضرب نطاق الحصار عليه كما قلنا ، ولما حان موعد رحيله اصطحبوه
مخفّوراً تحت الحراسة من الاوتيل الى الباخرة كأنه مجرم . كما سيفصله هو فيما
بعد . فلم نتصل به الا من بعيد . ومنذ اتصلنا به هناك تواصلت بيننا وبينه
المراسلات واستمرت المكاتبات في سائر اطواره مع عامة اطوارنا من بعد ، كما
شملت هذه المراسلات منه طائفة من الفضلاء ، اخوانه من بني ميزاب في شتى
الشئون حيثما كان وكانوا . وسيرى الاخ الباحث نماذج من ذلك مما لا يخلو من
فوائد وعبر على حسب مواضيع الكتاب بحول الله .

واما القصيدة المؤمى اليها فخطها :

هلالان هلا بالرحاب وألقا وبدران من أفق السماءين اشرقا

ومنها :

ألا ايها الضيف الكريم تشرفت	بكم تونس الحضرا ومادت تألقا
تمنت لكم عيشا رغيداً بجنبها	فكان وكان ما ألم وُفرقا
وقد حظيت منكم بها حظيت به	اللذعة من طيف الحبيب تشوقا

نزلتم بهذا القطر عزلاً فزلزلت
فقام بادوار الضيافة ابشاء التمه
علمنا يقينا كيف يقري ضيوفهم
علمتم بقول الله «سيروا» فسرتم
تحالف اهل الحلف عنكم فأوصدوا
راوا فيكم نفسية لا بغيركم
وان لكم مرمى بعيداً وغاية
ولو انصفوكم ساعة لتذافسوا
لئن اغلفوا ابوابهم في وجوهكم
عروش حماها السيف والجند طوقا
مدن تضيقها وحجر آ مقلقا
بنو الغرب ان الغرب ما زال احقنا
فأرعد هذا الغرب منكم وأبرقا
أمامكم الابواب غربا ومشرقا
فظفوا بها هولا خطيراً قد احدثنا
فهاهم ابن الشرق ان يتفوقا
بكم وتغالوا في علاكم تعلنا
فما كان باب الله عنكم لينلقا (١)

٢ - زيارة اخوين للبasha في مرسيليا

في اثناء اقامته بمرسيليا وهو في حالة لا تبعث على الارتياح - زاره في
جانفي ١٩٢٤ اخوان فاضلان كريمان من الجزائر من بني ميزاب ، ألا وهما
المرحومان السيد الحاج عمر العنق والسيد تيرشين سليمان بن الحاج عمر ، فكانت
زيارتهما له بمرسيليا كزيارة سحاب ممطر لأرض جدياء زمن الربيع ، تبدلت بها
وحشته انسا ، وأساه بهجة ، وضيقة فرجا ، وبؤسه سعادة . وراه البasha مع
جميل صبره نفحة الالهية نزلت من السماء رأى في شأنها من قبل بعض مبشرات
كعادته في امثال هذه الذنجات بعد امثال تلك المضائق ، وذلك أقل ما رجوانه
له برسالتنا للاخ الفاضل في هذا الشأن ، اذ الواقع اننا لما التقينا بالبasha في
تونس طرق لنا باب مراجعة الحكومة الفرنسية من بعض اعيان التجار الميزابيين
للإذن له بالمقام اما بالجزائر واما بتونس بعائلته على شروط ، فكذبنا رسالة

(١) وقد حقق الله له هذا الظن مني في نفس العام والحمد لله كما ستره قريبا ان شاء الله

للمرحوم الحاج عمر العنق في هذا الشأن فذهب بها الى اخواننا بالجزائر فأطلعهم على تلك الرغبة عسى ان يبذلوا من اجلها جاعهم لدى الولاية العامة ، ولكن لأمر لا نعلمها لم ينتج من ذلك شيء غير زيارة الاخوين للبasha في مرسيليا حسبما ذكرناه انفا .

لبنائنا معهن هنالك بعض ايام جرى لهما معه انشاء ما احاديث روائع وقصص مليئة بعبر ، ومقتطفات حكيمه بليغة ودعابات مريحة وفكاهات لطيفة .
ثم رجعا الى الجزائر وقد سرىا عنه ما كان يعلم به من أسى وكثابة وضيق ووحشة .

وهي اول نفحة نفحه الله بها في هذا الاسر ستبعمها نفحات (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)
ومن كرمه وحسن لطفه ان اهدى لكل من الاخوين المذكورين أثر هذه الزيارة هدية لطيفة هي مرءاة مكبرة وقلم استيلو ، فلانها وأرسلها في صندوق صغير اليهما وكسب اليهما هذه الرسالة اللطيفة ونصها :
الحمد لله — الى الاخوين الفاضلين حرصهما الله .

اليوم ارسلت اليكما الصندوق الصغير الذي نسيتموه عندنا يوم سفركم ، ولكن اضطررنا الى فتحه للعلم بما فيه قبل تقديمه الى البوسطة فوجدنا فيه قلما عدد ٢ ومرءاة مكبرة عدد ٢ لاغير . وقد فهمنا انكم اشتريتم ذلك تذكاراً لسفركم هذا ، وقد اصبتكم في هذا الفكر ، لان الذي يسافر مثلكم دائماً في الشمنديفر والبحر تلزمه مرءاة ينظر بها الى الاماكن البعيدة والجبال والبلدان التي يمر عليها من بعيد فيتسلى بذلك ويستفيد ، فالمرجوا ان تخبرونا بوصول ذلك .

والسلام من اخيكم :

سليمان الباروني

٣ - تحفة غالية اديبة منه لنا

بما انه جرى على السنتنا - عندما كذبا معه في الزل - حديث عن النهضة العالمية الجديدة ولاسيما بعثنا العالمية بتونس . كما اشرنا اليه سابقا . وحيث انه التمس منا - اذ حرم من رؤية ابنائنا - نورهم وكتاباتهم فأرسلناها اليه ، فانه لما رجع من تونس مكرها الى مرسيليا كتب الينا في اواسط رجب ١٣٤٢ - ٢٢ فينري ١٩٢٤ رسالة بليغة ضمنها ابياتا غالية في الموضوع كجواب لذلك ونصها

حمداً وصلاة وسلاما

الاخ الجليل الحر المحترم . . . حفظه الله

سلاما واحتراما . ورد الي امس كتاب ومجموعة صور للتلامذة النجباء ، فدلني كتاباتهم على ما لديهم من الذكاء والاستعداد للزول في معترك الحياة الجديدة للبقاء مع الاحياء .

كما حرك مني منظر صورهم الجميل قريحة طالما حاول الدهر اخمادها ، وفكرة كثيرا ما نوت النواب قتلها ولم يكن لها لم تمت ولن تموت باذن الله . فقلت الايات الآتية جوابا وتنشيطا لتلك الشبيبة المعتمدة بالله .

حياة تجت فاستنار بها الشعب	وشمس تبدت فاستضاء بها الغرب
وروح سرت من مبدع الكون فانثى	فتى مركز الصخر انحوالى يصبو
هو العلم ان حل الرفات تلالأت	وان حل طودا شامخا راسخا يحبو
فلا عجب ان قيل تونس اصبحت	محط رجال العلم منهاها عذب
لقد أمها من مصعب الغرب ثلة	شباب صغار لا يمد لهم ذنب
راوا للعلا رايا فتباقت نفوسهم	الى نهجه فاستسهلوا ماهو الصعب
أتني رسالات تشف عن الذكا	وعن همم عليا وروح لها صوب

بني الغرب اكباد الشباب تعطشت
أروهم من الدين الحنيني أسه
فهم عدة بل للطوراري أسنة
ومن لم يسلم بالمعارف قومه
يرى الحبل ثعبانا ويحس حبة
وهل بعد هذا للحياة فضيلة
فلا تحزموهم ما اليه الوري هبوا
ومن أمر دنياهم علوما لها لب
وهم اعين الاجيال بل هم هم القلب
غدا علقما مستعبدا ما له صعب
من القمح منطادا فينهكه الرعب
بربك لا لا - فالعلوم هي القطب

مرسيليا اواسط رجب ١٢٤٢ - ٢٢ فيفري ١٩٢٤ سليمان الباروني

٤ - تحفة ادبية منه ايضا لابناء البعثة

لما التمس ايضا من ابنائنا التلاميذ افراد البعثة لمزيد حزينه اليهم ان يكتبوا
اليه ما يعن لهم من رسائل وان يرسلوا اليه معها صورهم ايضا زيادة عما مر سابقا
ليرى تطورهم في العلم ونموهم في الحياة ، اجابوه لذلك بما سره وأبهجه وتبين له
من ذلك تفننهم وتعامل منه خيرا الامة والوطن فاجابهم بالقصيدة الرائعة التالية
التي تضرب على الاوتار الحساسة وهز العروق النابضة . وهذا نصها :

الى الطلبة النجباء

حامم الله ووفقههم

نسمات الشوق هبت بانتظام
تغنى بلبل الانس وهام
حاملات للتهاني والسلام
اذ هلال القطر قد زان السما

بدت الاقلام تشدو وتجول
وتجيد النثر طورا وتقول
تنظم الشعر عقودا وتصول
ان رعدنا انقلب الارض سما

يا شباب العصر يا روح البلاد
يا رجال الغد يا نور الفؤاد

يا دعاة الارتقا والاتحاد يا جمال الفطر لكن بعد ما
 انتم للشعب حصن وسلاح عندما تنشر أعلام الكفاح
 انتم عند اللقا كبش لطحاح بدفع الاضرار عن ذاك الحمى
 قد اتانى منكم النظم الجليل وسقاني كأس راح سلسبيل
 كيف لا ؟ وهو شفاه للميليل كاد يدعى بمحكيم الحكماء
 اعلموا هذا وجدوا في العلوم واطلبوها في الثرى او في النجوم
 ودعوا الجاهل كالعير يحوم ان جهل المرء موت وعمى
 قد علا قوم متون الصافنات واستعدوا للحروب الطاحنات
 واستخفوا بملذات الحياة فرأوا النصر وأعلوا الهمما
 هكذا العلم به يحى الموات وبه ينقاد للمرء الطفاة
 وبه يلبس من حسن الصفات ما به يدعى عظيم العظما
 مرسيليا ٥ ذي القعدة ١٣٤٢ سليمان البارونى

٥ - مساعيه الملحة للدخول للمستعمرات

في هذه الظروف الحالكة ابدى الباشا البارونى نشاطا كبيرا في طرق ابواب سفارات الدول الغربية مباشرة وبوسائط مختلفة للترخيص له للدخول اما الى تونس او الجزائر او سوريا او مصر لأجل الاستقرار بها نهائيا بعائلته الغربية في رمال زوارة ، وتوسل بمدة وسائل واعطى تعهدات لهم ان لا يتداخل في شئون السياسة ابداً وكان هذا الامل يداعب عاطفته الى اخر ايام حياته كما ستراه بعد هذا . فاما فرانسا فقد اجابته بالرفض التام ، ولن يدخل البارونى الجزائر او تونس ولو في المنام .

واما انقلتيرا فقد مانمت ممانعة كلية ان يدخل الشرق كله ولاسيما مصر في عهد حمايتها . واما ايطاليا فمن باب أولى الف مرة ، ومتى نزلت نفذات سماوية من ناحية اوروبا الغربية العاتية ؟

أجل لقد كان للباشا رجاء كبير في مصر في عهدها الجديد . الاستقلال - أن تفتح في وجهه ابوابها على مضاريهها . واليك ما كتبه اليها في هذا الشأن :

حمداً وصلاة وسلاما

باريس ٥ شعبان ١٣٤٢

السلام- كنت عرفتكم بان سفارة مصر قابلتني باحترام فائق (١) وكتبت ما يلزم الى الوزارة في مصر ، والآن وصلني جواب الشيخ اطعش : ذكر انه راجع الوزارة وقال الوزير انه مستعد لاجابة الطلب اذا كتبت اليه السفارة حسب الاصول .

وعليه فالمسألة ان شاء الله ستختتم قريباً ونصح الرؤيا والحمد لله .

سلامي الى الاخوان . من اخيكم : سليمان الباروني

ولكن بعد هذا خاب ظنه في مصر ايضا الى ان كاد يئأس منها فكتب اليها في هذا الشأن وغيره . وفي ضمن الجواب ما يلي ونصه :

حمداً وصلاة وسلاما - ٢١ رمضان ١٣٤٢ - مرسيديا

اخوان الصفا - حامم الله . سلاما واحتراما

الظاهر ان الحكومة المصرية الجديدة اقيمت أثر اسلافها في استشارة الانكليز او الطليان في مسائلتنا ولذلك مضى نحو شهر ونصف ولم يجب عما كتبه اليها سفيرها في باريس . والا فان سمعد باشا قال قبل ان يتولى الامر : « لو كان الامر بيدي لما تأخرت عن اجابة الطلب » وقال وزير خارجيته الجديد

بعد مباشرة العمل : « انى لا اتأخر عن القيام بالواجب لمجرد ورود كسابة من سفارة باريس » هكذا ذكر الشيخ اطفيش في اجوبته من قبل .
وقد رأيتكم ما كتبته في حق جماعة انقرة ونشر في كل الصحف العربية .
وبذلك سددت باب تركيا ايضا ، وان كنت لا افكر في الرجوع اليها من يوم خروجي منها .

بقي باب الله الذي سيفتحه بعد سيد هذه الابواب كلها ، اذ حكمته تعالى لا تقضي بسد جميع ابواب الدنيا امامي خاصة . وها اناذا منتظر ذلك منه فانه مفتاح الابواب الفعالم لما يريد . اما الانسان فقد علمنا انه اله تديره يد القدرة التي لا يد فوقها ولا حول ولا قوة الا بالله . سلاي واحترامي الى من معكم من افضل الاخوان . ودمتم في عز لاخيكم : سليمان البارونى
قلت : انظر قوة هذا الايمان الكامل بربه وقت هذه الشدة الهائلة . ولا يفوقه الا ايمان الانبياء والرسل ، ولا بد لأمثال هذه القلوب العامرة بالله من فرج ومخرج .

٦ - نفثة مصادور

تحت تأثير الصدمة وخيبة رجائه في مصر الجديدة كما تلمسه من رسالته السالفة يبت أهاته في قصيدته الرائعة ويرسل صواعق غضبه على دول التحالف الغربي وذيوها ، ولاسيما مصر في نفس تاريخ الرسالة الموى اليها ، وان كانت القصيدة بعنوان « وداع رمضان » لعام ١٣٤٢ ، وهذا نصها :

شهر الصيام قد ارتحلت مودعا	فعليك يا شهر الرضاء سلام
شهر الالاه الى الالاه تقدمت	اعمال من بالصوم فيك يلام
صمنالك يا رمضان لا عن رغبة	في معشر قال الصيام حرام

صمنا نهارك قائمين بليله
صمناك طوعا والقلوب كئيبة
صمناك حيث يقال: لا رب ولا
صمناك في باريس عاصمة البغا
صمناك في مرسيليا اذ قررت
فاشنع اذا ما للشناعة موقع
سنة مضت والله لم يفتح لنا
آرى يقدر لي صيام ثالث ؟
لا تسمع الآذان تكبيرا ولا
الا نواقيسا تدق اذا أتى

* * * *

ماه فما هذا التحكم في الورى
ويل لمن عرف الحقائق وارتنى
دول على قهر الانام تحالفت
وغدت تقسم من بلاد الله ما
قبضت مناتيج البلاد وفرقت
فتنافسوا وتقاطعوا فاستضعفوا
لم يبق للاسلام قطر قائم
ما للنبي محمد ولدينه
الا يبعث بقاع ارض ماها
هى كالاسيرة بالعدو محاطة
رفقا بدينك ربنا اذ عاد في
مرسيليا في اواخر رمضان ١٣٤٢
سليمان البارونى

انطلاق الباشا من اسر الحلفاء

او نفحة سماوية تهب من الحجاز !

في اوان اشتداد كربة الاسر على الباشا كما رأيت هبت عليه نفحة سماوية من ناحية الحجاز ، كما هبت منها على العالم الانساني ، وهو في اشد كربته قبل ١٣٤٢ عاما على يدي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد منحت حكومة جلالة الملك الحسين الهاشمي لسعادة الباروني باشا رخصة السفر الى الحجاز برسم الحج ، عندما بلغه مضايقة الحلفاء لسعادة الباشا .

ورغم مضايقة ومعارضة دول الحلفاء لجلالة الملك الحسين في ذلك فقد أصر على منح الرخصة له وأجاب الحلفاء بأنه لا مساغ له شرعا ان يمنع مساما من حج بيت الله الحرام .

الباروني باشا ينفجر !

إثر هذه النفحة الالهية ينفجر الباروني باشا على دول الحلفاء وذبولها كالبركان فيقول هذه القصيدة الرائعة التي تتطايح منها شظايا قنابله الذرية على اهدافها فيقول :

نزلوا وها أنا ذا صعدت فهل لهم	أن يهدموا ما شاده الاقدار
حكموا وظنوا ان حكمهم مضى	وظنوا فغار لإلهنا فأنهاروا
ما لي ارى « بونكاريا » زلت به	قدماء أم قد دكه الجبار (١)
عاما قضيت بحكمه متفرنسا	فكأنتى لص اليه يشار
الله اكبر حارت الالباب في	احكامه سبحانه المختار

(١) بونكاري رئيس اوزارة والخارجية الذي اعترض بشدة على اعطاي جواز السفر الى بلاد الحماية مطلقا .

هذا البروفى قد نجا من كيد « بو
فليعتدل ان شاء او فليعتزل
و « لموسوليني » ان يحمر خده !
وليستف ابطال مصر جهادهم
ما سعد الا مثل سابقه بلا
ان الكنانة لا تحوز خلافة
ان الخليفة لا يكون حماية
ليس الخليفة من يعد عبارة
ليس الخليفة من يعد منافقا
ليس الشريف ابن النبي خليفة
ان الخليفة ناظم الدنيا وحا
ن مارشي « فهلا انتج الاصرار (١)
وليك « كورزون » الفتى المكار (٢)
وكفوفه فالاهنا قهار (٣)
ما سعد منقذهم ولا نوبار (٤)
شك ألا فليغهم الاخراج
ما دام جورج حاميا اماما (٥)
بل هو حامى المسلمين منار (٦)
عن هيكلى مثل القبور يزاد (٧)
او ملحد او خائنا غدار (٨)
ان لم يحطه الجند والدينار (٩)
مي الدين وهو المؤمن المختار

- (١) رئيس السياسة في الوزارة الخارجية المعترض ايضا بشدة استنادا على ما حفظ في دائرته من تاريخ حياتى السياسة .
- (٢) كورزون وزير خارجية الانكليز المعترض على دخولى الى بلاد الشرق مطلقا .
- (٣) موسوليني رئيس وزارة ايطاليا المعترض على دخولى الى طرابلس وتونس ومصر ، تخضيب الحد كناية عن النذب والحزن ، وتخضيب الحفوف كناية عن الافلاس كما هو معروف
- (٤) هم اضداد الحكومة السعدية لان سعدا قبل ان يتولى الامر صرح بانته لو كان الامر بيده لما منع ، ولما تولى الامر لم يقدر على اعطاء الرخصة كمن سبقه من الوزراء ارضاء للانكليز او الطليان . ونوبار المندوب السامى الانكليزى سابقا .
- (٥) جورج - ملك الانكليز وهو جورج الخامس .
- (٦) المراد بهم بعض الامراء الذين رشحوا انفسهم للخلافة او رشحوهم وهم تحت الساطة الاجنبية .
- (٧) بعض الاشخاص الذين رشحهم المعتوهون للخلافة
- (٨) جماعة القرة ورثيها .
- (٩) الامام بحبى وملك الحجاز اذا لم يمض معاهدة الحماية الانفايزية وغيرهما .

هذي الحقيقة قد كشفت غطاءها
ويعود كالمرجان احمر قائما
ويجول بين شمالها وجنوبها
ويلوح في جو السياسة لامعا
اذ ذاك يعلم خصمهم ورجاله
فيبارح القطر المجيد مزوداً
اذ ذاك تذر للخلافة راية
اذ ذاك ينصب للخلافة منبر
اذ ذاك تصبح مصر قطب الارض من
هذا طريق الحق يا من رمته
فليعملوا حتى يشار غبار (١)
ايام فيض نيلها الجرار
مثل الغضنفر شبها الكرار
نبراسها فيؤمه الاخيار
ان الكفانة جنة ام نار ؟
بالياس تعلق وجهه اكدار
بجلالها تستأسد الانصار
وبذكره تترنم الاذكار
شرق الى غرب عليه تدار
فاعمل والا فالنهاية عار

مرسيليا ١٥ شوال ١٣٤٢ سليمان الباروني

الباروني باشا في طريقه الى الحج

في يوم الاربعاء ١١ ذى القعدة عام ١٣٤٢ - في اوت ١٩٢٤ يتخلص الباروني
باشا نهائياً من اسر اوربا فيخرج من مرسيليا الى البقاع المقدسة وبعد هذا اليوم
عيد التحرير له لا يوازيه الا عيد تحريره من السجن في عهد الخليفة عبد الحميد
سابقا .

وقد كتب الى جمع من اخوانه في ذلك باسم الاخ الجليل المرحوم الحاج
عمر العنق رسالة بليغة . وهذا نصها :

حمداً وصلوة وسلاماً

السلام عليكم كما لا . . . التصاق بنا : فليوم الاربعاء التصاق باعمالنا منذ

عرفت ، ولكن نتيجتها حسنة حتى في الحروب .
اليوم والله الفضل خلصت من اسر اوروبا وركبت البحر قاصداً البقاع
المقدسة . وسأدعو لكم ولنفسى فيها بما أرجو من الله قبوله . وغنواني هكذا
« سليمان الباروني في مكة المكرمة » اني سأخبر مدير البريد هناك بمحل
اقامتي لمجرد وصولي .

بقي شيء واحد وهو الخاتمة ان شاء الله لاشغالكم بما قتم به من المهمة
العالية (١)

نسأل الله اطالة العمر حتى نجتمع على احسن مأمول في القريب العاجل .
والسلام من اخيكم : سليمان الباروني

ثم تابعت الينا رسائله في طريقه الى الحج ، وفيما يلي نماذج منها :
١ — تذكرة بريديّة من الاسكندرية مؤرخة في ١٦ ذي القعدة ١٣٤٢
وفي خاتم بريدها هكذا ١٨ اوت ١٩٢٤ وهذا نصها :

السلام عليكم . وصلت اليوم الاسكندرية والحمد لله بغاية الراحة والبحر في
غاية السكون ، وبعد غد اسافر الى الحجاز باذن الله وسأكتب لكم جوابا
بعد هذا . وقد ارسلت اليكم يوم سفرى من مرسيليا جوابا . ودمتم لايخيمكم :
سليمان الباروني

٢ — تذكرة بريد من بيروت مؤرخة في ١٨ ذي القعدة ١٣٤٢ وفي خاتم
بريدها هكذا ٢٠ اوت ١٩٢٤ وهذا نصها :

السلام — اليوم وصلت بيروت ولم يمكثني النزول في الاسكندرية وبيروت
سميع (٢) وربما اسافر بعد غد الى جدة رأساً ان شاء الله . وسأكتب لكم

(١) هنا ذكر امرا خاصا لقضائه له لا حاجة للدوح به هذا

(٢) ترى قريبا اسباب ذلك مفصلة بقلمه في رسالة طويلة

الحماية الفرنسية والاحتلال الانكليزي

والاثر المترتب على وجودهما في كل من تونس واختها مصر (١)

في غضون عام ١٩٢٣ خلال اقامتي ببـاريس توجهت منها الى تونس ، وما كادت تستقر قدمي في المنزل الذي نزلته حتى احاط بابوابه البوليس اشكالا وانواعا ودخل علي الكوميسير قائلا : انه باسم المقيم العام الفرنسي يبلغني بان لا اقبل مقابلة احد من الاهالي ولا اخبر احدا قط الى ان اخرج من ارض تونس بعد اربعة ايام مع الباخرة المتوجهة الى مرسيليا .

وقد قيل لي في باريس ان من جلة اسباب هذه المعاملة كون صاحب الملكة باي تونس لم يقبل دخولي الى مملكته ، وهذه العبارة بعينها سمعتها قبل ١٣ سنة من احد كبار مأموري فرانسما لما التجأنا الى تونس عقب الحرب الطرابلسية الاولى ، وقد حاولت اقناع الكوميسير بجواز السفر الذي بيدي والمصدق عليه من مديرية بوليس باريس فلم يقتنع . وبعد ان ودعني معتذرا ابقى نفرا من البوليس التونسي على ابواب المنزل ليمنعوا الناس من الدخول الي . ولما حضرت الباخرة ورافقوني الى الحجرة التي نزلت فيها ، وقد سبقني اليها جاسوس يهودي لم يفارقتي الى ان وصلت مرسيليا . واستقبلني جمهور من بوليسها وعاملوني معاملة قاسية ، لكنها تعدلت بعده بواسطة بعض المنصفين من رؤسائهم . وها انا ذا بعد مضي سنة من رجوعي من تونس ماراً على ابواب مصر (اسكندرية وبورت سعيد) قاصداً البلاد المقدسة برخصة من حكومتها .

وذلك بعد ان امتنعت الحكومة السابقة والحاضرة من اعطائي رخصة الدخول الى مصر رغم وجود اشغال تجارية لي فيها معطلة من يوم نشوب الحرب الطرابلسية الى الآن .

لكن ما كادت الباخرة تُرسو في الاسكندرية حتى جاء زورق مملوء بافراد من البوليس المالبطين والمصريين وصعدوا الى الباخرة ، واطلع رئيسهم المالبطي على دفتر اسماء الركاب ، وفي الحين قال : ايتوني بالراكب المسمى « سليمان » فاجبت نداهه فطاب الباسبورت وقدمته اليه ، فخطبني بما يلزم مع ادب كثير ثم ذهب وأبقى قسما من البوليس امام سلم الباخرة وقسما داخلها لازموني في كل زمان ومكان ، بحيث كانوا يفتحون باب الحجرة التي انا فيها ليتحققوا من وجودي فيها بناء على أمر رئيسهم المالبطي حتى انكر عملهم هذا بعض خدام الباخرة ، فأخرجوهم منها بعد منازعة قائلين لهم هذه باخرة فرنسية لا مصرية ولا انكليزية فانزلوا الى البر وانتظروا هذا الرجل هناك اذا نزل فخرجوا مكرهين لسكنهم عادوا بعد شطر من الليل بنحو ساعة دون ان يعترضهم احد وفتحوا باب الحجرة حتى رأوني ولم يفارقوني من تلك الساعة الى ان سافرت الباخرة بعد ثلاثة ايام الى بورت سعيد !!

وقبل سفر الباخرة بقليل قال لي البوليس ان رئيسهم الاكبر امر بقدومي اليه في الطبقة الاولى من الباخرة فذهبت اليه ، ولما رآني تظاهر بأنه يطالع ورقة بيده وهو واقف وعلى وجهه أثر الغضب وبدون ان يحقق النظر قال :

« هل عندك باسبورت فناولته اياه فرأى الصورة التي فيه واعاده الي واشتغل بالكلام مع البوليس فذهبت وكان بالقرب منهما رجل واقف اخبرني ان الرئيس الانكليزي هدد البوليس بالسجن او الطرد لانه لم يجده واقفا بجانبه فاجابه البوليس بقوله : ان الذي يفهم من حال الرجل انه شريف النفس لا يحسن بي ان اضايقه اكثر من هذا ، فقال له : ستري جزاءك .

وعلى هذا فاني ألفت نظر نواب الامة المصرية في مجالسها المحترمين ، مجلس الشيوخ ومجلس النواب المسكينين بالمحافظة على حقوق ضعفائهم وصغار مأموريهم

الى الاستفهام عن حال هذا البوليس الوطنى نمرة ٩٤٨٩ . من بوليس دائرة
الباسبورات ليعلموا ان كان طرد ام لا ؟

وليس ذنبه الا انه وقف عند سلم الطبقة العليا من الباخرة بحيث يراني .
ولما وصلت الباخرة بورت سعيد صعد اليها شاب انجليزي ومعه كاتب عربي
وبعد اطلاعه على الباسبورت قال انه مكلف من طرف رئيسه بملازمتي حتى لا
لا انزل الى البر ، فسألته عن السبب . فقال لا ادري ، ثم أثنى رئيسه الانجليزي
وصدره مزين بعلامات النياشين الكثيرة ومعه انجليزي ثالث وقال لي : ان
وزارة الداخلية امرتني بمنعك من النزول الى البر !
فقلت هذه اخت كلمة الفرنسي الذي قال : ان صاحب المملكة باى تونس هو
الذى أمر بمنعك من الدخول الى مملكته .

ثم قلت له لعل الحكومة تريد غيري وانتم غلظتم لان الاسم واحد . فقال
ان الحكومة لا تغلظ في مثل هذه الامور . الخ ما كان .

والحق يقال اني رأيت من رجال البوليس الانجليزي ببورت سعيد من حسن
المعاملة والادب في كلامهم وحركاتهم ما لم أكن أتوقع حصوله منهم ، وان لم
يفارقوني قط . الى ان سافرت الباخرة الى بيروت .

وكذلك لم اتمكن من ارسال هذه الرسالة من بورت سعيد .

فليتأمل القاري الواقعتين ليدرك كيفية المعاملة في تونس « المستقلة »
المحمية ذات الامير المسلم والمجلس الوطني الكبير ، وفي مصر المستقلة المحتلة ذات
الملك المسلم ودار الندوة الكبرى « البرلمان » وبذلك يتضح جليا معنى الحماية
الفرنسية والاحتلال الانجليزي .

والذي يستلقت النظر في القضيتين ان الذي استقبلني في تونس فرنسي يتكلم
بلسانه بواسطة ترجمانه لاغير ، وقبضه في يده على انه مسأوم من طرف رئيسه
الفرنسي .

والذي استقبلني في الاسكندرية اولا مالطي يلبس كبوة مصرية ويتكلم بالعربية على انه مأمور من طرف رئيسه الانجليزي .
ثم قابلني الرؤساء الانجليز أنفسهم هناك وفي بورت سعيد . وهم يتكلمون العربية وعلى رؤوسهم الطرايدش المصرية .
ولو كنت جاهلا حقيقة تونس ومصر لما شعرت بأني على ابواب مملكة تحكمها حكومة مسلمة .

وقد شاهدت علامات الاستياء من هذه المعاملة ظاهرة على وجوه كل من البوليس التونسي والمصري .

والذي سمعته من الفاظ الاستياء من البوليس التونسي هو عين ما سمعته من البوليس المصري . فكأنهما ينطقان بلسان واحد ويعبران عن ضمير واحد مع بعد ما بين البلدين ، فليعتبر الاعتبارون وليفهم « المستغلون » المحميون والمحتلون والله في خلقه شئون .

هذا وقد جادت القريحة بالقصيدة الآتية بمناسبة ما جرى ولتقدمها للقراء الافاضل . وهذا نصها :

هويتك يا مصر وهل في الهوى صبر	وأنت التي يشفى بادوائك الصدر
هويتك اذ فيك المعارف اشرقت	لك الشكر والشرق العظيم له الشكر
هويت رياض العلم فيك بازهر	يعز به دين الهدى ولك الفخر
هويت خصالا في رجالك أعجزت	من الغرب اقطابا لها علنا خروا
هويت ومن اهوى سواك وكنت لي	اذا السعد ولي ملجأ هابه النسر

(١٣٢٥ هـ)

هويتك قدما والهوى كلما صفا	تحكم واستولى كما يحكم الخمر ا
هويتك حبا والفؤاد متيم	فهل تسمحين اليوم بالوصل يا مصر ؟

هويتك لسن لا سبيل الى الالتقا
 مررت على ابوابك اليوم نازحا
 مررت على ابواب فسطاط عزنا
 لقد فتح الاسلام مصر وساسها
 هممت بوصل اذ تجلت فلم يكن
 يقول ألا لا تدخلوها فنى يدي
 وما هي لابن الباروني بمنزل
 واصدر المبوليس امراً مشدداً
 فنادت لسن لا حياة ولا صدى
 أأحياء قومي في جفاء وغفلة
 يحيط بكم سور من الضغط محكم
 اجيبوا فاني ازهري والاسدي
 اود بأن تنسل منكم عصابة
 وهل زدتم عزما وحزما ووحدة
 فتلقى عصا الترحال فيكم امامة
 ام انتم بسلم هائمون وزخرف
 تشيدون لابن العاص ذكرأ مغلداً
 وتعلمون للاجداد شأنا بكم
 وتحبون بالتمجيد قولاً مزوراً
 فان يك هذا فالوداع ولا ارى

وكيف وباب الشرق اغلقه الحمر
 وفي النفس امال يطول بها الشعر
 ولم اقترب منها وقد شاهدها عمرو
 وها الآن جورج قال يكفكم الزمر
 وكانت على الابواب من عذم امر
 مفتاحها والذل والطرد والقهر
 ولو يشنع القطبان او يسجد البدر
 فلاذوا بنا حتى ارتحلنا وهم بشر
 فقلت ومني كاد ينتثر الجسر
 ام انتم بسجن ارضه سندس خضر
 يهددكم زيد ويرعبكم بكر
 له من عباب الازهر التبر والدر
 تحدثنا : هل صح ذلك الصدر ؟
 يؤيدكم في حفظها الكر والنسر
 مقدسة علياء قد عضها الدهر
 يحل بكم جيش ويحميكم طير
 نعم هو قول لا يرى بعده ضر
 ولكن لأعمال لهم خضع البحر
 ماثر فرعون الذي ضمه القبر
 نجاحا و«كرزون» له النهى والامر

بيروت ٢١ ذي القعدة ١٣٤٢ - ٢٣ اوط ١٩٢٤

سليمان الباروني

الباروني باشا في الحجاز

في ٢٨ ذي القعدة ١٣٤٢ - ٣٠ اوت ١٩٢٤ وصل سعادة الباشا الباروني جدة . فوقع له من الحفاوة وحسن الاستقبال من حكومة جلالة الملك حسين ما يفوق الوصف .

ونحن ندعه هنا يصف ذلك بقلمه في رسالة خاصة لخاصة من اخوانه باسم السيد الحاج عمر العنق ايضا وهذا نصها :

حداً وصلاة — الاخوان الاجلاء حمائم الله . . . سلاما واحتراما

وصلت يوم ٢٨ ذي القعدة ١٣٤٢ الى جدة وما وضعت رجلي في البر حتى رأيت جماعة على كراسى عند ممر الحجاج من الباخرة الى البر يسألون هل فيكم « سليمان باشا الباروني ؟ » فأشار بعضهم الى فقاموا وسلموا قائلاً رئيسهم : انا الشريف طه معتمد صاحب الجلالة سيدنا أيده الله ، وقد أصرني باستقبالك والقيام بما فيه راحتك وراحة من في معيتك ، وهو يهنئك بالسلامة فشكرته . وفي الحال أمر اعدائه باخراج اشيائي واشيائي من معي من اشرف الشام من الجمرات بدون تفتيش وذهبنا الى بيته الذي خصصه لنزولي ، وهو مفروش منظم فوق ما يتصور .

وفي الحال كلمني رئيس ديوان الملك بالتليفون من مكة يهنئني بالسلامة ويبلغني سلام الملك فعرضت له تشكري ، ثم جاء بعض اعيان للسلام علي ، وحضر المطوفون فسألتهم عن محمد صالح مطوف بني ميزاب فقالوا انه مات من منذ ٢٠ سنة .

اما رفقاء الشاميون فسافروا في المساء — امس — مع عائلاتهم على الجمال اما انا وواحد منهم مسكته للانس في الطريق فسافر اليوم مساء على بغال او اوتوموبيل للحكومة حسبما يتيسر لمعتمد الملك .

وقد صدرت ارادة صاحب الجلالة بتوجيهي الى مكة في اوتومويل
خصوصي ايده الله .

فهذه وضعيتي الآن بعد ان تخلصت من اسر اوروبا والحمد لله على فضله .
وسأخبركم من مكة ان شاء الله فاستريحوا من جهتي والاعتماد على الله ،
فاني في اعزاز واكرام من طرف صاحب الجلالة حماه الله .

ولا ادرى من اين علم الملك بوجودي في البابور مع ان اسمي مقيد في البابور
بدون ذكر (الباروني) توقيا من اعتراض الانقليز .
وكنت في البابور التاسب تونسيا .

وقد أنس اعيان الشام بما رأوه من الاكرام بسبب وجودهم معي وزاد
احترامهم لي بعد ان فهموا الحقيقة .

ان رفقاءى الشاميين كانوا يعتقدون اني تونسى كما قلت لهم الا الذى
مسكته معي فقد فهم بالقوة بدون ان أقول له . وهو الذى اشار الي لما سأل
اعوان معتمد الملك عن اسمي . والسلام من اخيكم : سليمان الباروني

الباروني باشا يتم حجه

وبنال حظوة كبرى لدى جلالة الملك

ابلق الله لسعادة الباروني باشا امنية من اعز امانيه في الحياة وهى اداء فريضة
الحج في عام ١٣٤٢ هـ

ثم حظي لدى جلالة الملك حسين بحظوة كريمة : اذ احتف به كما يليق
بمقامه السامى ، واهدى اليه نيشانا من اكبر نيشاينه وهو نيشان :
(الاستقلال الهاشمي) كبرهان على تكريمه ، وهكذا عاقبة الصابرين ، وبقدر
الابتلاء يكون الجزاء .

والى الاخ الباحث رسالة يعبر فيها عن ذلك بنفسه خصص بها السيد الحاج عمر العنق . وهذا نصها :

جدة — ٢٠ ذى الحجة ١٣٤٢

السيد المحترم . . . السلام ، قد تم الحج ، نسأل الله قبوله . اليوم رجعت الى جدة في سيارة اوتوموبيل خصوصي من طرف جلالة الملك وقد قلدني نيشان (الاستقلال الهاشمي) وهو اكبر نيشان عنده ، ايده الله وحماه ، وبتوسط حكومته رخص لي الانكليز في الذهاب الى مسقط . ولم أقدم بيعة الخلافة كما بايع غيري . والسلام من اخيكم : سليمان الباروني

خواطر قد تختلج في الصدر

١ — يتساءل الاخ الباحث لماذا لم يبايع سمادة الباشا جلالة الملك بالخلافة كغيره ، وقد أحسن اليه وأنقذه من اسر اوروبا ؟ ويسر له اسباب الحج واكرم وفادته ، وقلده اكبر نيشان له الى غير ذلك من المزايا ؟
قلت : رغم ذلك كله لا يجوز غم ما كان بينهما من صداقة قديمة في دار الخلافة فان الباروني هو الباروني الثابت على مبادئه العالم بشريعته وبما تضمنه الدول الاستعمارية للإسلام من وراء ثورة الملك حسين على الخلافة العثمانية ، فهو لا ينسى له هذه الخطيئة بل يحمل في نفسه للملك حسين ما يحمل لتورته على الخلافة وهدمه للدولة الاسلامية العظمى .

ولكن لسياسة اساليب ومجاملات تقدر بمقايير الظروف وتوزن بموازين الضرورات .

واما العقائد والمبادئ فهي لا مطمع لزعزعتها من القلوب المعمورة بالايمان بها . وقد رأيت من قبل ، في تعليقات الباشا على قصيدته اشارة الى ذلك ، ورخصة الملك حسين بيده ، كما رأيت ايضا انه لما كتب له في شأن هذه

الرخصة رسالة ارفق معها نص مقاله ضد معاهدة الحجاز الحسينية الانكليزية المنشورة في جريدة الصواب التونسية حتى يعرفه جلالة الملك من هو واذا اعطاه الرخصة اعطاه عن بينة ، فاجابه الملك بحواب الملوك واعطاه الرخصة !

ومن يدري ان صنيع الملك مع الباروني باشا كان من باب اصطناع الرجال استمالة له لان يتصيد ثمنه ومبايعته وهو من هو في موازين الرجال ! فيعد عمل الباروني اذ ذاك كرد ضمني لتفجول الكتائب الناقدين لمسل الملك ازاء خليفته مثل الصحافي التقدير صاحب « مرشد الامة » التونسي الذي يعبر عن الملك حسين -- لاجل ما ذكرنا -- بأبي جهل القرن العشرين !

٢ — هنا يتساءل الاخ الباحث ما هو نظر سعادة الباشا الباروني نحو الدولة العثمانية التي يعد الساعي في هدمها خائناً في حق الاسلام ؟

قلت : ان للباروني باشا في شأن الدولة العثمانية عقيدة راسخة ونظراً واسعاً يتجاوز دائرة الوطنية العربية الضيقة الى اقصى افاق الوطنية الاسلامية الفسيحة وقد عبر عن رأيه فيها في سائر اطوار الشدة والرخاء منه منذ ابتلائه بمحنة السجن الى اوان حروبه المتتابة رغم تخليها عنه مراراً اوان الشدة في حروبه . ومن اروع تصريحاته في هذا الشأن قطعة من خطاب له وجهه سنة ١٩٢٠ الى الصحف العثمانية نقلتها عنها مدام بيرت جورج جوليس (١) في كتابها « الوطنية العثمانية » ونحن نقلها هنا من تعريب احمد رفعت صفحة ١٨٩ . قالت تحت العنوان الآتي :

البلاد العثمانية المركز الادبي للاسلام

« . . . وهكذا اصبحت الوطنية العثمانية ، كما قال عذها الزعيم الطرابلسي

سليمان الباروني :

(١) هي الكتابة الفرنسية المشهورة : بولانها للعثمانيين .

« ان السلاطة العثمانية المستقلة كانت عامل التمانينة والسلام في العالم الاسلامي »
 وبمحاولة السياسة الانكليزية أن تستأصل شافة هذا العامل صارت سبباً
 لأن تصبح الوطنية العثمانية ممثلة قوة ارادة العالم الاسلامي المنتشرة في جميع
 البقاع الخافلة بالشعوب الاسلامية . وقالت : ان هذه الكلمات التي صار التفكير
 فيها وتحريرها من قبل اعظم المفكرين تبصراً وبعد نظر ، والسنى تعتبر في اول
 مسكاة من الملاحظة والاختبار تلخص حقيقة الحالة الراهنة . الخ
 ٣ — ويمكن ان يتساءل الاخ الباحث ايضا : لماذا رخصت انقلتيراً للباشا
 الباروني الذهاب الى مسقط - عمان - ولم ترخص له الدخول الى مصر رغم المساعي
 المبذولة في هذا الشأن ؟

قلت — ان من يعرف مكر الانقليز لا يستغرب من ذلك ، فالفرق كبير
 بين جو مصر وجو عمان ، والمثل العامى يقول :
 « اذا غلبك بالمال دل عليه شري الجمال . وبذا غلبك بالرجال دل اعليه ابلاد
 اثم ، وبذا غلبك بالرأى دل عليه كثرة النساء (١)
 وهل تشتهي انقلتيراً الماكرة لسعادة البارونى باشا نهاية اشد مرارة وخطورة
 من نهايته بعمان ؟

نعم نحن لا ننكر ان هناك اسبابا اخرى جعلت انقلتيراً تمانع دخول الباشا
 لمصر دون عمان كصناعة إيطاليا وعلى رأسها « موسولينى » الجبار ، ولكن
 لا بد للسبب الاول حظ من النظر في نفس الماكرين الانقليز !
 والا فان للبارونى باشا من العصية القوية فى عمان ما ليس له فى مصر .

(١) ذلك لان فى موت جمل واحد من الحسارة اكبر مافي موت رهوس من الغنم ، ولان
 بلاد النعم - اوباء - تصعد الرجال حصدا ، ولان كثرة النساء تفسد عن الحصىف رابه وتوش
 عنه خطه وذلك كل ما ينبغي العدو لعدوه .

الباروني باشا في عمان

طبقا لترخيص الانقليز لذهاب الباروني باشا الى عمان يسمى من حكومة جلالة الملك حسين ، فقد سافر في اواخر ذي الحجة ١٣٤٢ الى مسقط ، وفي نفسه من الآلام والآمال ما فيها .

اما عمان — فقد اهتزت حكومة وشعبا بمقدمه السعيد ، وعبر عن عميق سروره به بما ستره :

١ — حينما وقعت الباخرة به في ميناء مسقط طلع اليها وزراء حكومتها لملافة سعادة الباروني باشا هناك ترحيبا بمقدمه الميمون ، فكانت ساعة ابهة وجلال وجمال .

٢ — بما ان جلالة السلطان السيد تيمور غائب اذ ذاك في الهذ قد ارسل اليه برقية تهنئة وترحيب ، وهذا نصها :

« قدوم مبارك لبلادنا ، ارجو ان شعبي قد استقبلكم بكل احترام »

تيمور

٧ محرم ١٣٤٣

٣ — ثم ارسل اليه كذلك عظمة الامام الخليلي رسالة كريمة ترحيبا به واستدعاء لضيافته وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من امام المسلمين محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي الى اخيه ذي الشرف الباذخ والمجد الصاخ المجاهد في الله ، الحامي لدينه « سليمان بن عبد الله الباروني »
اما بعد — فانا نحمد الله اليك لا زلت اخانا محافظا شرف حريتك ساعدا في عز استقلال بلادك . الا وان اعلام مجدك منشورة وسيوف عدلك مشهورة فله درك حيث انت ، هكذا هكذا والا فلا لا .

الداعي لتحرير الكتاب اليك بعد اهداء السلام والتحية والاكرام اعلامك بان
اخوانك اهل عمان مسرورون بسلامتك وصحتك مستبشرون بقدمك وطلعتك
وقد وجهنا اليك هذا الرسول طالبين منك الوصول على بركة الله زائرا اخوانك
مشرفا او طائفا ، فاضرب لنا موعداً لتوجه اليك رجالا من الخاصة رفقاء الطريق
واخبر رسولنا بكل ما يلزم لنحيط بذلك علما ، والله الميسر . والسلام

حرر في ١٣ محرم سنة ١٣٤٣

وعقب ذلك كتب الينا الباروني باشا ما يلي :

الاخوان الافاضل - السلام

ارسلت اليكم تفصيل ما حصل من استقبالي من طرف حكومة مسقط الجليلة
مع بعض ما تلي من القصائد عقب الضيافة الملوكية (١)
وها هي صورة الكتاب الوارد من حضرة امام عمان وصورة تلمذراف
جلالة السلطان .

فليقرأ الذين ظنوا انهم سدوا ابواب الارض والسماء في وجهي .
ارجو القامحة على ضريح الامام الاستاذ القطب برد الله الله ضريحه .
سليمان الباروني

الباروني باشا في مهرجان الاستقبال

ان مهرجان الاستقبال الذي اقامته بلاد مسقط وعمان حكومة وشعبا لسماعة
الباروني باشا لا يدخل تحت وصف ، ابهة وجلالا وجلالا ، لما اشتمل عليه من
مواكب نخمة ومثاب فاخرة ، ولما قيل فيه من بليغ النثر وبديع الشعر وغير ذلك
وحسبنا من ذلك نشر ما دبحه البلغاء من الخطباء والشعراء تسجيلا
وتصويرا للواقع .

وفيما يلي تعرض على انظار غواة الاطلاع شريطا من ذلك متتابعا على الترتيب التاريخي قدر الامكان ، فان في شريط الشعراء كغاية عن شريط السينما !
١- في ٧ محرم ١٣٤٣ - اقام الامير نادر اخو السلطان السيد تيمور ووكيله بمسقط مأدبة ملوكية فاخرة للباشا الباروني حضرها الوزراء والعلماء والولاة كافة في قصره العاصر . وتليت فيها خطب وقصائد بلديعة ، نخص بالذكر من بينها القصديتين الآتيتين :

الاولى انشدها الشاعر البليغ العلامة الشيخ ابو سلام سليمان بن سعيد بن ناصر الكسندي رفيق الباشا في تذقلاته وهذا نصها : (١)

نسمة البشر هيجت لي فؤادي	تركنتني اهيم في كل واد
لست ادري ماذا اقول لما قد	نلت من عظيم كل المراد
فسكأني شربت كاس مدام	أو كـأني علوت ظهر جواد
ليس هذا الهيام ذكراي ليلي	حاشا ربى ولا لذكر سعاد
بل هيامي لما انتشقت نسيما	من « سليمان » هام مني فؤادي
هذه هذه البشائر جاءت	تتهادى وبالسرور تنادي
ذا التفتي « البروني » جاء هاموا	يا لقومي للثم تلك الايادي
صحت في الحلي يا لقومي هبوا	ذا « سليمان » مصدر الورد
اصبحت مسقط بوصلك تسمو	بفخار على جميع البلاد
بوركت ارضها ونارت سماها	يا كريم الاباء والاجداد
انت قطب الحروب انت رحاها !	وحسام يقدهام الاعادي
انت شمس العلوم انت سماها	بك قامت دعائم الارشاد
لست ترضى غير العالي محلا	تترقى بها عن الاوتاد

كم بحار مخزنها بعزوم وصحار قطعتها باجتهاد
هكذا تدرك العالي بجهد لا بهجز ولا بكسر الرقاد
جئت تسمى الى المليك اشتيافا بك اهلا من قادم بالوداد
ذا ملك الزمان شمس علاها سيد العرب ملجأ للعباد
ذاك « تيمور » نجل فيصل شهم باسط الكف فاضح للفسوادي
عرف الناس قدره فتراه لدوى العلم جامع ومناد
فهنيئا لاهل مسقط طرا رعمان وكل قطر وناد !
بقدم « البروني » خير كريم من بنى العرب صنوة الابداد
ان يوم القدوم يوم عظيم فارسموه من جملة الاعياد

* * * *

الثانية — انشدها تهنئة وترحيبا ومدحا لحضرة العلامة الباسل الشيخ سليمان
باشا الباروني بقدمه الى صاحب الجلالة السلطان السيد تيمور بن فيصل بالعاصمة
« مسقط » الشاعر المجيد الشيخ عيسى بن صالح بن عامر الطيدواني . وهذا نصها

بشراي قد وصل الحبيب الهاجر من بعد ما حذت اليه ضمائر
وافى وقد وافى السرور تزفه نحو البلاد طلائع وبشائر
تاهت عمان به غفارا مثلها اشتاقت اليه محافل ومنابر
طارت به لعمان وشكا غيرة وحمية منه وحب ظاهر
اهلا به فالتاس ترقب وصله شوقا فقد شخصت اليه نواظر
وعلت به شرفا واشرق نورها وانجباب عندها جناح ليل عاكر
اعني « سليمان » بن عبدالله من بهر الوري فهو الضياء الباهر
ذاك « البروني » الذي شاد العن فله باقصى الارض صيت طائر
غواص دا ماء العلوم مهذب تحدث عليه قبائل وعشائر

خدم الديانة والعدالة خدمة
 شهيم نما من دوحة الشرف التي
 كم من جيوش جرّها وصواهل
 وكتيبة قد لقاها بكستيبه
 شهدت له الطليان موقف باسه
 نصر الحقيقة جاهداً بلسانه
 ولقد قفا اثرا لاسلاف له
 بلج وابرهة الهجانب وافلج
 فهم بنوا للدين مجدداً شاعخا
 فالله يشكر فعله ويمده
 قد عاش لا هم له الا لكي
 دم يا سليمان بن عبد الله مذ
 فلمقد حلت جوار من ساد الورى
 نجل المملك فيحصل من كفه
 من ال سلطان الالى سادوا الورى
 مني السلام عليك وهو تحية

فكأنه عمر الرضي وعامر (١)
 هو غصنها الزاكي المنيذ الفاضر
 وطأت لها هام المعدة حوافر
 في الله لا في الناس فهو الظافر
 لله ذياك المقام الشاهر
 وسنانه فهو الحسام الباتر
 درجوا وقد بقي الثناء العاطر
 وسليل عوف في الهياج قساور
 وهم بدور في الظلام سوافر
 بالعوف فهو له المعين الناصر
 تعلو لدين المسلمين شعائر
 صوراً يسدك الالاه القاهر
 تيمور من هو ليث غاب خادر
 للمعنفين سحاب فضل ماطر
 فاهم مناقب كالنجوم زواهر
 من ذا النظام بها تحلى الآخر (٢)

٢ - في مطرح

في يوم الجمعة الاخيرة من شهر المحرم سنة ١٣٤٣ ، أقام السيد محمد بن احمد
 وزير المالية لحكومة مسقط مأدبة فاخرة لسعادة الباروني باشا في مدينة مطرح
 جمعت من صنوف الجلال والجمال ما يبقى غرة في جبين التاريخ لتلك الايام الزاهرة

(١) عامر ابو عبدة بن الجراح أمين الامة رضى الله عنه .

(٢) حررها في ٦ محرم ١٣٤٣ - ٨ أغسطس ١٩٢٤ .

مما سجله بمداد الفخر والاعجاب سعادة الباروني نفسه وشاعره البليغ ، وفيما يلي نص ذلك : قال الباشا في رسالة منه إلينا :

جداً وصلاة وسلاماً

مسقط — ٣٠ المحرم ١٣٤٣

كان يوم الجمعة الاخيرة من شهر المحرم ١٣٤٣ من الايام المشهودة في مدينة مطرح التي تبعد عن مسقط بنحو نصف ساعة على طريق البحر ، وذلك ان السيد محمد بن احمد وزير مالية حكومة مسقط أقام مأدبة فاخرة في مطرح اكراما لنا دعا إليها سمو الامير نادر وكيل جلالة السلطان واصحاب السمو امراء العائلة السلطانية والوزراء والعمام واعيان مسقط ومطرح على اختلاط عناصرهم ومذاهبهم فكان مجموع المدعوين مائة وخمسين شخصا .

وما وصلت الساعة السادسة حتى بدأ المدعون يفسدون في زوارقهم على مرسى مطرح والاهالي من كبير الى صغير واقفون صفوفاً يحيونهم وفي الساعة السابعة وصلنا نحن والامير نادر والسيد علي بن سالم اكبر امراء العائلة سنا في زورق خاص بالامير نادر وراية المملكة الحمراء ترفرف فوق رؤوسنا وبعد ان استقبلنا الحاضرون على الرصيف قصدنا محل الضيافة وهو قصر جميل ، وبعد ختام الطعام اجتمع الحاضرون في مجلس واحد فسيح مشرف على البحر وادبرت الخلواء والقهوة حسب العادة ، ثم وقف الشاب الاديب الشيخ احمد بن الشيخ سعيد الكندي وتلا باسم الوزير خطبة جميلة ثم انشد القصيدة الآتية (١) التي نالت استحسانا من الحاضرين ، وعلى اثر ذلك وقعت وارتجلت خطبة مختصرة مناسبة للمقام قابلاها الحاضرون باحترام ثم عاد كل احد الى محله وهم مسرورون . ثم قال اليوم وردت كتب وقصائد غراء من نواحي عمان التابعة للامام ، ارسلها

(١) وهي من نظم الشيخ سليمان بن سعيد الكندي

اليكم فيما بعد ان شاء الله اعيدوا ما كنت اكتبه اليكم من باريس ومرسيليا
واعتبروا في صنع الله .
اخوكم : سليمان الباروني

واما القصيدة فهذا نصها :

أرى اليوم اعلاما بمطرح تنشر
سرور وافراح تقام وكاسة
اسائل ما هذا السرور الذي أرى
ف قيل الفتى «الباروني» حل ركابه
فقلت وقد هام الفؤاد بذكره
نزلت على الشهم الوزير بمطرح
فكم من يد لما رأته مشيرة
تسائل اجلالا وترقب هيبه
أهكذا سليمان البروني الذي علت
كفى العرب غفرا انت مذهبهم وكيف لا
رأت دول الاحلاف أسرك راحة
ولكن نخر العرب من مال هاشم
ففتت بحج رغم انف اعتراضهم
فشكرا لحامي القبيلتين الذي غدت
واهلا وسهلا يا سليمان مرحبا
لتفاك من نال العلا منبج الحيا
محمد محمود من شهدت له
حباه ملك العصر تيمور عزنا
واختم قولي بالتهاني لجمعنا

ترفف بالبشرى وصحفا تحبر
تدار وانوار الرياحين تنشر
بمطرح والاقوام فيها تبختر
لدى السيد المفضل ليت غضفر
على الرب يا مقدم حياك معشر
دعاك وقد لبيت فآله اكبر
وكم من عيون بالمحبة تنظر
وتضمر اعظاما وعن ذاك تحبر
بحامده هذا الهمام المدير
وانت ابو الهيجاء للحرب مسعر
فأبقتك في باريس كالبيت زار
حسين المليك العضب صال فبعثوا
وشرفت اقطاراً بذكرك تسكر
له في قلوب المسلمين منابر
حللت محلا دونه النجم يقصر
اذا ضن ماء السحب يمانه تطر
نزار بما لاقت وتغخر حمير
فولاه فليغخر بذلك مفخر
الا فاجعلوه كل عام يقدر

٣ - سمائل ترحب بفخامة الباشا

لما بلغ مسامع العلامة الشيخ احمد بن عبيد السليمي قاضى امام المسلمين
بسمائل من بلاد عمان خبر قدوم سعادة الباشا الباروني لمسقط أرسل اليه القصيدة
الآتية مهنئاً ومرحباً تحت العنوان اعلاه ، قال ما نصه :

ابشر فهذا الدهر اصبح منعما	وادار افلاك السمود تكرما
وصفا الزمان واشرقت انواره	من بعد ما قد كان ليلا مظما
جاء البشير مهنئاً من مسقط	بوصول يوسف عصره مقدما
تاهت به من قبل مصر واهلها	وروت لنا عنه الفخار مترجا
حسبي سليمان بن عبد الله من	خطبت منابره فأخرست النما
أسد يذب عن الحرمين بسيفه	متوقد الجرات حرا مسلما
كم غارة قد فلتت هاماتها	غاراته واستوطنتها سلما
كادت تهز الجن رأية بأسه	وتجر أيدي الانس منه عرمرما
شهدت وجوه الحق ان صفاته	لم ترض غير العدل منها مغنما
واذا المكرم ترفعت هامة	لا شك يمضى امرها متجشما
من للصيانة والزمان محارب	يسعى اليه كالهزبر غشمشما
دول على رق الانام تحالفت	وغدت توزعه اليها اسهما
سحرت عقولا بالصلاح فحسبها	من فتنة بفسادها لأولي العمى
واه على الاسلام كيف تمزقت	أعراضه وسناه قد بلغ السما
لله در نفوسة فى نسلها	قد أرضعت للمجد، أشرف منتها
يا من يشق البحر عند عبابه	وجرى عليه كأنه بحر طما
لا زلت تمتحن الليالي خارقا	جلباها كالبدن يحجو الغيما
ومسهداً منها عيوننا طالما	طرق الكرا اجفانها وتسما

انت الذي رفع الجهاد قناته وسما بملته ففاق الانجما
هذي عيون عمان شاخصة الى انيالك تلتظير السواد الاعظما
أبدا تحن الى وصالك فانتظم في سلكها تجدد الحماية والحمى
لا زال افق الغرب يستطع بالسنا شرفا وينطق بالهدى مترنما
خذها تحية مخلص قد حاكها ! سمطا من الدر الثمين منظما

حرر في ٢٩ محرم الحرام ١٣٤٣

٤ - زنجبار تهنيء سعادة الباروني باشا

وردت من زنجبار القصيدة الآتية تهنيئة لسعادة الباروني باشا من نظم
الاديب الشاعر الشيخ صالح بن علي الخلاسي حررها في ٢٢ صفر ١٣٤٣ ونصها:

اهلا بطلمة سيد الامراء ليث العربين وصفوة العظماء
من زار مسقط فاكتست شرفه فلك الهناء يا مسقط الفضلاء
فكأن عيد الفطر يوم قدومه فالناس في جذل وفي سراء
نفسى تحن الى امتداح جنابه لكنها كلت عن الاحصاء
أعنى سليمان البروني الذي قد فاز بالاقدام في الهيجا
جاء البلاد حزونها وسهوها طلبا لنصر الحق والاعلاء
لم يشته في الله اى صعوبة وكذا تكون طريقة النجباء
ساد الرجال بعزمه وبسيغته متقلداً بالهمة القساء
متقدم فى قومه لجلاله فتراه فى التقديم مثل الباء
نعم الفتى من جد فى طلب العلا فسمت به شرفا الى الجوزاء
قد باع نفسها للالاء مجاهداً ليقيم دين الله ذي الآلاء
ان كنت تجهل باسمه فهو الذي قد شئت الطليان فى البيداء

وغدا يحول كحمزة يوم الوغى ويرى كمين القوم مثل هباء
اهلا به من قادم متفضل بزيارة الاخيار والنبلاء
دم يا ابن عبد الله مغبوطا بما اولاك ربك من عظيم علاه
متقيئا ظل السعادة راقيا اوج العلا متمتعا برخاء
والى هنا تم النظام وقد رسا قلم المديح المحتوي لثناءي
نظم الخلاسي الفقير اتى به مدحا لكم والمدح خير عطاء

٥ - في سياحته بعمان

ترادفت على الباروني باشا دعوات الى زيارة بلاد عمان ، فعقد اول رحلة من مسقط تلبية لتلك الدعوات وتبديلا للهواء ، حيث بدأ يزوره المرض حسبما ينسبه فيما بعد ، وقد كتب الى بعض اخوانه عن هذه الرحلة هذه الرسالة ، ونصها :

حمداً وصلاة — روي - ٢٩ صفر ١٣٤٣

اخوان الصفا الاجلاء . السلام

امس خرجت من مسقط للسياحة وتبديل الهواء فوصلت مساء بلدة روي وبناء على طلب جماعتها أقمنا اليوم فيها وفي المساء نتقدم وقد هيأت الحكومة في كل بلاد ما يلزم لراحتنا وتم الشفاء من المرض والحمد لله .

وصلني كتابك ايها الاخ الجليل فله انت اذ سبقت الاخوان بتونس فانه لم يصلني منهم شيء الى الآن مع اني لم اقطع عنهم الكتابة من يوم خروجي من مرسيليا . الاخوان هنا ورجال الحكومة يهدونكم التحية وقد بلغتهم سلامكم ومن قبل هذا أرسلت اليكم نذاكر رسم مسقط . لا تقطع الكتابة كل اسبوع لعلمكم اطلعتم على ما كتبت به جريدة الاخبار المصرية عن سياحتنا . وسلم على رفيقك والاخوان . حرره اخوكم سليمان الباروني

٦ - الباروني باشا في بلدة العامرات

لما وصل سعادته بلدة العامرات انشد مرتجلاً حضرة الفاضل الهمام الشيخ
محمد بن سيف السعدي كاتب سمو الامير السيد احمد بن فيصل والي صحرار
القصيدة الآتية مهنئاً لسعادة الباشا . وهذا نصها :

بنا من سرور لا تعد غرائب	وانس عظيم لا تعد عجائب
باقبال تحرير اضاءت شمس	علينا وبحر قد اجاشت غواربه
وكنا نرجى قبل ذا اليوم وصله	فهذا هو اليوم الذي انا راقبه
فحين آتى الباروني ساحة ملكنا	تضاحك هذا الدهر وارتاح جانبه
هو القمر الساري الذي بطلوعه	ازال الدجى عنا وولت غياهبه
اضاء به هذا المكان فاصبحت	بطلعته العظمى تجل مرائبه
الا يا سليمان الهمام ومن له	مواقف حرب ملؤهن كتابه
لقد حزت كل الفخر عن كل مفخر	وشيدت ركنا للعلا عز كاسبه
ولا زالت البلدان تطرب وصله	فهذي به تسمو وتلك تخاطبه
وهذي بلاد العامرات تظاولت	الى النجم نغراً اذا انتها ركائبه
بلاد اذا ما الضيف حط رحاله	بساحتها جاءت اليه رغائبه
تهني عمان كلها ثم « مسقط »	تهني به مذ يعمتها سرايبه
أقام بها في موقع الضيف عندها	اذا وهب الدنيا استقلت مواهبه
ملك له بين الملوك مهابة	اذا ما استقلت للمعالي مواكبه
همام نما من دوحة الملك فاستوى	على هامة الجوزاء فاعتز صاحبه
كأن يدي تيمور للضيف اصبحت	تسح له درأ هناك سحائبه
ودم يا ابن عبد الله بالعز دائما	ولا زلت في مجد من الله طالبه

٧ - الباروني باشا في بوشر

لما قدم الباروني الى بلدة بوشر مدينة العلامة الجليل الشيخ عيسى بن صالح
الطيواني احد قضاة حكومة مسقط ، أنشد هذا العالم الجليل والشاعر النابغة
القصيدة الآتية مرحبا بالمجاهد الكبير سعادة الباروني باشا ، وذلك في ٢ ربيع
الانور ١٣٤٣ . وهذا نصها :

اهلا بطلمة باسل مقدم	ليث اذا اشتجر القنا بسام
اهلا بمن حاط الثغور بسيفه	وحى الحمى بمدافع وحسام
اهلا بمن فض الجيوش بعزمه	واراق في العليا كاس منام
اهلا بمن عم السرور بوصله	كل البلاد وكل شىء نام
شهدت بسطوته الوغى لله ما	ابداه من عزم ومن اقدام
فان اعتلى من الصواهل مفردا	فلكم لهام لقه بلهام
وان امتطى العواص يقطع لجة	قاد الاعادي للقنا بزمام
هذا البرونى الذي شاد العلا	وبنى على الجوزا رفيع مقام
شرفت «بوشر» يا ابن عبدالله اذ	أشرقت فيها مثل بدر تمام
فبيوم وصلك بوشرا قد بوشرت	بالخير والاسعاد والانعام
تاهت لخاراً ففى منك بقبضة	وعلت على هام السماء السامى
فلقد نهضت مدافعا كالليث عن	وطن وقت بذاك خير قيام
قدت الخيس الى الاعادي راغبا	في الله منتظما بحسن نظام
الدين ما قد قت فيه ناهجا	لا لبس - مذطقة وشد حزام
فلئن نزحت عن الربوع فهذه	هي ربك الأهول بالاكرام
القوم قومك باتحاد جامع	وروابط من غابر الاعوام

فالاهل نحن وان تنامت دارنا لم لا ؟ ودين الحق خير وثام
 انا ليجمعنا بكم صدق الاخا واواصر كواصر الارحام
 تصبو القلوب لذ كرم شوقا كما يصبو الذديم لشرب كأس مدام
 الدين اعظم رابط بين السورى واجل جامعة لحسن ختام

٨ - الباروني باشا فى بلد فنجا

لما وصل سعادته فى بلد فنجا من مدن عمان انشدت بين يديه القصيدة الآتية ولم يذكر لنا اسم منشدها وذلك فى ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٤٣ ونصها

أهلا بطلعة عمدة الاسلام غوث الورى والسادة الاعلام
 أهلا وسهلا بالجميل ومرحبا حيثهم بالرحب والاكرام
 هذي البلاد واهلها قد اصبحوا فى غبطة بتقدم ذي الاقدام
 ليت العربى ابو الفوارس من غدا يغرى العدا بقتال وحسام
 ذاك البرونى الذى شهدت له دول الاجانب بالمحل السامى
 أنزل سليمان الهمام فهذه ارض مقدسة عن الاوهام
 أنزل فانا منذ عهد نبينا لم ترض غير حماية الاسلام
 أنزل لدينا فالامام — محمد سيف الالاء وللبلاد محام
 لا زال يرقب منك بدرأ طالما بالسعد والاقبال والانعام
 هذي عمان واهلها فى عزة بتقدمكم فى موكب ونظام

٩ - الباروني باشا فى حضرة امام المسلمين بمسائل

لما وصل سعادته مدينة مسائل أنشد العلامة الورع الشيخ محمد بن صالح الطاءى أحد قضاة مسقط ، القصيدة الآتية بين يدي امام المسلمين ابى عبد الله محمد بن عبد الله الخليلى الخروصي وقت ملاقاته لحضرة المقدم العلامة الهمام سليمان باشا

الباروني في موكب رهيب من العلماء وقادة الجيش ، وذلك يوم ١٨ ربيع الاول
١٣٤٣ . وهذا نصها :

اهلا بليت الجحفل الجرار	مروى العدا بحسامه البتار
اهلا بمنصور اللواعلي الذرى	جلد لكل كربة صبار
كهف الندى غيث اذا ضن الحيا	جاذت يداه بديمة مذار
اهلا بمن شهدت له اعداؤه	والري مثل الوايل الفوار
حتى غدوا من باسه في حسرة	وتشت وكثابة ودمار
فلئن اتيج لهم مرام في الذى	قد املوا بسوابق الاقدار
لا يطمنئذوا ، امنين فانما	تحت الرماد بقية من نار
ايه بنى الطليان كيف قراركم	في ارض قوم كالا سودضوار
ءال البروني شدتهم صرح الهدى	ورفعتهم منه رفيع منار
نحرا سليمان بن عبد الله قد	بهرت صفاتك ناظم الاشعار
حييت يا بطل العلى من زائر	أنزل بخير حمى وخير مزار
هذي عمان دار قومك طالما	غبطت نفوسة فيك مذاصهار
شرفت سماء اذنزلت بسرحها	بجوار نحر العرب خير جوار
أعني امام السامعين محمدا	عين الزمان وصفوة الابرار
من بعدما شرفت مسقطنازلا	بحمى ملك سيد مغوار
هذا وخير صلاة ربى دائما	لذنيه وحبيبه المختار
والآل والاصحاب ما سجدت على	فنن الغصون سواجع الاطيار

١٠ - الباروني باشا في بلدة وابل من وادي بني رواحه

لما وصل سعادته في بلدة وابل من وادي بني رواحه وهم من عبس نزل في منزل السري الكريم الشيخ محمد بن حارث الرواحي فقال شاعرهم القصيدة الآتية ترحيبا بقدوم العلامة الجليل الشيخ سليمان باشا الباروني في ٢٥ ربيع الانور ١٣٤٣ ، وهذا نصها من غير ذكر الشاعر المجيد :

أهذا الذي بالغرب عمت فضائله	وطارت الى شرق البلاد شمائله
وحامي عن الدين الحنيف بسيفه	وشيد ركنا للعلا عز نائله
شجاع اذا ما جئته في مامة	رايت من الاقدام ما انت جاهله
جواد اذا ما سيل يوما لحاجة	أفاضت من الدر الثمين أنامله
هو البحر بحر العلم غص فيه تلتقط	جواهره واقصده يغنك نائله
فكم هزم الاعداء في صدماته	واوقفهم لما يجد من يناضله
وكم كرة في المشركين أتى بها	وان اوقدوا ناراً طمعتها ذوابله
حسام لدين الله لم تنن عزمه	صواعق ارباب العدا ومعاوله
فلم تننه في الله لومة لائم	ولا اوقفته عن علاه عواذله
هو الاسد السكارار في حومة الوغى	اذ اشتبكت سمر القنا ومناصله
لقد اصبحت ايطاليا في مهانة	لما شاهدت من بأسه اذ تقابله
«سليمان» شرفت البلاد واهلها	واصبح كل الناس ذا الانس شامله
تلقاك مقدم البلاد مرحبا	فصاحته في موكب حار ناقله
نزلت فخيتك المدافع في الذرى	وجاءتك من كل البلاد قبائله
وعبس هم للمكرمات بدورها	وهم للندى اطواده ومناهله
ودم يا سليمان المهذب سالما	مدى الدهر ما سجب تحدر والته

١١ - الباروني باشا فى بلدة الجناة

لما وصل سعادته بلدة « الجناة » من وادي بنى رواحيه من عيس نزل فى ضيافة رئيس قومه الشيخ الماجد احمد بن حامد الراشدي الرواحي فأشدد شاعرهم القصيدة البليغة الآتية مصدرة بالكلمة الآتية قائلا : تقدم لطلعة الشهرم الجليل علامة المعقول والمنقول الشيخ سليمان باشا الباروني . وذلك فى ٢٦ ربيع الانور ١٣٤٣ . وهذا نصها ، ولكن من غير ذكر شاعرها البليغ النابغة الذي يعد بحق أمير شعراء عمان بلا منازع :

ما للمدافع والبنادق تنطق	والخيل تمرح والصوارم تدبرق
والناس فى فرح واعياد وفى	بشر ورايات الامامة تخفق
والارض ترجف والسيار تبسمت	والغصن يرقص والحمام يصغسق
العيد أقبل ام هلال سعادة	وهداية فى كل افق يشرق
بطل الحروب ابو الفوارس من غدا	فوق الحجرة والسماك يحلق
اسد يكر اذ الحروب تأججت	نارا ومنه اخو البسالة ينفرق
كشاف كل مهمة وهاب كـ	ل فضيلة فتاح باب يغلق
ذاك البروني الذي أروى العدا	بخسامه البتار فهو موفق
ذاك ابن عبد الله من شرفت به	كل النواحي غربها والمشرق
جنت الجناة من السرور فأصبحت	فى غبطة افضالها تتدفق
بشرى بنى عيس بيوم قدومه	يوم عظيم نوره يتألق
يا مرشد الامم السياسة والهدى	ارشد عمان فانت هاد مرفق
ولطالما حنت لوصلك ترتجي	ما املته وانت حر مشفق
ايد امام المسلمين محمدا	واعضده فهو لذاك صب شيق

الله يسعدكم على نشر الهدى وبمصدق بالضر منه فيلق
حتى نرى الرايات تنشر في الدلا ونرى دماء ذوي المطامع تهرق !

١٢ - الباروني باشا في بلدة « الدريز » بلدة البروانيين

لما وصل سعادته بلدة « الدريز » بلدة البروانيين قبيلة سعادته عند بعض
المؤرخين كما سبق انشد العالم الفاضل الشاعر الناصر الشيخ سمود بن حميد القصيدة
الآتية ابن دوي المدافع ورزين البنادق وهتاف الاناشيد الوطنية ، وبعد ان ألم
بجسمه اللطيف مرض فعوفي والله الحمد ، وذلك في اوائل جمادى الاولى ١٣٤٣
وهذا نصها :

الحمد لله لا يبؤس ولا ستم المجد عوفي اذ عوفيت والكرم
وزادك الله اجالا وعافية وزال عنك الى اعدائك الالم
وما اخصك في بره بتهنئة اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

هذه نغفات سحر حلال نطق بها لسان الحال ، شكراً لحضرتك الكريمة في
هذا اليوم السعيد ، الذي هو للمسلمين أعظم عيد ، وماذا عسى ان ينظم الناظم
وينثر النثر المجيد ، ومثارك البهية تنادي هل من مزيد ؟

اهلا بهذا الطالع السعيد اهلا بهذا التوب الحميد
اهلا بهذا السيد العميد اهلا بهذا البطل الصديد

لا زال في يمن وفي تسديد

اهلا بمن قد شرف البلادا ومن به هذا الزمان جادا
بشرى لنا نلنا به المراد من مثل هذا الايت اذ تهادي

مختال بالرايات والبنود

من كسليمان اذا ما نادى الى البراز الليث اذ نمدى
قسمه بين النور زادا واردف الطعان والجلادا
لازال في نصر وفي تأييد

له المعالي اعطت القيادة بحمي الحفاظ وبرى الجهادا
من خير ما المرء به استفادا فتي الى الحق دعا ونادى
قد ارتقى منازل السعود

هذي الدريز تشكر الوصولا تأرجت رياحها قبولا
فكادت الحيطان ان تميل شوقا الى اكفكم تقبيل
شمارها سميذاً لذي الجود

وكيف لا ونسب الباروني ليط بهم كالألقا المسكون
أكرم به من نسب مصون سواء البرواني والبروني
يا حبذا بالحسب الحميد

وحبذا الذئب والمناسب علت بكل في الملا المراتب
عندهم فعل الجليل واجب فهذه لعمرك المتعاقب
وكم لهم من مفخر عتيد

ولعمان كلها الفخار به فقد شرفها المزار
اما تراها هزها استبشار فالدهر بالسعد لها دوار
تعودت لطفاً من المجيد

على السما علا لها المنار اذ قام بالحق لها انصار
واعترفت بفضلها الامصار سح عليها الوايل المدرار
بديمة ترجف بالعود

ونسأل المنان نصراً عاجلاً به يوازر الامام العادلاً
 ويفتحن عليه فتحة كاملاً ءامين يامن لا يحجب الآملاً
 يا خير مأمول بلا تقييد

وابق لنا اميرنا المرضيا عيسى الهمام السند الوليا
 واجعل إلهي عيشه مرضيا بحاجه خير خلقه النبيا
 وءاله وصحبه الشهود

أثر هذه المهرجانات في نفس الباروني باشا

وسط هذه الموجة الماثية احساساً وشعوراً نحو زيارات الباشا لبلاد عمان ،
 والتي حركت حرارتها عواطف الشعب العماني الذليل نحو ضيفه الكريم ، فانبعث
 الخطباء والشعراء يتبارون على منابر الخطابة والشعر في الاعراب عن احساساتهم
 الفياضة ، كما انبعثت المدافع في السذرى تدوي الافاق فرحاً بمقدمه الجليل ،
 والرايات تخرق به فرحاً فوق ربواتها .

وسط هذه الموجة يكتب البنا رسالة متواضعة تحرك شعور شعراء المغرب
 كما حرك بنفسه شعراء المشرق ، فألغش بها رابطة طالما تراخت ببعده الزمان
 والمكان .

وقد حررها في ١٧ رجب ١٣٤٣ وهو على وشك الرجوع من سياحته
 الميمونة التي استغرقت نحو اربعة اشهر ونصف ، وقد رأيت في تغفلاته فيها مبلغ
 شعور الشعب العماني نحوه وما قيل فيه من جيد الشعر . وهذا نص الرسالة :

حمداً وصلابة — اخوان الصفا وفقهم الله .

السلام عليكم - وصاني كتاب الاخ أبي اليقظان المعجب ، فتخاطفته الايدي
 لنقله ، والى الآن لم يعد الي . ولذا نسيت مضمونه لانه وصلني واني في المرض

الآخر ايضا الذي أعقبه الشفاء الصحيح على ما يظهر ان شاء الله منذ ٥ ايام .
وبوم ١٧ رجب اعود الى مسقط لانتظار عظمة السلطان اياي ، ومنها
اكتب اليكم مفصلا فلا تقطعوا المكاتبه .

وقد وصلي « الصواب » الآخر وشكرت فضله هو والاخ سعيد بن عمر
الا اني لا اريد فتح باب المناقشة فيما يتعلق بي مع اوباش لاقيمة لهم فالكف
لازم (١) . أتخفوني بكتبكم .

وما لاخوان الصفا وشاعرهم سكوت ؟ لم تحركهم مدافع عمان وقد قرعت
الاستماع ؟ السلام عليكم اجمعين وعلى الاخ الحاج عمر ان كان بطركم او فأبلموه
صورة كتابي هذا . من ها الامير عيسى بن صالح وحضرة الامام والمشاخ
يهدونكم التحية ويدعون اليكم بالتوفيق وكلام معجبون بكتابانكم فوالله اني
والامام الآن بطرفنا — القابل — لمصلحة . ودمتم لاختكم
١٧ رجب ١٣٤٣
سليمان الباروني

عمان تودع الباروني باشا

ان الامير عيسى بن صالح صذر الامام ومن ابطال وهداة عمان وهو العضو
الايمان للعلامة الشيخ عبدالله بن حميد السالمي في كنعان عمان في ١٣٣١ لأجل
نصب الامامة بدواخل عمان ، ومركز عمله مدينة القابل من مدن عمان . وله ابن
اديب لامع وشاعر بليغ هو الشيخ محمد .

وحينما عزم الباروني باشا على الرجوع الى مسقط ارتجل لوداعه القصيدة
البليغة الآتية ، وقد توجه الباروني باشا بهذه الكلمة قائلا :

(١) الصواب جريدة وطنية تونسية مشهورة لمديرها الوطني الاستاذ السيد محمد الجماني ،
وسعيد بن عمر ادب المني وكاتب بليغ وهو صهر الباروني باشا اذ زوجته عما سعيد . وقد
نشر فصلا في الصواب . فيما اذكر . يدافع فيه عن الباشا ضد من تكالبوا عليه في طرابلس كما
اشرنا اليه سابقا .

ارثجل الاديب الشاب الشيخ محمد بن الامير عيسى بن صالح القصيدة الآتية
وداعا لنا عند رجوعنا من بلدكم القابل بعمان الى مسقط ، وكان قد رافقنا الى
بلدة « النبا » وبتنا فيها معا فقال :

انبئت ان النبا	يؤذن بالافتراق
والقلب مما بدا	في حيرة واحترق
فآه من فرقة الا	حباب والاشتياق
فليت له لم يكن	والنف ساق بساق
اوليته كان هـ	لذا العرف شيئا محاق
يا دهر مهلا لقد	ضيقت زر الخناق
ادعوك بالله هل	من بعد هذا الفراق
تسخو بجمع لنا	يوما وهل من تلاق ؟
هذا الباروني قد	شد الرحال وتاق
الى المواطن من	بعد اشتداد الوفاق
زار عمان وقد	زينت بخيل عناق
حفت بموكبه	كهالة ورواق
فعم كل الوري	انس وزال الشقاق
لكن بعودته	عم البلاد اشتياق
والناس قاطبة	منها الدموع تراق
والكل قد اصبحوا	في حسرة لا تطاق
واصبح العيش بهـ	سد الصفو مر المذاق
كأن مع ركه	كل القلوب تساق
فسر سليمان في	امن وعد بالتلاق

والله يحميك من كيد العدا والنفاق
ما اشتد حبك في اهل عمان وراق
واقبل وداعا بدا نظما به النثر ضاق
محمد صاغه من بالصدقة فاق

الذبا ٢٣ رجب ١٣٤٣

الباروني باشا يودع عمان

اثر وداع عمان لسعادة الباروني باشا بالقصيدة السابقة اجابه في اليوم التالي
من بلدة الغبرة بالقصيدة الآتية وداعا لاهل عمان كافة . وهذا نصها :

وداع من فؤاد مستهام اليك عمان يا مهد الامام
امام المسامعين ابو المعالي محمد المؤيد بالحسام
سليل المجد طلاع الثنايا لحضرته ابادر بالسلام

وداعا والعيون تفيض دمعا
تناجى القلب وهو يئن طورا
كأن لسانه يتلو دواما
تركت عمان رغما وهي تزهو
اسود لا يرون الموت باسا
لهم ادب به يحلى صدا من
ويشرح صدر من ضاقت عليه
ويشفي غلة المضيئي ويحيي
وحدث ما تشا في الجود عنهم
لحزن لم تذق طعم المنام
ويضرب تارة ضرب الزمام
وهل مثل التفرق من سقام
باخوان كعقد في انتظام
وهم حصن منيع للمضام
غدا لمرى نوائبه الجسام (١)
رحاب الارض من دول عظام
نفوسا بالجهالة في ظلام
وهم في الدين امضى من حسام

لهم حكم بشرع الله يحري به كل المحاكم في النجم
 فلا دول الاجانب عن رعايا تناضل او تهدد بانتقام
 ولا عهد يقيد مرتضاهم تحافظه القناصل بالخصام
 فهم في روضة خفت بأمن وفي حرية سمحا للظمام
 فزد في عزهم واخصب ربوعا بهم تحتال يا رب الانام
 وهب لي عودة تروي غليلي اليهم يا مغيث المستهام
 الغبرة — ٢٤ رجب ١٣٤٣ سليمان الباروني

الباروني باشا في مسقط

بعد رجوع سعادته من سياحته في دواخل عمان ووصوله الى مسقط سالما
 كتب اليها في ٢٠ شعبان ١٣٤٣ الرسالة التالية يفصل فيها شيئا مما هو مبهم
 عن الاخ الباحث . وهذا نصها :

حمداً وصلاة — اخوان الصفا حفظهم الله ووفقهم ءامين .
 سلاما واحتراما — شرفني كتابكم المؤرخ في ١٢ جادى الثانية بعد
 وصولي مسقط . . .

رجعت الى مسقط قبل اسبوع وصحتي ولله الفضل في غاية ما يرام ، وقد
 نزلت هذه المرة في بيت ظريف لجلالة السلطان خارج سور البلد وسط بستان طلق
 الهواء نقيه فيه اشجار وخضر وازهار طيبة ومياه جارية وفيه يتردد علي الاخوان
 صلبا ومساء حتى جلالة السلطان نفسه .

كان مروري على قبائل بني بطاش بطلب منها بواسطة رئيسها الشيخ سلطان
 وكان لاستقبالهم ايانا في جميع بلادهم شأن يذكر اوضحه لكم بعد الاستراحة
 ان وجدت وقتا .

وهاكم الآن قصيدة الشاب الاديب الشيخ محمد بن الامير الشيخ عيسى في

وداعنا عند رجوعنا من بلادهم « القابل » الى مسقط ، وقصيدي التي قابلته بها
وداعا لاهل عمان كافة (وقد نشرناها قبل هذه الرسالة)

« عمان في اصطلاحهم عبارة عن غير السواحل من المملكة ، اما السواحل
فيعبرون عنها بالباطنة ، وهي تحت حكومة السلطان مباشرة .

اما عمان -- وهي داخلية البلاد فتحت تصرف الامام »

سأخبركم بخطة حركتي بعد ان يسافر جلالة السلطان الى ولاية ظفار التي
هي على حدود حضرموت لبعض اصلاحات فيها لانها تابعة لحكومة مسقط .
وربما اتوجه الى الجبل الاخضر لتعلق قلبي به مع الحاح جماعته في طلبي
وعدم تمكني من الوصول اليه بسبب المرض .

الاستاذ الثعالبي في الهند وقد وصلتني منه كتب من بمباي وهو بخير في
راحة واحترام . سلامي الى الاخوان والاصدقاء كافة . وفي هذا التقدر كفاية
الآن . والسلام من اخيكم :
سليمان الباروني

تحية مدينتي لعمانه

جوابا لتساؤل سعادة الباروني بقوله في رسالته السابقة « وما لاختوان الصفا وشاعرهم سكوت لم تحركهم مدافع عمان وقد قرعت الاستماع ؟ » قلت القصيدة الآتية تحت العنوان اعلاه في ٢٧ شعبان ١٣٤٣ فطُبعت منها كمية أرسلت منها ١٠٠ نسخة الى سعادة الباشا فكان لها دوي كبير في سائر بلاد عمان كما ستراه .

وقد نشرت في الجزء الأول من الديوان صفحة ٣٩ - ٤٤ وهذا نصها :

يهدي مدينتي وسلاما	متواصلين مع الاثير دواما
ويث مع ربح الصبا اشواقه	وولاءه وحنانه وغراما
ويمد اسلاك المسودة والصفى	ليناجي الارواح لا الاجساما
ويفيض من اخلاصه نورا ومن	احساسه نارا تذيب الهاما
لاخيه شعب عمان حيث الدين ح	حيث المجد حيث العز فيه ترمى
حيث العدالة والنزاهة والتقى	ضربت على الاصحاب فيه خياما
حيث المروءة اخضبت حيث الفضى	سلة امرعت والحق صال وقاما
حيث المعارف وورقت اغصانها	حيث المكارم زانت الاقداما
حيث الجلالة توجت « سلطانها »	تاج الفخار فنالت الاعظاما
حيث الامارة مد فيه رواقها	فعلا لها صيت به وتسامى
حيث الامامة رفد رفرت رأيتها	واعزت الايمان والاسلاما
واظلت الشرع العزيز ونفذت	« قرءاننا » واقامت الاحكاما
فسكت بجد حسامها اسر البلا	د وحررت رق العباد تماما
وأزاحت الظلمين ظلم الشرك مع	ظلم الدخيل فما استطاب مقاما
وأرته ان تراها لا ينبت	من العصف والافساد والاجراما

لكنه مرعى خصب واسع
قد أعدمت اطماع اعوان الشقا
فتبددت امال كل الطامع
وتكسرت امواجهم في صخرة
فتمتعت في كامل استقلالها
الله اكبر هكذا حظ الذيب
لبذور دين الله ليس مراما
من بعد ان راموا لها الاعداما
ن ولم ينالوا غاية ومراما
من بأسها فتراجعوا اكواما
تختال في حربة اعواما
من يجاهدون ليرفعوا اعلاما

حياة العزة

اكرم بقوم قد ابوا من غير ان
وتظلم اعلام دين الله في
اخذوا بحزم واستعدوا اذ راوا
وتيقظوا في الحال لما عاينوا
فبنوا لذا اعلى الحصون وسددوا
ربطوا الجياد الصافنات ونظموا
فجري دم من نخوة عربية
وردوا حياض الموت لما شاهدوا
لم يعرفوا حكما « وهم ابناء حكم
عمدوا لتطهير البلاد وغسلها
لكن بماء احمر تسخوبه
أعجب بماء لا يظهر سائر ألا

يحيوا اعزاء النفوس كراما
شعب غدا خير الشعوب مقاما
ذاك الثمنن يجلب الالغام
منظاده في الجو جال وحاما
فيها المدافع كي ترد سلاما
الجيش العرمرم كي يصون ذماما
بعروقهم واستعذبوا الآلاما
دين الهدى مستهضما ومضاما
الله « الا ذلك الصمصاما
بما يراه الله قبل حرما
مهب تعاف الذل والارغاما
قذار امكن يغسل الآناما

تجديد عهد الامامة

سرقيا لكم يا معشر الاصحاب يا
اشبال ءاساد حمت ءاجاما

قد كان مصباح الامامة لامعا
لكن تلاعبت الرياح فأطفأت
ان حاولت افواها اطفاءها
قتم لها والصدق رائد جمعكم
اذكيتهم نار الحماس بشعبكم
اسرجتم مصباحها في عصرنا
جددتم عهد الامامة بعدما
فأعدتموها وهي من سكر الصبا
احييتهم مجدداً وخلصتم لكم
وأدرتم من كاسها راحا ولم
من يجتهد يظفر بنيل مرماه
حق الحياة لمن يضحى نفسه
اما النور فمكان خير حظوظه
تالله لو علم الدخيل بان في
لاقى بكل مسكن ومنوم
فليمعن الاضداد في ظلم وفي
له ما احلى الشقاء واعذب الآ

مهرجان الباروني باشا في عمان

حيا الالاه امامها كانت لها
ظهرت بمظهرها العظيم فحققت
وحمت عظيمها حامي الاسلام في
ذاك « البروني » المجاهد والذي

خير الشرائع عمدة وقواما
ما اعجز الاعراب والاعجاما
ر الدين شهما سيدا وهما
صرع الطغام وارغم الاخصاما

فتحت له ابوابها اذ احكت
فرحت بمقدمه الجليل فظهرت
وأفاضت الخير المقيم واغدقت
مادت بلاد عمان واهتزت به
والارض من فرط الهوى مياسة
ضمتها اياما لها شغفا به
ومنازل الادباء ترقص منهم
ضربوا على وتر القلوب وحركوا
والخيل تهدي للسمو تحية
نزهو وتمرح وهي تعلم انها
وصدى المدافع والبنادق في الفضا
ودخانها متصاعد في الجو اذ
ألك المناظر ليتها - والله - لو
لكن يراع براعة الشعراء قد
فلرب شطر منه خير من شريد
فلتقدارانا « في شمال افريقيا »
شكرا لكم يا ايها الكرماء فقد
ان فالتنا حظ فبهذي باقة
الى الامام يا جلالة السلطان وعظمة الامام

يا مسقط^(١) انفضلاء مغاص لآلئي الحسكاء كعبية سؤدد وحراما

(١) اسم عاصمة جلالة السلطان السيد تيمور من مال ابو سعيد وهي مرسى كبير بخارج عمان انذى فيه مغاص الؤلؤ كما هو مشهور في عواصم اوروبا واميركا .

يا مطرح (١) العظما ونبع حياتهم
يا معمل الاصلاح قصر سمالك (٢)
يا ايها الركن العظيم القابل (٣)
تسهي افتهاراً في رياض اماره
ناغي البلاد بتاجك الخضر الذي
سيرى بشعبك للامام وساعدي
فائه ينصر ذلك السلطان والا
وبعد ركن المسامين محمدا
ويعين اهل الامر من اصحابه
وبصون دولتهم ويحمي شعبهم
عشتم جميعا في الهناء ولم يزل
وجميع قطر مزاب مع سلك الصفا

يولي الحظوظ ويفرق الاقسام
شمس الهداية ترسل الالهاما
لتقدم لا يعرف الاحجاما
اذ فتحت ازهارها الاكماما
يغنيك ان اوليته خداما (٤)
الضعفاء عندك واكفلي الايتاما
مراء والسوزاء والحكاما
من كان هدي المتقين إماما
العظما ويلحم بينهم الحاما
فيزيد كل قوة ونظاما
زهر السرور لديكم بساما
يهديكم مسك السلام ختاماً

عمان يرد تحية ميزاب باحسن منها

طبقاً لما قلناه قبل ان سماعة الباروني باشا هو الذي حرك شعور شعراء
المشرق والمغرب بذمسه وبرسائله ، وهو الذي أنعش رابطة طالماتراخت ببعد

(١) بلد صاحب المعالي وزير مالية مسقط وهى تبعد عنها بنحو ساعا في البحر ، وقد
علمت مهرجاناتها نحو الباروني باشا
(٢) عاصمه امام المسلمين ابى عبد الله محمد بن عبد الله الخليلي بداخل عمان وهى تبعد عن
مسقط ١٦٠ فرسخا

(٣) بلد احد زعماء الحركة الاصلاحية الامير عيسى بن صالح زوبل العلامة الشيخ نور الدين
عبد الله بن حميد السالمى صاحب التصانيف الشهيرة الذي توفى عام ١٣٣٢ هـ رحمه الله

(٥) اشارة الى الجبل الاخضر الذى هو من اعظم جبال الدنيا وارتفاعه ٩٠٠٠ قدم . وفى
سفحه الانهار الدافئة والرياض الغناء والاراضى الخصبة وفيه كثير من المعادن كما سيأتى بيان عنه

الزمان والمكان فانتعشت وازدهرت ، فانه ما كادت تبطل قصيدتنا « تحية ميزاب لعمان » بمائة نسخة ، حتى اختطفها الايدي وفتحت باباً مراً لقلنا للنساخ لها كما افادنا المرحوم الباروني نفسه في وقته فأحدثت دواها هائلا بين اوساط العلماء والادباء والشعراء هنالك ، فتباروا في رد التحية باحسن منها . وذلك بنظم الفرر من النقصائد الصادرة من نبع العروبة ولغة قحطان التي تتقاصر دوزها لغة الامازيغ . وفيما يلي ننشر منها اثلاثا كنموذج لتلك الروح الفياضة في ذلك الوسط العربي الماجد .

الاولى — للشاعر الفحل النابغة الشيخ عيسى بن صالح الطائفي قاضي القضاء — اذ ذاك — بمسقط . حررها في ٦ ذي الحجة ١٣٤٣ ، وقد توجهت بتاج من الدر المذثور تحت العنوان الآتي : (١)

ثناء عمان على أبي اليقظان

نهدي سلاما عاطراً ونماء زاهراً وتحيات وكرام وتبجيل واحترام ، الاخلاص رائدنا والاحساس قائدنا الى العلامة الجليل الشيخ أبي اليقظان ومن معه من الاخوان حفظهم الله وابقاهم على الدوام :

لما بعثت بنظم انعش الكعبدا	أيقظت منا ابا اليقظان من رقدا
روح الحياة فصار كالبدر هدى	بعثت انوار « روتج » بثبت بها
احساس شعب الى شعب يمد يدا	أفرغت في قالب الاخلاص مجتهدا
تهدي سلام مشوق نحوكم ابدا	هذي عمان لما اسديت شاكرا
هاته ان يرى في دينه اودا	فشميها ذلك الشعب الذي أنفت
فعاد بحراً خضما يتدف الزبدا	اذكيت بالشعر نيران الحماس به

أيقظت منه ابا اليقظان نائمة
 شانيك يكتتم شمساً وهي مشرقة
 الى الامام «ابا اليقظان» انت لها
 ودم واخوانك الابطال تحرسكم
 وخدم الشعب حتى صار مغتبطاً
 تلمسكم مزاب لنا ركن نطول به
 كم اطلمت من بدور يستضاء بها
 منها البروني ليث الحرب مسعراً
 قد زار مستط فاهتمزت به طرباً
 وسار نحو امام المسلمين لكي
 سمى فوفق في ايجاد رابطة
 تلك الروابط ما زالت محكمة
 فيرحم الله روح القطب قدوتنا
 فها كها يا ابا اليقظان رافلة

فهب مستأسداً من بعد ما رقدا
 ياليتها جانب الشجاء وابتعدا
 فاصدع رايلك وانبذ رأي من جدا
 عناية الله من شر الذي حسدا
 وكان من قبل في اارائه قددا
 وتاج نخر على هام السماك غدا
 واوجدت للاعادي في الوغى اسدا
 من صار في خدمة الاسلام منفردا
 اكرم به من هام ماجد وفدا
 يمثل الغرب جذب الشرق متحدا
 ما بين شعب عمان والذي بعدا^(١)
 روابط الدين اقوى رابط وجدا
 اغني ابن يوسف نخر الدين شمس هدى
 نرف للغرب شوق الشرق مقددا

مسقط سادس ذي القعدة ١٣٤٣ عيسى بن صالح الطائي

الثانية — لشاعر لم يذكر اسمه — كما مر نظيره — وشعره البليغ ينسب
 عن نبوغ فائله وألميته ، وقصيدته المعصاة تجر في ذيلها تاريخ ١٨ رجب ١٣٤٤
 تحت العنوان الآتي ، وهي صادرة من سمائل .

تحية عمان لبني ميزاب

نشرت ميزاب اعلام الرشاد وسمت نخرأ على كل البلاد
 بعمود صاغها خير اياد (قلد المشرق ثم المغربيا)

(١) سترى شرح ذلك واقفا فيما بعد بحول الله .

جدد العهد لنا في المغرب بآحاد شاد ركن المذهب
 صير القطرين عضو النسب (فعلا قدراً خاز الشهب)

روضة ما غرسها الا الملا أورقت اغصانها بين الملا
 وجناها زهر مجدد أنلا (نعم ذاك الغرس غرسا طيبا)

يا بني ميزاب يا اهل العفا يا حماة الدين ارباب الوفا
 كم لكم من شرف قد عرفا (شرحه تنبيه عنه الخطبا)

كم نجوم فيكم قد اشرقت دونها الجوزاء بانعلم ارتقت
 يهتدي الساري اذا ما طلعت (مجلس الذكر عليها ضربا)

كم لكم من احرف مسطورة رقت في كسب مأثورة !
 احكمت من درر منثورة (تنعمش الروح وتبري الوصبا)

يا ابا اليقظان أيقظت القلوب بنظام هد أركان الخطوب
 جعل الشرق مع الغرب يؤوب (وبقوس يرميان الحجب)

اصبح الشعب العماني يמיד طربا من ذلك العهد الجديد
 وقريب بالمسودات البعيد (فهو ذاك الشعب مهما غربا)

هو شعب مشرقى نهجا منهج العدل سناه انبلجا
 انفت هامه ان يلبجا (بسابه ذل وان يستلبسا)

نحن ابناء عمان شهب للاعادي ليس فينا رهب
 لنبدل النفس كما قد يجب (علم استقلالنا قد نصبنا)

كم شجاع بطل فينا مهاب اسد يفتري في الحرب بناب

ما له غير دم الاعداء شراب	(يحترسي كأس المنايا طربا)
بامام صار فينا عمرا	شمس عدل بدر علم ظهرا
بحر جود لث حرب زارا	(لا يبالى بدخيل شغبا)
الخليلي صاحب المجد الاثيل	نجل عبد الله ذو الرأي الاميل
ناصر الاسلام بالسيف الضميل	(حافظ الاوطان ان تختلبا)
ولا نتم يا ابا اليقظان قد	صرتم منا كمضو من جسد
بارتباط لا يرى فيه اود	(يجمع الشمل ويحيي النسا)
كيف والمغرب قد شاء البنا	للعالي وانار الوطنا
ابدا للعلم اضحى معدنا	(لرقى فوق الثريا منسبا)
نسب القطب عليه المنبرا	فعدا فيه الرئيس الاكبرا
وحى الدين واحيا الانرا	(ابرز النيل واجرى الذعبا)
والبروني الشهير البطسل	شهد الغرب له والاسل
انه يسر المسابا زحل	(يهزم الاعداء وبضفي الغضبا)
زارنا منتدبا لله لم	يمحش من عدل ولا خلب ألم
قلع البحر الينا وانتظم	(جمع الشمل فنلنا الاربا)
يا بنى ميزاب اهديكم سلام	وهو بالنشر يرى مسك الختام
انواف صدحت مثل الحام	(ترقص الافنان مذهبا طربا)

الثالثة — لشاعر بليغ لم يذكر اسمه — كذلك — وليسكن خريدته
الفريدة تشف عن بلاغة قائلها ونبوغه ، وقد توجه بال عنوان الآتي ، ومصدرها

كأني قبلها « سائل » وهذا نصها :

تحية عمان لبني ميزاب

أبا اليقظان أيقظت النياما	وأطربت الحواضر والخياما
وحركت الغصون وعاشقياها	وأرقصت الجوامد والغماما
بني ميزاب احييتم نفوسا	على ذكركم زادت هياما
واذ كيتم شعور الشرق فيها	وهيجتم على القلب الغراما
ولاح هلالكم في الغرب بدرا	فضاء الشرق مبتهجا وهاما
سبكت قلائداً اذ صغت نظما	أبا اليقظان تهدينا السلاما
فحل من الفؤاد محل روح	وهيج شاعر الدنيا فقاما
فزدنا من رحيق الغرب زدنا	وزد زدنا ولا تصنع الملاما
ادر كاس الصفا واسكر فانا	سكرنا مذ بدا البدر التماما
سليمان البروني الذي قد	اذاق عدوه الموت الزؤاما
وولى وجهه للشريق كيما	يجرد من معاذنه حساما
ويبرز من مزايا العرب ما قد	طواه الدهر من مجد تسامى
كذلك تفعل الابطال دوما	اذا سكنت وقللت الكلاما
ستنظريا أبا اليقظان فاصبر	ترا الانوار تسكتسح الظلاما
وتسمع او تشاهد فعل جند	اذا سلطانه « تيمور » حامى
وذاد عن الحياض وثار شعب	امامهم على المذهاج قاما
محمد رافع رايات عدل	على عرب لهم ملك ترامى
لهم في الاعصر الماضين صيت	ترى التاريخ دونه تماما
خفي الغرب وارو الشوق عنا	ولا تجعل لفاتحة ختاماً

طرابلس وزنجبار تترددان الصدى

هزت هذه الموجة الكبرى طرابلس في شمال افريقية وزنجبار في افريقية الشرقية فضربتا على اوتار تلك النغمات الشجية على بعد الدار وشط المزار ، حيث ان الروح واحدة والاشباح متشابكة ، فأرسل شاعر كل منهما الينا قصيدة تضرب تواقع كل واحدة من القصيدتين على تواقع الاخرى على اختلاف في البيان وتنوع في المنوال :

فاما من طرابلس فقد وردتنا من زوارة القصيدة الموى اليها من الاديب الالمعي الشيخ علي بن محمد متوجة بالعنوان الآتي مؤرخة في ذي القعدة ١٣٤٤ وهذا نصها : (١)

تحفة الاصحاب للاصحاب

ونحية زوارة لميزاب

لبنى مزاب الظاهري الاعراق	تهدي زوارة باقة الاشواق
الحائزين سبق عند سباق	السائقين الى الملا دون الوري
المشرقين معلم الخلاق	السائر بن على محجة ذي الهدى
لمهين عن نكر بغير نفاق	الآمرين بواجب المعروف والنه
لو كان عبداً بيع في الاسواق	ان الوفي هو الولي لديهم
أعلى العلى وازدان بالارزاق	وكذا العدو هو الخائن ولورق
فعلوا ذرى الدارين باستحقاق	لله درهم زكت أرباحهم
من رهط هذا الفارسي السباق	صدق الحديث بغير شك فيهم
قد ائمرت نمرأً لذيذ مذاق	جلبوا لتونس نشأة من غرسهم

لا غرو ان تزكو ثمار زهورها
 طود من الاطواد بل بحر طمى
 قد وقف النفس النغمسة دونها
 وليحي من ثبت النبات بسميه
 لا تعجبوا فالدر من اصدافه
 من دوحتي عبد العزيز المعصي
 أعشد ابا اليقظان واشدد ازره
 سموك عن غلط بشاعر مغرب
 انهض وخذ بيد الشريعة للعلا
 قم قم ابا اسحاق فاعتنق العلا
 ولانت أولى من بصور حسننها
 اطبع بسجعتك للمعوا في انها
 واحفظه في الديوان يدي لدى الورى
 «القطب» فاض عليكم بخضمه
 هو المحيط وانتم انهارة
 قد فاض قبل على البروى فارتقى
 فأنا مسود الظلام بهديه

اذ قد تمهدا خبير ساق
 علما ومعرفة وحكمة راق
 فليحي يحيى العلم بالانفاق
 وبنوره في الشمس في الاشراق
 قد جاء يسبك معوج الاخلاق
 يدعى «ثمينة» بل ثمين راق
 يا يللا يشدو على الاوراق
 بل انت شاعرها على الاطلاق
 قد ذاع صيتك في فضا الآفاق
 فلانت أولى من لها كمالق
 ببديع نظم حبيك للعشاق
 تجلوا فؤاد الحائر المتألق
 اثرا نفيسا حين فى الاوراق
 فسموتم أوج العلا بمراق
 فتدفقت منكم سيول سواق
 بمدارج تسمو لسبع طباق
 ما زال يرقب شمسها بوفاق

* * *

ليت الفضا يطوي لنا عن بعده
 ويبل قلب المستهام بنظرة
 أترى الزمان يحود بعد جنائنه
 يا يوم تجتمع الاحبة بالصفاء

فتراكم العينان بالاحداق
 تشفى غليل العاد من احراق
 بالقرب او يتخفى لنا بتبلاق
 يتجاذبون لطائف الاذواق

ما زال مركزكم حصينا مانعا
 قتم للشأتنا قياما لائقا
 الله يعلم ما اليه قلوبنا
 بعثت من الاشواق خيطا ممدنى
 تهتز اعطاني لى ذكراهم
 يا حاديا يطوى السباب والقرى
 خذ حجرة من مهجتي تغنيك عن
 او لم يكن ماء لىديك مبردا
 وصبا بى دعها لىديهم علها
 ولعلها ولعلها ولعلها
 فانه نسأل ان يقي مجموعنا
 فهو اللطيف المستعان بجوده
 ثم الصلاة على النبى محمد
 للنازحين كما جابا ورواق
 فلكم جزيل المديح باستغراق
 بلغت وما بالذفس من اشواق
 سلك الاثير الى مناخ رفاق
 لكنني عذهم مهيض الساق
 وقف للوداع ولو كقدر فواق
 قدح الزناد اللامع البراق
 خذ ركوة من دمعى المهرق
 تفتح الابواب من اغلاق
 ولعل يطلق ربط كل وثاق
 شر الحسود ومكر كل نفاق
 يتبدل الاملاق بالاعناق
 ما حاديا من ذى الحليفة راق

زواردة فى ١٤ ذى القعدة ١٣٤٤ على بن محمد الزوارى

واما من زنجبار فقد وردتنا منه القصيدة الآتية من نظم الشاب الاديب
 خالد بن هلال بن سالم بن مانع الرجبى ، وقد توجهها بديباجة من التؤلؤ المنثور
 وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل الدين سببا للوداد ، والطرس نائبا عن الوصل بين
 العباد ، واللسان يمرّب عما فى القواد ، والصلاة والسلام على من بين سبيل الرشاد
 وواله وصحبه الابعاد .

وبعد — فاما تملكك فؤادى محبة دينية للثمّة المغربية الصادقة ، ولم اجد

لي سبيلا الى الوصال لمضيق المسالك في الحال ، فتمبرع الجنان باملاء هذا البيان
فألبته غني لزيارة زبدة الاخوان الشيخين : ابي اسحاق و ابي اليقظان . وان
كان لا يجدى فتديلا ، لكن كما قيل في مضمون التنزيل تاويلا : « اذا لم تجدوا
ماء فالتيمم بكنفى في جميع ما يعني » .

فاليكم بالنيابة عنى هذه العادة ، وان لم يكن الشعر منى عادة ، ولتقبلوا قرب
ارواحنا ، ولو نرحت الديار باشباحنا ، فارجو منكم قبولها ، وان تصلحوا خلاها
وفضولها . اذ قلتها وعمرى لم يتجاوز العشرين ، والقلب من السوجد اليكم
والبعد في شغلين ، ومع ذلك انى منغمس ببحر الجاهالة متسريل بسراويل المسالة
فهذا عذري ان كان في قولي خلة فاصلحوها واغفروا لي كل زلة .

وارجو من فضلكم ان تجيزوني بحاجرة الدعاء بأن يبلغني الله مراتب البلاغ
وعليكم مني السلام ورحمة الله وبركاته وعلى كافة اخواننا المسلمين .
وهذا نص القصيدة تحت العنوان الآتى :

زنجبارة يناجي ميزاب

أرجال الدين هذي عادة !

بارق من جانب الغرب سرى	فتجلى لي بارضى سحرا
جعل الرعد زفيري في الدجى	اذ تراءى والدموع المطرا
يا له من بارق الخسنى	أخذ النوم واعطى السهرا
كلما لاح لعينى ضوءه انه	فصمت من عقد الصبر العرى
ليت شعري هل سقت غادية	ربع احبابى فأضحت خضرا
مرعب ضم الاولى ان سئلوا	وهبوا الجم واعطوا البدرا
وبه قام عمود الدين وار	تد طرف الكفر عنه حسرا
ونبات الجذ فى ساحاته	بالعلى والعز اضحى مثمرا

وبناة المجد والعليا قد
أظهروا الدين على فطرته
واقاموا للاعادي حججا
كم لهم من حجة نيرة
وشجاع لا يبالي في الوغى
وفصبح ادهش العالم ان
وكريم اخجلت راحته
وامام حيرت اسفاره
ومليك صير الاملاك في
عمر عمر دين الله في
وبنو رستم نالوا ما اشتبهوا
وبنو بارون فيه اصبحوا
وبنو ميزاب في ساحاته
وبه القطب الذي قد حاز في
قطب دين الله محييه ابوالن
وابو اسحاق صمصام الهدى
عالم حاز علوم العقل والذ
أصبحت ايامه ضاحكة
ذو يراع لا يجارى وعلاء
ومجلات اذا ما شوهدت
وابو اليقظان ابراهيم في
بين السبل لطلاب الملا

بذلوا النفس فزالوا الوطرا
وبنوا المجد واحيوا الاثرا
اخفت كل كنود كفرا
تخجل الشمس وتخفي القمر
أتناهى موته ام حضرا
نظم القول اذا او نثرا
لحج البحر ندى والمطرا
كل فهم ثاقب والبصرا
كفه يأخذهم كيف يرى
سوحه نعم المفدى عمرا
من علاء فعلوا فوق الورى
فوق جبهات المعالي غررا
أظهروا الدين فسادوا البشر
قصبات السبق هامت الذرى
فضل مولى الناس تاج الامرا
معدن الفضل فقيد النظرا
قل طرا فهو ادرى من قرا
بعلاء ودجاء مقعرا
لا يبارى وندى لن يكفرا
حسبت مما حوته البحرا
افقه اصبح بدرا نيرا
بعدهما قد كن سرا مضرا

ونحى طرق المعالي طالبا
 فارس ان قبض الاقلام او
 واذا ما نثر الخطبة في
 صحف الوادى له قد شهدت
 لسن ابن نظم الشعر فتقد
 ورجال العلم والافضال قد
 فهم العمدة في الدين وعم
 نقر في جوف قلبى سكنوا
 ان تكن قد بعدت اشباحهم
 واخو الحب ولو قد بعدت
 لما الاسلام بالود الذي
 أرجال الدين هذي غادة
 اوفدتها فكرة من مومق
 طالما حاول وصلا فتنى
 فاستناب الحال عنه هذه
 زفها نحوكم والدها
 فامهروها بقبول حسن
 ولكم مني سلام عطر
 وصلاة الله تغشى من له
 احدا والآل والصحب الاولى
 ما نسيم هب بالبشر وما

زنجبار

حظه منها فنال الاوفرا
 ركب الطرف ازال المنكرا
 محمل أيقظ الباب الورى
 انه عزز منها المذبرا
 جاء بالسجر فاعيا الشعرا
 ملؤا ساحاته فازدهرا
 نسرده للملا فانتصرا
 وبهم قلب المعنى عمرا
 فهوهم في فؤادي حضرا
 ارضه فهو سمير السمرا
 في مجاري الاحم منا قد جرى
 وفدت ارضكم تبغى القرا
 في ابتغاء الوصل افنى العمرا
 عزمه صرف زمان عسرا
 فأت تهدي اليكم جوهرها
 تقطع البيد وتقرى الابحرا
 ومنى والدها ان تمهرا
 ملء ما بين الثريا والثرى
 قلم التنزيل بالمدح جرى
 بهم الدين علا وانتشرا
 بارق من جانب الغرب سرى

خالد بن هلال بن سالم الرحبي

نقول — اذا كان هذا الفتى الطموح يقول مثل هذا الصنف العالي من الشعر وهو على رأس العقد الثاني من عمره فقط فكيف به اذا اصبح وهو يقبل راس العقد الرابع منه اذا هو سار على هذا المنهاج القويم ؟ أفلا يتربع على عرش امارة الشعر البليغ بالفطر الشقيق زنجبار ! ابلغه الله ما يرجوه من مراتب البلاء

اعمال الباروني باشا في عمان

عند ما وصل الباروني باشا بلاد عمان وجد الجلاء مخيمًا بين جلاله السلطان « تيمور » وعظمة الامام ابى عبدالله محمد بن عبدالله الخليلي منذ ثورة احرار عمان على سلطنة مسقط في جمادى الثانية سنة ١٣٣١ .

واحوال بلاد عمان الداخلية في تفكك وانحلال والدسائس الاجنبية تدب عتارها في اطراف جزيرة العرب وهي تحبوا نحو الزواحي الشرقية من بلاد عمان ادرك سمادته كل هذا واكثر من هذا ، وليس من الهين على نفسه الكبيرة وهمة الغالية ان يقف ازاء هذه الاخطار المحدقة بالقطر العمانى العزيز وبجزيرة العرب المقدسة موقف المتفرج ، وهو الرجل العظيم العمومى الذي جعل حياته الغالية وقما للاسلام والمسلمين ، سيما وقد زادته سياحته الماضية في دواخل عمان اطلاعا واكتناها لحبايا الامور هنالك .

ورغما عن مبادرة المرض له قبل ان يبادر لوضع خطة العمل اخذ يفكر في وضع خطته اثر رجوعه الى مسقط من سياحته التى دامت من ربيع الاول الى رجب ١٣٤٣ بما فيها من ايام مرضه المضني على ما نوضحه في محله ان شاء الله تعالى .

واليك فيما يلي خلاصة من اعماله الكبيرة في داخل البلاد وخارجها :

١ — منها اعمال تمديدية لازالة الجلاء بين السلطان والامام وتقريب المسافات بين الفريقين بما ظهر أثره المحمود من توحيد قواهما لمواجهة الاختلاف وجمع كلمتهما

ضد الأجنبي وتوجيه انظارهما لحماية عمان من كل اعتداء على البلاد من اي كان
 ٢ -- ومنها سفارته باسم جلالة السلطان وعظمة الامام لدى جلالة الملك ابن
 السعود وسمو الملك علي بن الحسين في الحجاز ، فوفد اليهما وهو يحمل منهما
 وثائق في اعتماده سفيراً لهما لدى المسلمين المسلمين رجاء إيقاف الحرب بينهما
 حقنا لدماء المسلمين وانزال الوثام في جزيرة العرب محل الخصام .
 وفي اعتماد الامام له بتمثيل امة عمان في المؤتمر الاسلامي المزمع عقده لأجل
 قضية الخلافة بمصر .

الاولى — من تيمور بن فيصل

الى حضرة صاحب العظمة سلطان نجد وتوابعها اخينا عبد العزيز بن عبد
 الرحمان السعود لا برج في رقي واجلال . السلام عليكم ورحمة الله .
 أخوكم يحمد الله الواحد الاحد بحال يسر كم يرجو من الله انكم بحال يسر
 اخواننا المسلمين ، منذ برهة من الزمن انقطعت مواصلات المكاتبات الودية بيننا
 فمساها الشاغل خير .

والباعت على طرسنا هذا الودادى هو ان حامله جناب الشيخ الجليل عندنا
 سليمان باشا البارونى احد رجال الاسلام ومن علماء مذهبنا قصد السفر الى
 مركز عدلكم الذي اضاءت انواره اقصى ممالك الاسلام فلزم تجديد
 مراسلات الصداقة وروابط المحبة بيننا . ولا شك في انها لا تتغير ، وبهذه
 المناسبة اتشرف بان اصرح لعظمتكم باننا في كدر واسف عظيمين من استمرار
 الحرب حول بيت الله الحرام بين اخوان مسلمين كل منهم يعظم البيت المقدس
 ويحترمه . نسأله تعالى ان يوفق الجميع الى الوصول الى طريقة حل تحقن الدماء
 وترضي اهل الاسلام اجمعين .

وحيث ان حامل كتابنا هذا هو على ما نحسن عليه من الكدر كافناه

بان يعرب لعظمتكم عن احساساتنا الدينية توضيحاً لما كتبناه هنا ، فلمؤجوب
اعتماد كلامه في هذا الصدد ، فانه الثقة بالامين ، ولاشك في ان لكم الخبرة
التامة فيه وفي امثاله ، وله تفان وتضحية في كل ما يتعلق باصلاح حال الامة
الاسلامية .

وفي الختام اتمنى دوام علائق المودة الخاصة وقبول احترامي .

رمضان سنة ١٣٤٣ (١)

الثانية -- نظيرها الى سمو الملك علي بن الحسين وهذا نصها :

من تيمور بن فيصل الى حضرة صاحب الشرف العالي اخينا الملك الشريف
علي بن الحسين المحترم دام اقباله واجلاله . السلام عليكم ورحمة الله .
اما بعد فان احاكم بحمد الله جل شاناه في عزمي فضله تعالى يرجو انكم في
صحة تامة مؤيدين بروح من مالِك الملك متوجين بالغور في كل حركة فيها
راحة اخواننا المسلمين .امين .

حامل كتابنا هذا هو الوجيه المحبوب لدى الدولتين المحترم الشيخ سليمان
باشا الباروني احد علماء مذهبنا ومن رجال الاسلام المعروف لديكم شخصاً
وعملاً متوجه الى ساحة ملككم مضحياً خدماته فيما فيه مصلحة الامة
الاسلامية ولديه اخلاص كامل لسيادة والدكم والدنا . وقد اصحبناه كتابنا
هذا ليغوب عنا في عرض احساساتنا وتألمنا العظيم بما لا زلنا نسمعه من استمرار
الحرب حول حرم الله المقدس بين اخوان مسلمين كلهم يدينون بتمظيم بيت الله
الحرام وشعائره المقدسة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . نسأله تعالى
ان يلهم الجميع ما فيه حقن الدماء وسرور العالم الاسلامي ووقاية الاماكن
المقدسة من كيد الكائدين . وحيث ان الحامل المذكور من الثقافة الامنا

عندنا فلا حاجة الى التوصية على اعتماد ما يبدية لديكم من الفكر فيما فيه الصلاح ، كما نلتمس من جلالتكم التفضل الى تسهيل ما يعسر عليه في هذا السبيل فانه وامثاله الذين حاربهم الدهر ولا يزال حربا لهم ممن يجب ان تسهل السبل امامهم ليقوموا بخدماهم الخيرية الاسلامية .

وفي الختام ارجو دوام اتصال حبلى المودة المتين وقبول احترامي الخالص والسلام .
رمضان ١٣٤٣ (١)

الثالثة — من الامام الخليلي . وهذا نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من امام المسلمين بعمان محمد بن عبد الله الخليلي -- الى جناب المجاهد في سبيل الله الغيور في دين الله اخينا الشيخ سليمان الباروني وفقه الله .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حيث ان العالم الاسلامي في اضطراب واهتمام بقضية الخلافة والاماكـن المقدسة . وقد تقرر على ما بلغنا عقد مؤتمر لأجل ذلك ، فاننا نكلف جنابك باسم الامة العمانية ان تحضر هذا المؤتمر الذي سيعقد لهذا الغرض الديني السامي في مصر او غيرها من البلاد الاسلامية وليكن رأيك في مسألة الخلافة مطابـقا لقواعد الشرع الصحيحة وهي لاتخفى عليك .

اما مسألة الاماكن المقدسة فليكن رأيك فيها مبذيا على حمايتها من عبث العابثين بها ووقايتها من تسلط كل يد اجنبية عليها مهما كانت مقاصدها وصبتها وقد استحسننا جداً تكليف جناب السلطان اياك بالتوجه الى الحجاز مندوباً من طرفه وخاملاً كتب نصيحة منه الى المتحاربين حول بيت الله الحرام .
فنعلم الرأي رأيتناه فان المسألة من أهم ما يجب ان يهتم به كل مسلم . وانت لا

نزال في شغل من ذلك . والمتنظر من جنابك موافقتنا بالاخبار الصحيحة بدون
فاصلة . والله تعالى نسأله ان يوفقك والمسلمين اجمعين الى ما فيه خير دينهم
ودنياهم . امين .
رمضان المعظم ١٣٤٣ (١)

قلت ليعتبر الاخ الباحث كم تنميد هذه الوثائق التاريخية القيمة من اهتمام
اُمة الاباضية وملوكهم وزعمائهم بشؤون الاسلام والمسلمين عامة وباحوال الاماكن
المقدسة خاصة ، خلافا لمن يزعم ان الاباضية انما يعيشون لانفسهم ، كأنهم لا
يعنيتهم من امور الاسلام والمسلمين شيء .

وهي تهمة لا تخرج الا من افواه الذين يتجاهلون كثيرا من مواطني
الاسلام واخوانهم المسلمين . بناء على قاعدة « عدم الاعتراف بالوجود » زهـ وآ
وغـ رورآ .

* * * *

وبعد — فَمَا تَقْدُمُ مِنْ اَوَّلِ الْكِتَابِ الى هنا يرى الاخ الباحث طرفا مما
عليه البارونى باشا في اطوار حياته من آيات وعبر .

وقد بذلنا جهدنا في تنظيمها وتنسيقها وابرارها بهجة للناظرين .
ونحن نحمد الله ونشكره على ما امدنا به من العون والتوفيق الى اتمام هذا
الجزء الاول من الكتاب . وكما امدنا بذلك في الماضي نرجوه ان يمدنا في
المستقبل لآتمام الجزء الثانى ان شاء الله . والحمد لله رب العالمين .

(١) المنهاج السنة الاولى ج ٣ ص ١٧٢ ، ولكن لم يتيسر لسعادة البارونى باشا تلبية
امر الامام لحضور المؤتمر الاسلامى بمصر لاسباب تراها من بعد . فلم المرحوم البارونى نفسه

الفهرست

١٠٧	وجوه العبرة من هذا الطور	٣	تمهيد
	مقارنات بين مشاهد السكاظمية	٥	اجداد الباروني باشا
	وبين وقائع الحرب في طرابلس	٣٤	والده
١٠٩	الغرب	٤٣	علاقات مال بارون ببني ميزاب
١١٦	القمص القومي: السكراطة الحقة	٤٧	ولادة الباروني باشا ونشأته
١٢٦	جهاده في الطور الثالث	٤٨	تدرجه في مدارج العرفان
	رسائله الى السيد ادریس	٥٠	اوصافه الخلقية والخلقية
١٢٩	السنوسي	٧٨	محنته الكبرى
١٣٠	جواب السيد ادریس له	٨٢	منشأته
	موافقه في اتجاهها الى العزة	٨٤	مؤلفاته
١٣٠	والسيادة	٨٦	نيابته في البرلمان العثماني
	دعوة عامة منه الى المسؤولين في	٩١	جهاده
١٣٢	الولاية	٩٤	جهاده في الطور الاول
	رسالة تاريخية خطيرة من السيد		الصلح بين الحكومة العثمانية
	احمد الشريف السنوسي الى	٩٨	وايطاليا
١٣٥	الباروني باشا		مواصلة الجهاد وانشاء الحكومة
١٣٧	وجوه العبرة من هذا الطور	١٠١	الوطنية
	تأسيس دولة جمهورية في	١٠٣	كيف كانت نهاية هذه الحرب
١٣٩	طرابلس الغرب	١٠٤	وجوه العبرة من هذا الطور
١٤٠	الاجتماع العام في مسلاتة	١٠٤	جهاده في الطور الثاني

١٩٥	الباروني باشا يفتخر	١٤١	بلاغات الحكومة
١٩٧	الباروني في طريقه الى الحج	١٤٤	ماذا كان رد فعل البلاغات
	الحماية الفرنسية والاحتلال	١٤٥	ما هي اعمال الجمهورية ؟
١٩٩	الانكليزي	١٤٥	الدخول في المفاوضات
٢٠٤	الباروني باشا في الحجاز	١٤٧	جواب الجمهورية
٢٠٥	الباروني باشا يتم حجه	١٤٨	مفاوضات اخرى مرة ثانية
٢٠٦	خواطر قد تحتلج في الصدر		القانون الاساسي للقطر
	البلاد العثمانية هي المركز	١٥٠	الطرابلسي سنة ١٩١٩
٢٠٧	الادبي الاسلام	١٥٢	اعتزاله للعمل في طرابلس
٢٠٩	الباروني باشا في عمان	١٥٤	صفحة من جهاد طرابلس الغرب
٢١٠	الباروني في مهرجان الاستقبال		للحقيقة والتاريخ - اجسوبة
٢٢١	الباروني في حضرة الامام	١٦٩	صادقة عن اسئلة مهمة
٢٢٧	اثر هذه المهرجانات في نفسه	١٨٥	مغادرته لطرابلس
٢٣٣	تحية ميزاب لعمان	١٨٥	زيارته لتونس
	عمان يرد تحية ميزاب باحسن	١٨٦	اتصالنا به هناك
٢٣٧	منها	١٨٧	زيارة اخوين له في مرسيليا
٢٤٢	تحية عمان لبني ميزاب	١٨٩	تحفه الادبية لنا
٢٤٣	طرابلس وزنجبار تترددان الصدى		مساعيه الملاحه للدخول الى
	تحفة الاصحاب للاصحاب	١٩١	المستعمرات
٣٤٣	وتحية زوارة لميزاب	١٩٣	نقطة مصدور
٢٤٦	زنجبار يناجي ميزاب	١٩٥	انطلاقه من اسر الخلفاء
٢٤٩	اعمال الباروني باشا في عمان		

